رجب ١٤١٠ هـ - فبراير (شباط) ١٩٩٠ م

العربي

عدد خاص

ملفان عن: ■ العرب في التسعينيات ■ أحداث 1989

■ اكتشافات أثرية جديدة في مصر



أثواب من بئر السبع
للفنانة الفلسطينية تمام الأكحل

٢٥١٢

العـدد ٣٧٥ السنة الثالثة والثلاثون فبراير ١٩٩٠

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

العربي
ص ب. ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٣٤٢ - ٢٤٢٦١٤١
برقيًا "العربي" لكويت
تلفون فاكسملي ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No 375 Feb . 1990 .P.O.Box: 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

الاشتراكات: ترسل الطلبات الى قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات



محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :



● صقلية ... التاريخ يخرج من البوابة العربية ص ١

أدب وفنون :

تاريخ وتراث وأشخاص :



وجها لوجه
المهندس سعد شعبان
وزووف وصفي ص 129

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء.

عزيزي القارئ

الكويت في عيدها الوطني : انفتاح واسع وطموحات كبيرة

عندما يصلك هذا العدد ، تكون الكويت قد لبست حلة قشيبة ، استعدادا للاحتفال السنوي بعيدها الوطني التاسع والعشرين ، في الوقت الذي تبدأ به الشهور الأولى من عقد التسعينيات . وعندما ننظر إلى عقد الثمانينيات الذي مضى ، ودور الكويت ، بل قل : معاناتها الكبيرة ، نعرف أن هذا القطر العربي الذي جاور حرباً ضروسا ، امتدت ثماني سنوات ، وهي الحرب العراقية الايرانية ، قد استطاع في تلك الفترة العصيبة ، على الرغم من كل الصعاب ، أن ينظر إلى بعيد ، ويسبرأغوار الآتي ، فكان أمله وطنا ومواطنين بانفتاح أكبر وأوسع ، في مرحلة التسعينيات ، على محيطه العربي والإسلامي والعالمي

فعلى الصعيد العربي حاول ـ ولايزال ـ رأب الصدع العربي ، وقد توج ذلك المجهود بعودة العلاقات العربية ، وكذلك بوضع قاعدة للوفاق اللبناني ، مدرست وأعدت في الكويت وتوجت في الطائف . وعلى النطاق الإسلامي بقي الكويت رئيسا للمؤتمر الإسلامي . عاملا في أكثر من جبهة لجمع كلمة المسلمين على الخير والتعاون وفي المجال العالمي بادر في تقديم حلول لقضايا شائكة ، من بينها قضية المديونية العالمية التي يرزح تحت أعبائها ملايين الفقراء .

وعلى الصعيد الثقافي استمرت الكويت في تقديم مساهمتها في الثقافة العربية ، ولعل هذا العدد الخاص الذي نقدمه لك جزء من تلك المساهمة. وسوف ترى أن الجهد فيه عربي إسلامي دولي

فسوف تقرأ عن محكمة العدل الاسلامية الدولية للدكتور عبد الله الأشعل ، والرقش العربي ولماذا يعد جزءاً من فلسفة الفن الإسلامي للدكتور عفيف بهنسي كما تقرأ عن صفحة من التاريخ العربي في أعماق البحر الأبيض المتوسط . حيث اكتشفت بعثة أثرية سفينه عربيه غارقة فيها

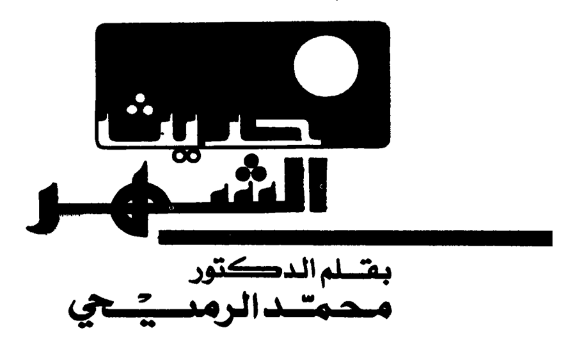
كما توالي « العربي » نشر ملفيها عن
الوطن العربي في التسعينيات والإبداع العربي في الربع قرن الأخير
أما استطلاعات هذا العدد المصورة فقد توزعت على الأصعدة المحلية والعربية والعالمة :

على الصعيد المحلي ننشر استطلاعاً ، نتناول فيه تطور الخدمة الأمنية بالكويت خلال نصف قرن ، وما يحققه هذا الجهاز المهم من تطور في تقديم خدمات للمواطنين . ويسهل لهم إجراءات المعاملات اليومية وفق أحدث الطرق التمنية .

أما على الصعيد العربي فيعطينا الاستطلاع صورة قريبة عن الاكتشافات الأثرية الحديثة في مصر .
وتأخذك « العربي » ، في عيونك على العالم ، إلى جزيرة قريبة من شواطئنا العربية ، هي جزيرة صقلية ، حيث كان للعرب المسلمين دورهم التاريخي في بنائها الحضاري

وهناك موضوعات أخرى كثيرة ، تتناول جوانب عديدة من العلم والطب والثقافة والآداب ، وكلها تصب في هذا التنوع الفني الذي أخذت « العربي » على عاتقها أن تقدمه لك . فإلى العدد .□

المحــرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

نهاية الطريق للنظام الشيوعي كما عرفناه



في عدد يونيو سنة ١٩٨٨ ، في هذا المكان من «العربي»، كتبت مقالاً مطولاً ، عن انطباعات لي بعد رحلة في ربيع ذلك العام إلى الاتحاد السوفيتي، وكان المقال بعنوان: «حين تختفي الأوهام»، أنهيت تلك المطالعة في شئون وشجون الاتحاد السوفيتي المستجدة بمقولة لبسمارك: «إن الروس قد يأخذون وقتاً طويلاً لإسراج خيولهم، ولكنهم ما أن يفعلوا ذلك حتى ينطلقوا مسرعين».

ولم أكن أتخيل حينذاك ـ منذ أكثر من عام ونصف عام ـ أن الخيول التي انطلقت تستطيع أن تغير بهذه السرعة، وبهذا العنف، عالماً بات مستقراً فترة طويلة، كما أن آثار الغبار ظلت وما تزال مستمرة عالقة في الجو، وستبقى كذلك فترة طويلة أيضاً.

منذ ذلك التاريخ إلى اليوم تبين أننا نعيش في وقت التغير السريع، إنه وقت غير عادي، كل شيء يبدو في حالة سيولة شديدة، والتغير هو

هل بريجنيف وستالين هما اللذان جاءا بالنظام أو أن النظام هو الذي جاء بهما؟

شعار المرحلة العالمية الحالية، إلى درجة أن أحد الكتاب البريطانيين كتب يقول: «إن مر عليك أسبوع لم تتابع فيه ما يحدث في العالم فسوف تفوتك أشياء كثيرة».

يبدو أننا نعيش في منعطف تاريخي عظيم، إنه نهاية عصر بأكمله، نهاية عصر الثورة البلشفية، نهاية عصر الحرب الباردة، ونهاية عصر الرأسمالية الاحتكارية، إنه ذاك الوقت من المنعطف التاريخي الذي يبحث الكل فيه عن ذاته وعن انتمائه وعن مستقبله.

خطورة الحديث عن ظاهرة، أو ظواهر معينة، في فترة مثل فترة الانعطاف العظيم هذا، أن الأحداث تسبق كل الأخيلة الجامحة، وكل الخيول المنطلقة.

لقد نشرت صحافتنا، على امتداد الوطن العربي، وكتب كتابنا عن هذه التحولات الكبيرة التي تحدث في الاتحاد السوفيتي وأو، ، الشرقية، بل وعقدنا اللقاءات الموسعة لدراسة هذه الظاهرة، ظاهره التحول، وتعاظم هذا النقاش عن النظام الاشتراكي والماركسية والشيه-ية، وعما يحدث في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، وتعددت الاجتهادات في تفسيره وتحليل أسبابه، فمن قائل بأن النظرية (الشيوعية) نظرية عقيمة، وأن تطبيقاتها فاسدة، وهي لا ريب في سبيل الانحلال والتفكك والذوبان إلى الأبد، فهي مسار خارج التاريخ الانساني، ويدلل هذا الفريق على قوله ذاك بعشرات من الحجج والبراهين. ومن قائل بأن الخطأ مصدره التطبيق فقط، وأن القائمين على النظام يصححون أنفسهم ونظامهم. ومن قائل بأن المشكلة في وجود (أمراض) في التطبيق كالجمود، والبيروقراطية، وانعدام الحافز، وهي أمراض قد تصيب أي نظام، بصرف النظر عن فلسفته، فتعطل فاعليته.

باختصار انقسم المراقبون: إما إلى نقد الفكرة الشيوعية من أساسها، أو إلى نقد الأداء والممارسات.

لكن السؤال الذي ظل يحيرني هو:

ماذا نستفيد، وبماذا نتضرر ـ نحن العرب ـ من كل هذا الذي يجري هناك، قريباً من حدودنا الشمالية وحدودنا الشمالية الشرقية؟

لا يمكن أن نعرف ماذا يفيدنا أو ماذا يضرنا من كل ذلك، إن لم نعرف، على أقرب وجه من الدقة، أسباب ما يحدث ودوافعه ونتائجه.



صعود الاشتراكية وانحدارها:

إحدى صعوبات الاقتراب من الموضوع هي الإشكالية المعرفية، فأنت إن تكلمت عن «الشيوعية» أو«النظام الشيوعي» ربما تعني شيئاً محدداً، وإن تكلمت عن (الماركسية) أو«الماركسية اللينينية» فإنك تعني شيئاً آخر، وإن تكلمت عن الاشتراكية الديمقراطية فقد تعني شيئاً ثالثاً.

وكثيراً ما نرى الخلط في الكتابات والتعابير واستخدام المفاهيم السابقة المختلفة، وكأنها تعني شيئاً واحداً، وذلك غير صحيح على إطلاقه.

كما أن (تثمين) هذه المفاهيم. أو الوزن النسبي لها، قد اختلف بين فترة زمنية وأخرى.

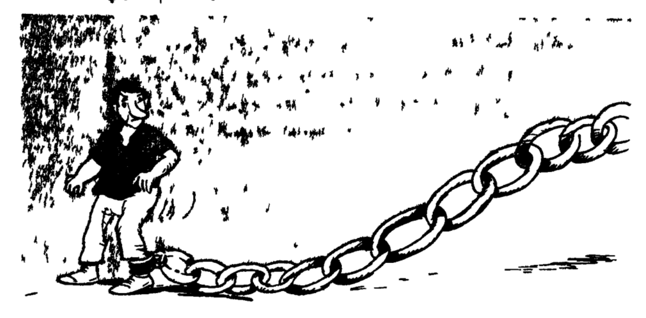
من هذه الصعوبة المعرفية يبدو الدخول إلى الموضوع **شائكاً** غير سالك، لكننا سنحاول.

لقد مر وقت على عالمنا الذي نعيشه، في هذا القرن، والنظام «الاشتراكي»، بتعاليمه الماركسية اللينينية. هو الهدف لملايين البشر، وقد اختلفت مناطق ودوافع انطلاقهم إلى ذلك الهدف إما جغرافياً ـ في قارات العالم الخمس ـ أو ثقافياً ـ من ثقافات مختلفة ـ أو في المستوى الاقتصادي والاجتماعي من دول مصنعة أو شبه مصنعة، إلى دول زراعية، إلى دول قريبة من اقتصاد الكفاف، كما في افريقيا. كان الانطلاق والدافع من نقاط مختلفة، لكن الهدف هو ذاك البريق الغامض للتحرر والانعتاق.

> النظرية الماركسية نتاج عصر البخار الأوربي لكن الأهم أنها نظرية تنظر إلى المستقبل من منظور الماضي

كما مر وقت على عالمنا الذي نعيشه، وثلث عدد سكانه يعيش تحت نظام (شيوعي) أو آخر، وكانت الفكرة نفسها، باختلاف تطبيقاتها، أملاً لملايين البشر في أنحاء متفرقة من آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، بل تبنت بعض الدول أنظمة، سمتها (الاشتراكية)، بعيداً عن الاصطدام بالثقافات المحلية، وهي في جوهرها متأثرة بالفلسفة الماركسية اللينينية. بعض هذه الدول تكيف مع الفلسفة العامة، وتغير هو، وغير جزءاً منها، كي تلائم حاجاته ومتطلباته، وبعض أنظمة أخرى نقل الفلسفة والتطبيق نقلاً حرفياً، أوجله في تناقضات، ومازال يعاني منها.

هذا القبول الواسع في بداية الأمر والترحيب الكبير جاء نتيجة عدة أسباب عميقة وتاريخية، فقد جاءت النظرية كأفكار وفلسفات، على



نقيض الأفكار والمسلمات والتطبيقات التي فرضتها الرأسمالية العمياء في القرن التاسع عشر، من ظلم اجتماعي وسياسي واقتصادي إبان ظهور الثورة الصناعية في أوروبا. كما قبلها بعضهم في عالم المستعمرات القديم الذي نعم بالعتق من استعمار الدول الرأسمالية بعد الحرب الكونية الثانية، لقد قبلها كحل سياسي اقتصادي، يتبنى طريقا آخر، غير طريق الدول المستعمرة نفسها لقد كانت النظرية تلاقي من الإعجاب والجاذبية ما يدفع دولا جديدة ومجتمعات نامية للدخول في تيارها العام

لقد نجح الاتحاد السوفيتي ـ كقائد لهذه النظرية وتطبيقاتها ـ فترة، في أن يحول معظم سني القرن العشرين إلى عصر يمكن تسميته عصر انتشار «الشيوعية» أو تطبيقاتها المختلفة لقد حمل هذا الانتشار بلادا كالولايات المتحدة، على الرغم من حدة الأنظمة التي تبنتها لخلق مجتمع مزدهر، إلى الوقوف موقف الدفاع عن النفس في وجه ذاك التدفق الهائل للأفكار والممارسات (الشيوعية)

لقد انتشر المذهب الجديد من الصين بملايينها من البشر إلى وسط أوروبا وإلى أمريكا اللاتينية وإلى افريقيا. وأصبح هو التيار الذي لا يقاوم

بل أخذت دول في أوروبا الصناعية الغربية تتواءم تطبيقاتها الاقتصادية والاجتماعية مع بعض من أفكار النظرية العامة، وقامت أحزاب في عقر دار تلك الدول تسمي نفسها الأحزاب الشيوعية، وتطالب بتطبيق النظرية في بلادها، ويسعى وراء تلك الأحزاب ملايين من البشر

حتى لا نتصايح ـ نحن العرب ـ بأعلى أصواتنا: "لقد كان خطأ في الأساس أن نتبعهم"

وفجأة، وفي سنوات قليلة، نجد أن هذا التيار يفقد زخمه، ويتراجع بسرعة، ويترك مواقعه، ويتبرأ بعض أحزابه حتى من أسمائها، بل ويصل الخيال عند بعض المحللين، كما حدث عند زبنجيو برزينسكي، في كتابه عن السقوط العظيم، عندما تنبأ بتلاشي المبدأ الشيوعي نهائياً بحلول الأول من يناير سنة ٢٠٠٠.

والسؤال الذي يطرح في مثل هذه الظروف: ما الذي حل بهذا النظام وبممارسته، والذي بدا فترة طويلة من هذا القرن وكأنه الموجة الصاعدة التي سوف تكتسح أمامها الأنظمة الأخرى؟ وما الذي أدى إلى فشله، وجعل الناس أفواجاً يفرون من أيديولوجيته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؟

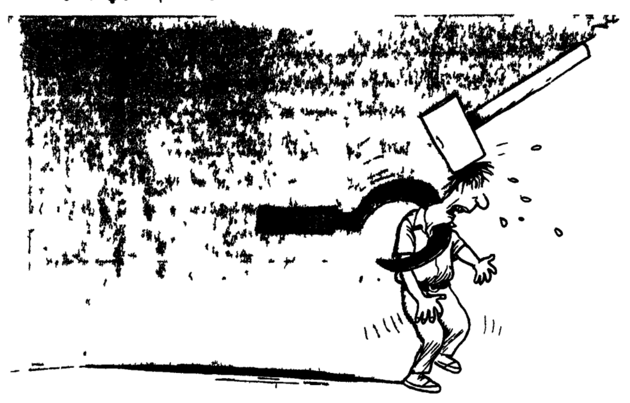
الإجابة عن مثل هذه التساؤلات ليست سهلة ولا ميسرة، وهناك عشرات الاجتهادات المطروحة، فبعضهم يقول تفسيراً لما نراه من تراجع وفوضى في السقوط: إن ذلك من علامات تجديد المنزل، فكل الحجرات يعاد تجديدها، إلى درجة أن سكان المنزل وأثاثه باتوا على قارعة الطريق، وتلك صورة «كاريكاتورية» لما حدث ويحدث، لكن الصورة الأقرب والأعمق أنه قصور في القدرة السوفيتية - مركز هذا النظام - على الاحتفاظ بالمكانة نفسها التي كان يحتلها النظام الشيوعي في نفوس الكثيرين. إنه الصعوبات الاقتصادية والتنظيمات السياسية، إنه الخبز والحرية.

حقيقة الأمر أن النظرية الماركسية هي نتاج عصر البخار الأوربي، طور بعضاً من أفكارها الرئيسة لينين في نهاية القرن الماضي، وبداية هذا القرن، لكن الأهم أنها نظرية تنظر إلى المستقبل من منظور الماضي.

تناقضها الفلسفي أنها تدفع المثقفين المنتمين إليها، أو المتعاطفين معها، إلى الغوص بعمق لتفهم حقيقة العالم الذي يعيشون فيه، ثم تقدم لهم الحل للتخلص من هذه المشاكل التي تعمقوا في فهمها، وهو حل من نتاج ملابسات القرن التاسع عشر. مشكلات جديدة وحلول قديمة، نظرة إلى المستقبل بحلول الماضي، مشكلات آنية معقدة، ونصوص قديمة، تلك هي الإشكالية العظمى أمام هذه الفلسفة، وأمام هذا النظام. لذلك أصبحت أدوات خلق حلوله قيداً يضيق أكثر فأكثر حول عنقه، حتى وصل إلى مرحلة الأزمة.

أدوات مثل التخطيط المركزي: الدولة المتسلطة، الحزب الواحد، غياب المجتمع الأهلي، عبادة الزعيم، كلها هي التي خلقت المجتمع

لقد نجح الاتحاد السوفيتي كقائد للنظرية الماركسية في أن يحول معظم سني القرن العشرين إلى عصر انتشار الشيوعية أو تطبيقاتها المختلفة



نشاهد على مسرح العلاقات الدولية غيابَ القطبية والاستقطاب وظهور الوفاق الجديد وتوازن المصالح

الحديد في بداية الأمر، لكنها عادت قيدا على حركته إلى الأمام بعد ذلك، وكان لابد من إعادة النظر في كل تلك الأدوات، واستنباط حلول جديدة لمشكلات جديدة، لا توجد اجابات عنها في النصوص السابقة، وفي بعض الأحيان يجب أن تكون هذه الاجابات متناقضة مع النصوص أصلاً

وكانت المشكلات كثيرة ومعقدة ومتراكمة، لذلك جاءت بعض الحلول سريعة وغيبية وغير متوقعة

ديناميكية الاصلاح :

لدينا وجهتا نظر رئيستان، في فلسفة الإصلاح السائد ومساره، وهما تظهران لدى المتابعين لهذه القضية الكبرى، إحداهما تقول: إن الإصلاح ما كان له أن يتم لولا وجود جورباتشوف، الرجل الذي فهم العصر، وفهم مجتمعه، وتقدم خطوات شجاعة، لاتخاذ ما يعتقد أنه يلزم، من أجل التنمية وصالح المجتمع. ووجهة نظر أخرى تقول: إن الإصلاح كان لابد أن يأتي، فقد نضج الظرف الموضوعي في الاتحاد

السوفيتي، ولو لم يأت جورباتشوف لجاء واحد غيره ليبدأ هذه الخطوات، فالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية قد وصلت إلى مرحلة لم يعد بعدها من الممكن أن يستمر الصمت.

ووجهتا النظر ـ على خلافهما ـ تتفقان في نقطة واحدة، هي أنه لولا ما تم ويتم من حوارات وتغيرات في الاتحاد السوفيتي نفسه، لما تم أي تحرك وتغير في منظومة الدول الاشتراكية في أوربا الشرقية، من بولندا إلى رومانيا، مروراً بالمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا، وغيرها.

ديناميكية الإصلاح هذه لها بعد آخر، وهو أنه لا يبدو لها سقف في المدى المنظور، أي أنه لا أحد يعرف على وجه اليقين أين ستقف عجلة الإصلاح والتغير، لاأحد يعرف أين ستقف هذه العجلة من تطوير القوانين الاقتصادية والسياسية، ولا أحد يعرف أين ستقف جغرافياً هل في أوربا الشرقية فقط، أو في دول مثل الصين وكوريا الشمالية وكوبا، ودول أخرى تبنت الفكرة (الماركسية) دون تسميتها بوضوح في مناطق أخرى من العالم فذلك سؤال مفتوح.

فإن قيل: إن ما يحدث هو فقط ترتيب للبيت من جديد، بوضع طلاء آخر، ثم يعود السكان من جديد إليه، فذلك ممكن الحدوث. وإن قيل: إن البيت كله آيل للسقوط، وسوف يقام بدلاً منه بيت آخر، فذلك أيضاً ممكن الحدوث.

الصورة الأقرب والأعمق لتفسير ما يحدث تكمن في قصور القدرة السوفيتية "مركز النظام" على الاحتفاظ بالمكانة التي كانت تحتلها في نفوس الناس

لماذا تبنينا هذين الاحتمالين الممكنين على حد سواء بهذه الصورة؟ الاحتمالان ممكنان من خلال ملاحظة ديناميكية التغير التي تحدث في النظام ككل، فالنظام في الاتحاد السوفيتي بشكله النهائي مكون من مثلث ذي مستويات ثلاثة: قاعدته السفلى الأساس هي النظرية الماركسية، وتطوير لينين لها، وممارسته في تشكيل الدولة في بداية الثورة البلشفية، وفي وسط هذا المثلث التجربة الستالينية الطويلة، وفي قمته تجربة بريجينيف الطويلة نسبياً، ولإصلاح هذا الهيكل الهرمي الكبير تم البدء من أعلى، ولكن المستويات الثلاثة متشابكة بعضها مع بعض. ومؤثرة ومتأثرة بعضها ببعض أيضا.

ومن التكتيكات التي اتبعها جورباتشوف ومعاونوه، والتي يمكن ملاحظتها، أنه منذ بدأ الإصلاح في منتصف الثمانينيات نلاحظ شكلين من الخطوات:



مَا زال العَربُ متطلعين الى التغيّر السّلمي الذي يخفّض من أمراض الجُمود والبيروقراطية وانعدام الحوافز وتسلط الحزب الواحد

الأول: يحدث في الاتحاد لسوفيتي للتعامل مع أعلى لمستويات وهو الأقرب تاريخياً وإن صادفته صعوبات على هدا المسوى يحول إلى أوربا الشرقية، لنقد ممارسات المستوى وأفكاره، وعندما ينتهي سنها يعود من جديد إلى نقد مثل تلك الممارسات والأفكار في الاتحاد السوفيتي نفسه، ومحاولة حلحلة قاعدتها الاجتماعية، وهكذا

ولو تابعنا هدا التكتيك بأمثلة لتبين لنا مساره بوضوح:

فمي البداية بدأ جورباتشوف مع مجموعة الاصلاحيين سقد التجربة البريجينفية، ووصفها بمرحلة «الركود العظيم»، وتمت مهاجمة بعض ظواهرها وسلوكياتها الداخلية والخارجية لقد كان النقد منصبا على (تخلف) الاتحاد السوفيتي في هذه الفترة عن مواكبه العالم، ونقد الممارسات السلبية والفساد السياسي والتلف في النظام الاقتصادي، كما تم نقد التدخل السوفيتي في أفغانستان، والتدخل غير المبرر في أماكن أخرى من العالم، خاصة في دول أوربا الشرقية، بل لقد كان اتساع الهوة بين الاتحاد السوفيتي ومنافسه الرئيس ـ الولايات المتحدة وأوربا العربية ـ في مجالات التقنية والانتاج والتوزيع، وفي مجالات الاتصال والثقافة، محط نقد لاذع

ديناميكية الإصلاح ليس لها سقف في المدى المنظور ولا أحد يعرف أين ستقف عجلة الإصلاح والتغيير

للفترة البريجينفية، ثم تحول النقد إلى الفترة الستالينية، عن طريق فضح ممارسات ستالين وأنصاره، ووصف عهده (بالإرهاب)، وعن طريق تفكيك المؤسسات، خاصة مؤسسات القمع التي بناها ستالين، والذي أخضع جهاز الدولة كله للرئيس الفرد، صاحب الألف تمثال والأقوال الذهبية. هذا النقد تنامى في السنوات الأخيرة إلى درجة قريبة من العظم، أي من أفكار لينين نفسه الذي ما زال جسده مسجى قرب حائط الكرملين في الساحة الحمراء، وما زال محط توافد المخلصين والنظارة.

وبدأت أسئلة أخرى تظهر أولا على استحياء، ثم ما لبثت أن تعاظمت. هذه الأسئلة من أمثلة: إذا كان كل ذلك التخلف والركود والإرهاب قد جاء به بريجينيف وستالين قبله وهي محط نقد، فهل بريجينيف وستالين هما اللذان جاءا بالنظام، او أن النظام هو الذي جاء بهما؟ وإذا كان النظام هو الذي جاء بهما فمن الذي جاء بالنظام؟

إنه لينين.

وهنا بدأت الأمور تأخذ طابع الحدة اكثر، فقد كان لينين في كل عصر هو الوحيد البعيد عن النقد، وهو المرجع الفكري، وكل كتاباته هي المرجحة عند الاختلاف، وهي المؤثرة للتدليل على قوة الحجة، وهو الأب الروحي الذي يجب أن لا يمس.

وإذا كان يجب أن لا يمس في هذه الفترة فماذا عن تطبيقاته السياسية التي تبنت، على سبيل المثال، التخطيط المركزي، والحزب الواحد، وكل مفردات «مفهوم الدولة» اللينينية؟

إذا كانت هذه المفردات لا يمكن أن تمس في الوقت الحالي، في الاتحاد السوفيتي، بسبب سخونة خطوات التغير، وبعد نتائجه عن الظهور للجماهير في هذه الفترة، وبسبب تواجد «الحرس القديم» الذي يعد هذا التراث تراثا شخصيا ومجتمعيا له، يجب أن لا يمس، فلا بأس من التحرك في أوربا الشرقية، كما فعل جورباتشوف ومعاونوه. هناك بدأت الخطوة (الثانية) التي يمكن أن تتحقق فيها تغيرات أسرع وأعمق، وبطريقة تكشف امتيازات الطبقة الحاكمة وتخوف في الوقت نفسه تلك الطبقة الجامدة في الاتحاد السوفيتي، عن طريق الإشارة والتلميح الذي مفاده: إن لم تواكبوا التغير فإن مصير بعضكم سيصير إلى مصير القادة المتجمدين الذين أطيح بهم.

الخطوة الثانية في أوربا الشرقية، وبصرف النظر عمن جاء، ومن رحل من قيادات الأحزاب الشيوعية الاشتراكية في أوربا الشرقية، كانت لها نتائجها، فالناظر بعمق إلى الأحداث يعرف أنها قادت إلى مجموعة من النتائج، منها: فك سلطة الحزب الواحد عن السلطة، واختفاء الحزب القائد من على سطح الأحداث السياسية.

بعض هذه البلدان في أوربا الاشتراكية كان مهيأ قبل فترة، مثل (بولندا) التي ظهرت فيها حركة «تضامن» قبل عشر سنوات تقريباً، وكان (الشريك) - وإن أردت (البديل) - جاهزاً لاستلام السلطة. وبعض البلدان الاشتراكية الأخرى أخذت على حين غرة - كما يقال - مثل ألمانيا الشرقية ورومانيا، وليست هي في ظني بالأخيرة في سلسلة التغيرات.

التغيرات التي تمت في أوربا الشرقية تغيرات تؤثر على المستويين الثاني والثالث في الهرم الذي ذكرناه وأتاحت بدورها في الاتحاد السوفيتي - وتتيح - الفرصة لنقد أفكار وممارسات في ذلك المستوى وهي أفكار وممارسات بنيت عليها الدولة الاشتراكية الحديثة.

لكن السؤال المنطقي هو: هل ذلك ممكن، في ضوء هذا التاريخ الطويل من ثبوت المصالح، وتشابكها لدى الفئة التي تتولى الرقابة على المصالح، وتقديم المكافآت، وقضاء الاعمال، ومنح النفوذ، وتلك العلاقات المتشابكة بين (الأممي) و(القومي) في داخل الحدود السوفيتية؟

هل بالإمكان الحديث عن تعددية سياسية في جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وأحزاب مختلفة، وفوق ذلك انتخابات حرة، كما حدث ويمكن أن يحدث في دول أوربا الشرقية؟

هنا يقول بعضهم: إن ديناميكية جديدة قد خلقت، هي ديناميكية الإصلاح نفسه، وهي ككرة الثلج، كلما تدحرجت كبرت، فالمشكلة أن الإصلاح قد حطم، أو هو في طريقه إلى تحطيم الكثير من الأشياء والقيم والأفكار القديمة، ولكن الأشياء والقيم والأفكار الجديدة لما تكتمل بعد، فالصورة ما زالت ضبابية، ونحن في حالة مشاهدة متوسطة بين القديم والجديد. هنا تبرز التساؤلات: إلى أي مدى، وفي أي الأماكن، يمكن أن تسير عجلة الإصلاح؟

المعضلة أمام القيادة السوفيتية هي فهمها أن استعادة احترام العالم لنظامها يتطلب منها التنكر لمعظم الأعمال التي كان يقوم بها قادتها السابقون، والأدهى من ذلك أن هذا التنكر ليس من ناحية الممارسات

فجأة
وفي سنوات
قليلة يفقد
التيار زخمه
ويتراجع بسرعة
ويترك موقعه
ويتبرأ بعض
أحزابه
حتى من
أسمائها

لا أحد يجادل في أن العرب يحتاجون إلى إعادة نظر في أمورهم الداخلية والخارجية

فقط، ولكن في جزء منه - يكبر أو يصغر - في المبادىء والأفكار أيضا.

وكلما تخلت هذه القيادة عن المبادىء والأفكار في سبيل إصلاح الممارسات، تخلت عن النظرية في الوقت نفسه. فلن تسعفها النصوص القديمة، بل سوف تتناقض معها.

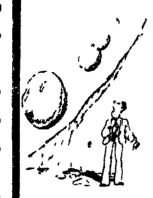
لقد بدأت خطوات الإصلاح بمراجعة، ثم قادت إلى احتمال كف يد الحزب الشيوعي في الدولة الأم من التصرف بمفرده، ثم حقوق القوميات، ثم الملكية الخاصة، ثم حرية الأفراد، إنها متغيرات تفرز متغيرات جديدة، وهكذا.

ويبقى السؤال معلقا : هل ديناميكية الإصلاح هذه ستؤدي إلى تطور النظام الشيوعي ، كما عرفناه ، إلى نظام اقتصادي خلاق ، قادر على المنافسة مع النظم العالمية الأخرى ، من جميع الوجوه ، أو أن ذلك سيؤدي إلى اضمحلال الفكرة الشيوعية كما عرفها العالم في هذا القرن ، وإلى اختفائها من مسرح الأحداث ؟

تلك أسئلة ليس من السهل ، أو حتى من الممكن ، في الفترة الحالية الإجابة عن بعضها .

ما الدروس ؟

قلت في صدر هذا الحديث : إن السؤال الذي مازال يحيرني . وربما يحير كثيرين غيري : ماذا يضرنا وماذا ينفعنا - نحن العرب - من كل هذه التغيرات ؟



لقد كتب أحد الكتاب البريطانيين المهتمين بالشأن العربي مقالة مطولة عن العرب سنة ٢٠٠٠ ، عرج فيها على العلاقة بين العرب وبين مايجري هناك في الاتحاد السوفيتي ودول أوربا الشرقية ، وتحدث عما سماه : « النموذج الشيوعي »، وفرق بينه وبين « الشيوعية »، «فالنموذج الشيوعي» قد تبناه بعض العرب - على حد قوله - الذين لم يتحيزوا للشيوعية، ولكنهم تأثروا في حياتهم السياسية والاقتصادية بالنموذج . وسمات هذا النموذج - كما يقول - مألوفة عند بعضنا، الحزب الواحد الحاكم، واقتصاد مركزي التخطيط، عبادة الفرد، ويذهب ذلك الكاتب بعيداً في عده لتلك الصفات الكثيرة.

في فـترة الانعطـاف العظيـم الاحـداث تسـبق كلّ الأخيلة الجامحة وكل الخيول المنطلقة

وقد لا يكون ذاك الكاتب محقا كل الحق في ما ذهب إليه، إلا أن أحدا منا لا يجادل كثيرا بأن العرب يحتاجون إلى إعادة نظر أساس وعلمية، في أمورهم الداخلية والخارجية.

فعلى الصعيد الخارجي هناك وفاق جديد، يسود العالم، وتكاد القطبية والاستقطاب ينتهيان من مسرح العلاقات الدولية، يعوض عنهما توازن مصالح جديدة، ويحتاج العرب فيه أن يحددوا بالدقة المتناهية موقعهم من كل ذلك، وأولى الخطوات الصحيحة في هذا التوجه هي العودة إلى الذات. لقد مل كثير من العرب الاختلافات العربية العربية، والصراع العربي البارد منه والساخن، والمماحكات التي لا تضيف شيئا، واستمرار هذه المماحكات العربية ينبيء عن نظرة قاصرة في فهم أمور العالم وكيف تسير.

أما على الصعيد الداخلي فإنه عدا تجارب قليلة ما زال العرب متطلعين إلى التغير السلمي الذي يخفض من أمراض الجمود والبيروقراطية وانعدام الحوافز وتسلط الحزب الواحد.

في العلاقات الدولية وفي البناء الداخلي نحن مجبرون على إعادة النظر، من أجل التغير السلمي الذي يحفظ لنا أوطاننا ومنطقتنا من الانزلاق إلى اضطراب عظيم، ما زال يتفاقم هناك في الشمال، دون مرفأ معروف، يبدو أنه سيصل إليه، وقد يبدأ اضطراب مماثل في الجنوب.

ومن الدروس الكبيرة التي يمكن أن نخرج بها، مما نسمع ونشاهد، خطورة تبني حلول جاهزة وتاريخية لمشكلات جديدة غير مسبوقة، فتلك الحلول، وإن بدت نظريا على الورق وردية، فهي ليست بالضرورة قادرة على حل مشكلاتنا العصرية، المتسمة بالطموحات الكبيرة والركض السريع، وظهور الفئات الاجتماعية الجديدة.

لقد عانينا ـ نحن العرب ـ في تاريخنا المعاصر والحديث، من تبني تلك الحلول الجاهزة التي ابتكرت في مجتمعات أخرى بعيدة. لقد واجهوا مشكلات وقدموا حلولاً لها، نابعة من اجتهاداتهم وحضارتهم وثقافتهم ومواردهم الاقتصادية وأوضاعهم الاجتماعية، وعلينا أن نفعل ذلك، لا أن نتلقف حلولهم، كي نطبقها على أنفسنا تطبيقاً أعمى، وعندما يكتشفون خطأها نتصايح نحن بأعلى أصواتنا: لقد كان خطأ في الأساس أن نتبعهم.

محمد الرميحي

أقوال



■ لم يثر الفلسطينيون في الأرض المحتلة من فقر ، إنهم يريدون أكثر من الخبز ، إنهم يريدون الدولة !

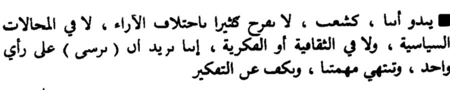
ياسر عرفات

■ « أخطر فترة في حياة أي كائن سياسي ، بل وأي كائن إنساني ، هي اللحظة التي يقرر فيها مواجهة الواقع ، لأنه بهذا القرار يدخل في امتحان المصائر فعلاً ، فإما النجاح وإما السقوط » .

محمد حسنين هيكل

● ياسر عرفات





■ يبدو أننا ، كشعب ، لا نفرح كثيرا باختلاف الآراء ، لا في المجالات السياسية ، ولا في الثقافية أو الفكرية ، إننا نريد أن (نرسى) على رأي واحد ، وتنتهي مهمتنا ، ونكف عن التفكير

د . يوسف إدريس

■ أمد يد الصداقة والصدق إلى الجميع لإنقاذ لبنان

الياس الهراوي

● محمد حسنين هيكل



■ كل انتخابات في « العالم العربي » ترفع شعار تحرير فلسطين

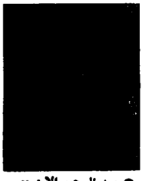
ليلى شرف

أول أردنية تُعين في مجلس الأعيان الأردني

■ « أحياناً أشك بمعرفتي بالشعر حين أرى شاعراً شديد الجودة يحاصر بهذه الكثافة من التجاهل . إن التجاهل مدرسة نقدية كاملة ، يحمي حلمها سوء نية وتآمر لا حدود لهما . »

عبد الرحمن الأبنودي

● الياس الهراوي



■ يشكل المسلمون الذين يبلغون ٥٣ مليون نسمة من مجموع السكان البالغين ٢٩٠ مليونا ثاني أكبر مجموعة سكانية من الاتحاد السوفيتي بعد الروس

كتاب الهلال في سماء حمراء

تأليف أمير طاهري

● عبد الرحمن الابنودي

العلاقات الاقتصادية العربية

توقعات وآفاق

بقلم : الدكتور نعيم الشربيني

« لاينفصل الواقع الاقتصادي العربي عن تأثيرات الاقتصاد العالمي ، وعلى الرغم من ذلك فإن الوطن العربي يستطيع أن يلعب دورا أكبر في تدعيم علاقاته الاقتصادية وتطويرها لمواجهة كل تأثيرات وتحديات الاقتصاد العالمي وتغيراته ، وهنا يكمن التحدي العربي في العقد القادم » .

إن العلاقات الاقتصادية العربية في التسعينيات ستكون محصلة مجموعتين من العوامل . الأولى ، عوامل هيكلية تعبيرا عما حدث في المجال الاقتصادي في السبعينيات والثمانينيات والثانية ، السياسات الحالية التي تحكم حركة الاقتصاد القومي في مختلف الأقطار العربية وفي هذا التحليل نتعرض للاعتبارات الداخلية الخاصة بالأقطار العربية نفسها ، كما نتعرض للاعتبارات الخارجية والدولية التي تؤثر على الأقطار العربية كمجموعة ، آخذين في الاعتبار أن التجمع العربي - بنفطه ومزارعه ومصانعه وحضره وريفه - لايزيد انتاجه عن ٣٪ من الانتاج العالمي .

السبعينيات : سنوات الطفرة

ولقد بدأت الأقطار العربية تظهر على ساحة الاقتصاد العالمي كقوة مؤثرة في أوائل السبعينيات ، عندما استطاعت مجموعة « الأوبك » تحريك أسعار النفط في البداية ، ثم إحداث طفرتين كبيرتين في تلك الأسعار : الأولى عام ١٩٧٣ والثانية عام ١٩٧٩ ، وهو ما أدى إلى طفرات مماثلة في عائدات بعض الحكومات العربية من النفط . وعلى وجه التحديد ، فبينما كان متوسط العائدات السنوية للحكومات العربية مجتمعة من النفط أقل من ٣ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٦٣ - ١٩٦٩ ، فقد قفز المتوسط إلى ٦٥ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٧٤ - ١٩٧٨ ، ثم إلى ١٧٦ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٧٩ - ١٩٨٠ ، والجدير بالذكر ، أنه لم يسبق لأي بلد أو مجموعة على مر التاريخ أن شهدت مثل هذه الطفرات في مواردها المالية في مثل هذا الوقت القصير .

ولقد نتج عن تلك التدفقات المالية الهائلة توسع مفاجيء في كل شيء في اقتصاديات البلاد النفطية [illegible] الواردات ، من

حـ ز ٣ مليار دولار سنويا أثناء الفترة ٦٣ ـ ٩ ، ١ إلى ٣١ مليار دولار سنويا أثناء الفتره ١: ١٩٠ ثم إلى ٧٧ مليار دولار سنويا ء الفترة ١٩ ـ ١٩٨٠، وشملت هده لتجارة ك أنواع السلع الاستهلاكية ولاستثمارية. و دت التقنيه الحديثة بما يشبه الهوس على بلاد ا ـطـة بغض النـظر عن ملاءمـة الآلات والمعدات المستوردة للبيئة العربية أو الإنسان الـعربي وعلى الرغم من التوسع الهائل في الانفاق الحكومي في البلاد النفطية، سواء للأغراض الاستهلاكية أو الاستثمارية، إلا أن عائدات النفط كانت أكثر من ذلك بكثير، وهو ما أدى إلى تحقيق فائض مالي في الموازنة العامة للحكومات النفطية، بلغت قيمته التراكمية في نهاية عام ١٩٨٠ حوالي ٤٠٠ مليار دولار.

وبقدر ما تغيرت العلاقات الاقتصادية بين المنطقة العربية ككل وبقية دول العالم نتيجة للطفرات بقدر ما تغيرت العلاقات الاقتصادية داخل المنطقة العربية بين الأقطار النفطية وغير النفطية. ولعل أهم هده التغيرات هو ما حدث في أسواق العمل ورأس المال. فلقد ارتفعت معدلات النمو الاقتصادي في الأقطار النفطية، وهو ما رفع من حدة الطلب على استيراد العمالة من الخارج لاسيما من الأقطار العربية غير النفطية ولقد أدت تلك التدفقات العمالية في الاقطار النفطية إلى تدفقات مالية مقابلة في الاقطار غير النفطية تمثل تحويلات العاملين في الخارج، تقدر في عام ١٩٨٠ وحدها بحوالي ١٣ مليار دولار، منها مالايقل عن ٨ مليار دولار إلى الاقطار العربية غير النفطية كذلك فقد زادت الاستثمارات الحكومية والأهلية من البلاد النفطية في البلاد غير النفطية، وتكونت شركـات كثـيرة متبـاينـة الحجم، لاستغـلال الفرص الاستثمارية في كل ركن مثمر من أركان الوطن العربي.

وبنهاية السبعينيات كانت تدفقات العمالة والأموال قد وصلت إلى مستويات تفوق بكثير ما تنبأ به المفكرون والمحللون في منتصف ذلك العقد، فلقد بلغ مجموع العاملين الوافدين إلى لأقطار النفطية الخليجية (بما فيها العراق) في نهاية عام ١٩٧٩ حوالي ٢,٣ مليون عامل، وبحســاب المـرافقـين، فإن حجم السكـان الوافدين كان يزيد بكثير عن ٥ ملايين نسمة، معظمهم من الأقطار العربية. أما نسبة أولئك الوافدين إلى حجم العمالة الكلية فقد وصلت الى مستويات عالية حتى في البلاد ذات الوفرة السكانية مثل العراق (١٥٪)، أما في البلاد ذات الندرة السكانية فقد كان العمال الوافدون يمثلون الأغلبية. إذ وصلت نسبتهم في المملكة العربية السعودية إلى ٥٣٪، وفي الكويت ٧٨٪، وفي الامارات ٨٩٪، وكم شطح الخيال في وصف الظاهرة بأنها «ثورة صامتة» ستقلب الأوضـاع القـديمـة، وتقـهـر التـخـلف الاقتصادي، وتقيم اقتصادا عربيا موحدا من الخليج الى المحيط، يأخذ بأسلوب تكامل عناصر الانتاج على مستوى الوطن العربي ككل: الأموال النفطية، العمالة غير النفطية والموارد الطبيعيه الوفيرة. أخيرا جاءت فرصتنا. وسلطت علينا الأضواء. ولسوف نثبت للعالم أجمع قدراتنا على بناء مستقبل زاهر وكم كان الحلم جميلا، بل رائعا، لكن الأيام أثبتت فيما بعد أنه لم يكن إلا حلما

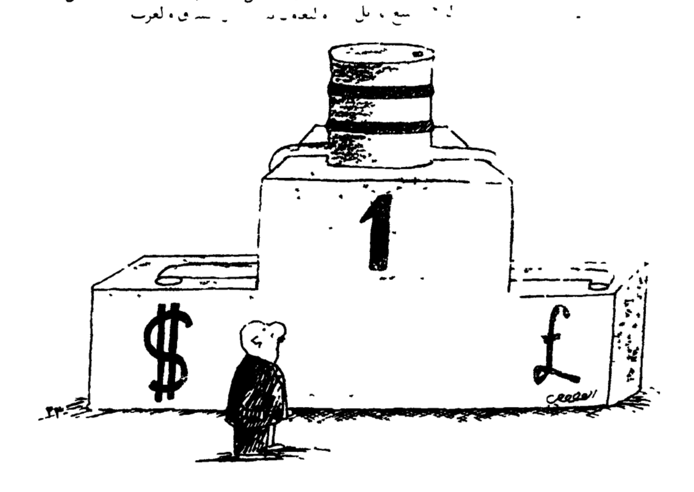
الثمانينيات : النفط ينكسر

هزت الطفرة الثانية في أسعار النفط عام ١٩٧٩ كثيرا من المتغيرات في سوق النفط العالمي، في جانبي العرض والطلب، فهي شجعت كثيرا من المنتجين الجديين على التنقيب النفطي بكل قوتهم، ونتج عن هذا زيادة المعروض في السوق العالمي كذلك فقد دفعت

لمستهلكين الى السعي عن كل الوسائل لترشيد سهلاك الطاقه في بلاد المستورده ، وبالتالي ... الطلب العالمي على النفط احد في ... وسحه هده التطورات المهمه ... النفط في الانحسار في ... عام ١٩٨٦ وو ...

... ادت في محملها وتفصيلها ، وقد أدى هذا الى ... بعض الأسواق المالية والاستثمار في القاهره وعمان ، وإن كانت كارثة سوق ... الكويت هي من أبرز التطورات المالية على الساحة العربية في التسعينيات ... على ... لا ... السياسي في مصر واستمرار مصر في ... الوفاق ... الأقطار العربية ورجوع ... المجموعه العربيه في ... يهدىء الموقف ، ويعمل ...

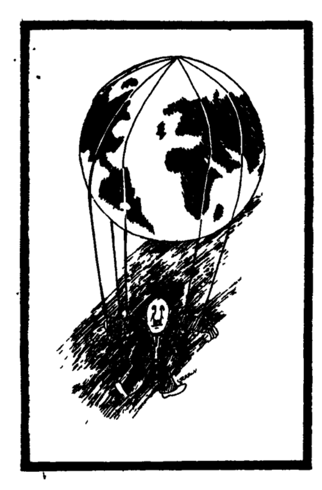
... العوامل الدولية ... للاستثمارات ... الاقتصاديات ... الدولية ... الأموال العربية ... في محملها قد ... في سد عجز الموازنات العامه ، كما ... حجم تجارة الواردات من دول العالم ... الاقطار العربية وبعضها بصفه ... انخفاض ... النفط في التجارة ... القوى العظمى ... في حل خلافات ... قد ... العرب



التسعينيات : التحديات تزيد

وهكذا يقف الوطن العربي على أبواب التسعينيات ، وهو يواجه احتمالات كبيرة . وتحديات أكبر . على الساحة العربية نجد أن التحول الديموغرافي يمثل أكبر التحديات ، إذ يتوقع زيادة السكان العرب من حوالي ١١٠ ملايين نسمة عام ١٩٧٠ إلى ما يزيد عن ٢٤٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ ، وهو ما يؤدي الى توسع هائل في أسواق العمل العربية من حوالي ٣٠ مليون عامل عام ١٩٧٠ الى حوالي ٦٧ مليون عامل عام ٢٠٠٠ . والمتوقع أن تستمر الهجرة في إعادة توزيع القوى العاملة من بلاد الوفرة السكانية إلى بلاد الندرة السكانية ، خاصة طرفي التوزيع من العمالة عالية التخصص والعمالة غير الماهرة .

أما الأسواق المالية العربية ، فغالبا ما سيكون التوسع من حظها ، وإن اختلفت الأسباب بين الأقطار . ففي البلاد النفطية ، يتوقع حدوث التوسع للتحسن المنتظر في أسعار النفط ، وهو ما سينعكس على العائدات . وما نرجوه هو أن تكون المؤسسات المالية العربية قد نضجت ، وترسخت خبراتها لتعويض انكسار الوفرة المالية في الثمانينيات . أما في البلاد غير النفطية ، فإن طاقتها الاستيعابية المتزايدة ، واستمرار تدفق تحويلات العاملين من الخارج ، واحتمال تزايد استثمارات البلاد النفطية ستكون من العوامل الداعية لتوسع الأسواق المالية والاستثمارية في تلك البلاد . على أن الفيصل هنا هو السياسات المالية والائتمانية للحكومات المعنية التي لابد من اصلاحها لاطلاق الطاقات الكامنة للنمو الاقتصادي في كل الأقطار العربية . ومن أهم سمات الاصلاح هو تقويم مسار مؤسسات القطاع العام التي أصبحت عبئا هائلا على الموازنة العامة ، والتخلص من بعض المشاريع



الاستثمارية غير الاقتصادية ، والاهتمام بالمشاريع العربية المشتركة التي ستكون ركيزة اقتصاد عربي متكامل في المستقبل .

على أن من أهم ما يتوقع حدوثه على الساحة العربية في التسعينيات هو إعادة بناء العراق اقتصاديا وماليا . فالعراق الذي يعد من أكبر الطاقات الاقتصادية العربية ، بدأ بعملية اعادة البناء بعد أن استنفذ الكثير من موارده وثروته البشرية في الحرب الضارية مع ايران أثناء الثمانينيات . إن طلب العراق على الأموال والكوادر البشرية خلال التسعينيات يتوقع أن يزيد بكثير عما يستطيع العراق نفسه توفيره ، لذا فإنه لابد من التوجه الى الخارج للحصول على ما يلزم لإعادة البناء . وهنا لابد من الاشارة الى أن المؤسسات المالية العربية ليست في وضع

يسمح لها بتعبئة الموارد المالية اللازمة ، مالم تقم بإصلاحات هيكلية تمكنها من الاقتراض دوليا ، حتى تتمكن من التوسع في الاقراض العربي ، خاصة للعراق . وعلى الرغم من أن العراق من بلاد الوفرة البشرية نسبيا ، إلا أن اتساع رقعته الجغرافية ، وضخامة موارده الزراعية ، تسمح له باستقبال الملايين الاضافية من الوافدين ، لاسيما في مجالات الزراعة والصناعة الزراعية ، وبالتالي تخفيف حدة ضغط السكان على الموارد في بلاد الوفرة السكانية مثل مصر . ومن المشجع أن العراق منذ السبعينيات قد اتبع سياسة سكانية منفتحة عربيا ، كانت وما زالت حجر الزاوية في اجتذاب العمالة الوافدة من كل أنحاء الوطن العربي . إن ما ستقدمه البلاد العربية للعراق من موارد مالية وبشرية سيقيس حجم العمل العربي المشترك في التسعينيات وفاعليته .

اما على الساحة الدولية ، فإن الأقطار العربية ستواجه عالما متغيرا ، تتجه البلاد الصناعية فيه إما إلى التكتل مثلما يحدث في أوربا ، أو إلى التعاون الوثيق مثلما يحدث بين القوتين العظميين . وتتجه فيه البلاد حديثة التصنيع مثل جنوب شرقي آسيا وأمريكا اللاتينية الى البحث الحثيث عن الأسواق لتصريف منتجاتها ، وعن مصادر الخدمات لتأمين صناعتها . ولسوف يكون الوطن العربي مسرحا لمنافسة حامية بين أوربا وشرق آسيا ، وفي الواقع أن هذه المنافسة قد بدأت بالفعل ، ليس لتأمين الأسواق ومصادر الخامات فقط ، وإنما لاجتذاب الاستثمارات النفطية. التي على الرغم من استخدام جزء منها في سد عجز الموازنات العامة في البلاد النفطية ، ما زال حجمها الكلي لايستهان به ، في حدود ٣٠٠ مليار دولار .

على أن موقف الاقطار العربية مستقبلا من هذا التنافس سيتحدد أكثر بنوعية السياسات التي تنتهجها الحكومات العربية في الوقت الحالي . والمعروف أن العمل العربي المشترك في المجال الاقتصادي قد تخبط كثيرا في الماضي ، ويكفي القول ان اتفاقية السوق العربية المشتركة لعام ١٩٦٥ لم تسفر عن أي تقدم يذكر في مجال التبادل التجاري بين الاقطار العربية ، في حين أن أهم المحققات الاقتصادية العربية في الخمسة عشر سنة الماضية ، قد تمت بأقل تدخل من الحكومات ، لاسيما في مجال تدفقات العمال والأموال .

إن من أهم ما سيحدد القدرة الاقتصادية للمنطقة العربية مستقبلا هو مدى مرونة مؤسساتها للتجاوب مع سرعة تغير العالم من حولنا . ولقد حان الوقت أن تعترف الحكومات بأنها غير قادرة على المرونة المطلوبة ، وغير قادرة على عمل كل شيء في كل مجال . فلتترك القدرات الخلاقة للخواص لبناء الوحدات الانتاجية عالية الكفاءة ، ولتشارك فيها الحكومات إذا شاءت ، ولتترك لعوامل المخاطرة والربح حسم مسألة التكيف مع أحوال السوق العالمي ، على سن القوانين التي تساعد الناس - لاتعاقبهم - على الكسب الشريف وفتح فرص الانتاج وتوسيع أسواق العمل الخلاق . □

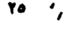
من حِكم الأحنف

قال الأحنف بن قيس :

× لا يتبين حلم الرجل حتى يغضب . . إن الحلم لا يكون إلا عند الغضب .

× المروءة ألا تعمل في السر شيئا تستحي منه في العلانية .

× الداء الذي أعيا الأطباء ، اللسان البذيء ، والعقل الرديء ، وأدوأ الداء اكتساب الذم بلا منفعة .



الآثار المتوقعة للديون الخارجية

بقلم : الدكتور رمزي زكي

« يخطيء كثيراً من يقصر آثار الديون على الجانب الاقتصادي فقط ، فالحقيقة أن آثار الديون تمتد إلى البناء الاجتماعي والسياسي للمجتمعات ، وتبدأ حلقة مفرغة من السبب والنتيجة . عن حجم أزمة المديونية العربية ، وآثارها ، يحدثنا هذا المقال » .

سوف يدخل الوطن العربي مشارف التسعينيات وهو يحمل بعبء مديونية خارجية ثقيلة الوطأة ، يصل حجمها إلى حوالي ٢٠٠ بليون دولار ، أو ما يعادل ١٥٪ من اجمالي الديون الخارجية المستحقة على دول العالم الثالث . وعلى الرغم من أن كل الأقطار العربية (باستثناء الكويت والسعودية) قد دخلت دائرة المديونية الخارجية ، فإن ٧٥٪ من الديون المستحقة على العرب تتركز في خمسة أقطار عربية ، هي : مصر ، والجزائر ، والمغرب ، وتونس ، والسودان . صحيح أن الشائع بأن الوطن العربي يدخل في عداد المناطق المدينة ، إلا أن إمعان النظر في المسألة قليلا يوضح لنا أنه يعد دائنا صافيا للعالم الخارجي ، فعلى الرغم من أن الديون المستحقة على الأقطار العربية تصل إلى ٢٠٠ بليون دولار ، فإن هناك في المقابل ما لا يقل عن ٣٥٠ بليون دولار فوائض مالية عربية مستثمرة في الخارج ، ويجب عدها من قبيل الدائنية العربية . وهذا يعني أننا ـ كعرب ـ دائنون للخارج ، بما لا يقل عن ١٥٠ بليون دولار . لكن مما يؤسف له أن العالم لا ينظر إلينا على هذا الأساس (كمجموعة اقتصادية واحدة) ، بل ينظر إلينا ، ويتعامل معنا حالة بحالة ، وحينئذ تبرز صورتنا المدينة بشكل أوضح من صورة دائنيتنا . وسواء تعلق الأمر بعلاقات الدائنية أو المديونية العربية ، فإنه من الثابت أننا نخسر في هذه العلاقات ، لأنها تتم من موقع تابع ، غير متكافيء في الاقتصاد العالمي .

وفي تقديري أنه « ليس المهم هو أن نكون

دائنين أو مدينين للعالم الخارجي ، وإنما الأهم من ذلك بكثير هو السياق التاريخي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي تتم فيه علاقات الدائنية أو المديونية . فاذا كان هذا السياق تسيطر عليه قوى التبعية للخارج ، وتطبعه علاقات النمو اللامتكافيء ، فإن علاقات المديونية أو الدائنية تنطوي دائما على خسارة واستغلال للطرف التابع ، دائنا كان أو مدينا .

معضلة التنمية خدمة الديون

ومهما يكن من أمر فقد قفزت المبالغ التي تدفعها الأقطار العربية لخدمة أعباء ديونها الخارجية من ٨,٧ بلايين دولار (فوائد + أقساط) في عام ١٩٨١ ، إلى حوالي ١٠,٨ بلايين دولار في عام ١٩٨٦ . وهو نمو متسارع الخطا . وإذا رجعنا إلى حداول المديونية الخارجية التي ينشرها « البنك الدولي » ، فسوف نجد أنه طبقاً للطبعة الأخيرة من هذه الجداول (٨٩/ ١٩٩٠) يقدر أن يصل إجمالي مدفوعات حدمة الديون الخارجية لأهم الأقطار العربية المدينة إلى حوالي ٧٤ بليون دولار ، خلال فترة ١٩٩٠ ـ ١٩٩٧ ، أي بمتوسط سوي قدره ٧,٤ بلايين دولار ، وهو مبلغ لا يستهان به ، ويشكل عبئا ثقيل الوطأة على هذه الأقطار . وهكذا نستطيع أن نقرر ، مع قدر عال من الثقة ، أن مجمل أداء الاقتصادات العربية في العقد القادم ، وعلى الأخص تلك التي تئن تحت ديون كبيرة ، سوف يتأثر إلى حد بعيد بالنتائج التي ستنجم عن أعباء هذه الديون وكيفية التعامل مع هذه النتائج . بعبارة أخرى : يمكن القول بأن مقادير كبيرة من موارد الوطن العربي، وممكنات النمو فيه ، قد أصبحت مرهونة ، ابتداء من الآن ، للوفاء بقائمة الدين الخارجي في المستقبل .

والتساؤل الذي يبرز على السطح الآن هو : ما الآثار المحتملة ، أو الأقرب إلى الاحتمال ، لنمو عبء الديون الخارجية في الوطن العربي ، في عقد التسعينيات ؟ وكيف يمكن مواجهة هذه الآثار ؟

وعند الإجابة عن هذا السؤال ، ربما يكون من المفيد التمييز بين الآثار الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية ، على الرغم من تشابك هذه الآثار وتداخلها فيما بينها .

أما عن الآثار الاقتصادية ، فمن المتوقع أن ينجم عن نمو عبء خدمة الديون تناقض شديد الالتهاب . بين قدرة البلد على الاستمرار في دفع عبء الدين من ناحية ، وبين قدرة البلد على تأمين الحد الأدنى للواردات الضرورية (الاستهلاكية والوسيطة والانتاجية) من ناحية أخرى . وهو تناقض سيشتد أثره لو أننا افترضنا عدم نمو صادرات الدولة من السلع والخدمات . وهو أمر جائز الاحتمال في العقد القادم وهنا ستلجأ الأقطار العربية ، للتخفيف من حدة هذا التناقض ، إلى عدة أساليب للمناورة ، منها :

١ ـ الضغط على الواردات .
٢ ـ استخدام احتياطيات الدولة .
٣ ـ الإفراط في تصدير السلع والثروة القومية .
٤ ـ المزيد من الاقتراض

لكن الوسيلة رقم (١) محدودة الفاعلية . فهناك حدود معينة في الضغط على الواردات ، لو تجاوزها صانعو السياسة الاقتصادية فإن آثاراً انكماشية سيئة ، ما تلبث أن تنفجر بالاقتصاد المدين (ندرة السلع ، ارتفاع الأسعار ، تعطيل الطاقات الإنتاجية ، زيادة البطالة ، توقف عجلات النمو .) أما الوسيلة رقم (٢) فهي أيضا محدودة الأثر ، بالنظر إلى ضآلة حجم ما تملكه الأقطار العربية المدينة من احتياطيات نقدية (ذهب وعملات أجنبية) ، كما أن استنزاف الاحتياطيات ، واستخدامها في دفع أعباء الدين ، يعرض مستوى هذه الاحتياطيات للخطر ، ويدفع سعر الصرف للعملة المحلية إلى التردي (كما حدث في الأردن مؤخرا) . أما الوسيلة رقم (٣) فهي وإن كانت أفضل طرق

الوطن العربي في التسعينات

جدول رقم (١)
الديون الخارجية المستحقة على بعض الأقطار العربية ، والأعباء المتوقعة لخدمتها خلال فترة ١٩٩٠ ـ ١٩٩٧

القطر	حجم الدين الخارجي في عام ١٩٨٨ (مليون دولار)	المبالغ المتوقع دفعها لخدمة الديون لفترة ١٩٩٠ ـ ١٩٩٧ (مليون دولار)
الجزائر	٢٤,٣٩٤	١٥,٣٧٤
عمان	٣,٤٤٥	٢,٢١١
الاردن	٤,٥٠٢	٣,٤١٦
تونس	٨,٦٧١	٦,٤٥٩
السودان	٩,٠٩٦	٤,٣٢٧
سوريا	٤,٧٣٦	٣,٤٠١
الصومال	٢,٧٩٠	١,٤١٩
لبنان	٠,٣٣٣	٠,٢٨٣
مصر	٣٧,٨١٦	١٧,٠٩٣
المغرب	٢٢,٢٢١	١٤,٩٥٥
موريتانيا	٢,٤٨٥	١,٤٢٩
اليمن الشمالي	٢,٧٤٢	١,٥٥٤
اليمن الجنوبي	٢,٧٦٦	١,٤٦٢
جيبوتي	٠,٢٨١	٠,١٤٢

المصدر . البنك الدولي ـ جداول المديونية العالمية ، طبعة عام ١٩٨٩/٨٨ باللغة الانجليزية ـ صفحات مختلفة

المواجهة ، وبخاصة في الأجل القصير ، إلا أن خطورتها تنبع من أن الإفراط في زيادة تصدير السلع والثروة قد يكون على حساب نقص العرض المحلي للسلع ، الأمر الذي يدفع أسعارها نحو الارتفاع . وهو أمر يمكن تصوره لو أن معدل نمو الصادرات سيكون أكبر من معدل نمو الإنتاج المحلي القابل للتصدير . أما المزيد من الاقتراض (الوسيلة رقم ٤) فلم يعد أمرا متاحاً الآن ، وربما يكون أشد ندرة في التسعينيات ، في ظل استمرار تطبيق المصارف (البنوك) التجارية الدولية النشاط سياستها الائتمانية الانكماشية . كما أنه ليس من المتوقع ، في العقد القادم ، أن تتحسن قدرة الأقطار العربية المدينة على الاقتراض بسبب التنافس الذي ستلقاه في أسواق الاقتراض الخارجية من دول نامية أفضل حالا من حيث جدرانها الائتمانية ، أو من المنافسة التي ستلقاها من الدول الاشتراكية في هذه الأسواق ، في ضوء عمليات التغيير الجارية فيها ، وتطلعها المتزايد للحصول على رؤوس الأموال والتقنية الغربية .

لا مفر من جدولة الديون

وعلى أي حال ، فإنه في ضوء ضعف ومحدودية فاعلية أساليب الحركة والمناورة السالفة الذكر ، لن يبقى أمام الأقطار العربية المدينة في عقد التسعينيات ، والتي تفشل في إدارة أزمة ديونها الخارجية من منظور تنموي مستقل ، لن يبقى أمامها إلا أن تطلب إعادة جدولة ديونها الخارجية ، والدخول في مفاوضات مع الدائنين وصندوق النقد الدولي ، للوصول إلى اتفاق بشأن تجميد مدفوعات الدين مدة معينة ، والحصول على موارد مالية جديدة ، في ضوء مشروطية الصندوق وقواعد نادي باريس . وهي موارد سيحصل عليها البلد المدين لو أذعن لشروط مجحفة وقاسية ، تسلبه حريته في رسم سياساته الاقتصادية والاجتماعية ، بما يتناسب وظروفه الخاصة . وهذه هي الشروط المعروفة تأدبا في الأدبيات الاقتصادية بشروط التكيف (زيادة الأسعار ، تخفيض قيمة العملة ، تحرير التجارة الخارجية ، إلغاء الدعم ، تجميد الأجور والرواتب ، تخفيض التوظف الحكومي ، زيادة أسعار الفائدة ، بيع القطاع العام ، زيادة أسعار الطاقة والخدمات العامة . .) والهدف الحقيقي من وراء تطبيق هذه الشروط هو فرض سياسة انكماشية على البلد المدين في الأجل القصير ، تمكنه من توفير موارد في الأجل المتوسط ، لرفع قدرته على الوفاء بأعباء دينه الخارجي المتراكم . ونحن نتوقع أن تتسع دائرة عمليات إعادة الجدولة في التسعينيات ، لتشمل ، بالإضافة للأردن ومصر والسودان وتونس والمغرب ، أقطاراً عربية أخرى .

قنابل موقوتة

وهكذا يمكن بلورة أهم النتائج الاقتصادية المتوقعة لأزمة المديونية الخارجية للأقطار العربية في التسعينيات في مخاطر الركود والانكماش وارتفاع الأسعار ، والتوجه نحو الخارج ، وتولي عوامل الضغط الخارجي (صندوق النقد الدولي والدائنين) مسئولية رسم وتحديد السياسات الاقتصادية والأهداف الاجتماعية للأقطار المدينة . وهي مخاطر جسيمة حقاً ، وتمس سيادة هذه الأقطار واستقلالها ، ولا يجوز التهوين من شأنها .

أما عن « الآثار الاجتماعية لعبء المديونية الخارجية في العقد القادم ، فيمكن توقعها ، ورصد حجمها الحقيقي ، من خلال معرفة التفاعل المجتمعي الذي سيحدث من الآثار الاقتصادية السالفة الذكر . وهي آثار لن تقل خطورة وتهديدا لأمن هذه الأقطار واستقرارها . فهناك أولا : مشكلة البطالة التي ستتفاقم نتيجة للسياسة الانكماشية التي ستطبقها الدولة ، وتراجع الحكومات عن ضمان التوظف للعمالة الجديدة ، بل ولجوء بعض الحكومات إلى طرد بعض موظفيها وعمالها (كما يوصي صندوق النقد الدولي والبنك الدولي) . والحق أن مشكلة البطالة ستتفاقم على نحو واضح في حالة الأقطار العربية ذات الحجوم السكانية الكبيرة التي يرتفع فيها النمو السكاني (حالة مصر والمغرب والسودان) ، وهناك أيضا مشكلة التضخم التي ستتفجر في البلاد المدينة ، من جراء تخفيض القيمة الخارجية للعملة ، وزيادة أسعار الواردات ، وارتفاع سعر الفائدة ، وارتفاع أسعار السلع والخدمات العامة . ومن المعلوم أن التضخم حينما ينفجر ، فإنه يجر معه سلسلة من النتائج ، ذات الآثار الاجتماعية الخطيرة . فهو يعيد توزيع الدخل والثروة بطريقة عشوائية ، فيزيد الفقراء فقراً ، ويزيد الأغنياء غنى . كما أنه يخفض مستوى معيشة كاسبي الأجور والمرتبات ، ويدمر مدخرات الطبقة الوسطى ، ويشعل حمى الاستهلاك الترفي ، ويشوه اتجاهات الاستثمار ، ويعمل على تهريب الثروة ورأس المال إلى الخارج . ومع تزايد البطالة والتضخم ،

وما يعكسه ذلك من تردٍّ في مستوى معيشة الأغلبية الساحقة من الناس ، مع بروز شرائح اجتماعية ، تستفيد من هذه الأوضاع التي تزيد إغتراب الإنسان العربي في مجتمعه ، ويزداد سحقه وخيبة آماله . وقد يؤدي ذلك إلى تهيئة المناخ للتطرف والعنف . وفي جو كهذا فليس من قبيل المصادفة أن تزدهر مجموعة من القيم والسلوكيات الاجتماعية المدمرة ، مثل الرشوة ، والفساد الإداري ، وحوادث السرقة ، وإهدار قيمة العمل المنتج ، وإعلاء قيم السطحية والتسرع ، و « الفهلوة » ، وهي قيم مدمرة لأي مشروع نموي ، أو لأي إصلاح اقتصادي .

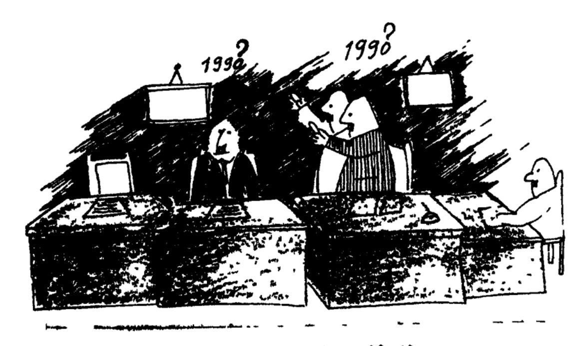
عودة أو زيادة للتبعية

أما عن الآثار السياسية المتوقعة لتفاقم عبء المديونية العربية في التسعينيات فيمكن بلورتها ببساطة شديدة ، في ما سينجم عن ضغوط إعادة الجدولة من تحولات جذرية ، أو شبه جذرية ، في النظام الاجتماعي السائد . فالبلد المدين الذي سيقبل نصائح الدائنين وصندوق النقد الدولي ، عليه أن يهيء نفسه وأوضاعه لنمو الرأسمالية المحلية ، ولسيطرة القطاع الخاص المحلي والأجنبي ، وأن يرضى بالدور المتواضع للدولة في النشاط الاقتصادي وحصره في أضيق الحدود ، وأن يترك لآليات السوق آليات العرض والطلب ، حرية تخصيص الموارد وتوزيعها . كما يتعين على الدولة أن تتخلى تماما عن طموحات التنمية المستقلة المخططة ، ذات الآفاق الاشتراكية أو التي لها نوازع واضحة في العدالة الاجتماعية .

على أن أخطر الآثار السياسية التي ستنجم عن استفحال مشكلة المديونية الخارجية في العقد القادم ، هو احتمال معاداة الحريات والديمقراطية واتجاه أنظمة الحكم إلى تطبيق الأساليب القمعية و « الديكتاتورية » في إدارة شئون البلاد . ذلك أن إصرار الحكومات على المضي قدما ، في تطبيق شروط إعادة الجدولة ، لإرضاء صندوق النقد الدولي والدائنين ، سوف يولد ردود فعل شديدة لدى الجماهير العريضة التى سينالها الضرر من هذه الشروط (إلغاء الدعم ، ارتفاع الأسعار ، تجمد الأجور ، تخفيض الإنفاق العام الموجه للخدمات العامة) ، ولعل « مظاهرات الخبز » التي حدثت في بعض البلدان تبرز هنا كنماذج واضحة على ردود فعل الجماهير المتضررة من هذه الشروط . أضف إلى ذلك أن المؤسسات السياسية والديمقراطية التي تنخرط فيها الجماهير (كالأحزاب والنقابات) ستعارض هذه الشروط . وقد تدخل في معارضة شديدة مع نظام الحكم القائم .

وهناك قد لا يجد النظام السائد مناصا من اللجوء الى القمع ، واستصدار القوانين الاستثنائية المعادية للحرية والديمقراطية ، كملاذ أخير لحماية نفسه ، كما لا يجوز أن ننسى ، في هذا السياق ، أثراً سياسيا آخر ، ينجم عن تفاقم مشكلة الديون عموما ، وعن عملية إعادة الجدولة خصوصا ، ألا وهو تزايد تبعية الدولة المدينة للدول الدائنة . فمع تفاقم أعباء الدين ، والتطلع نحو إعادة الجدولة والحصول على موارد مقترضة ، سيحرص نظام الحكم ، في البلد المدين ، على كسب رضاء مصادر الإقراض الخارجية وثقتها ، بل واتخاذ مواقف خارجية منحازة لهم ، ليس فقط في المجال الاقتصادي ، وإنما في مجال الصراعات والمشكلات الدولية أيضا .

وأخيرا : ألا تعد هذه الأزمة من أكبر التحديات التي سيختبر فيها التعاون العربي في عقد التسعينيات ؟ □



مستقبل التبادل التجاري بين الأقطار العربية

بقلم : الدكتور اسماعيل صبري عبدالله

يتفق جمهور الاقتصاديين على أن تدعيم العلاقات العربية يبدأ بتنمية العلاقات الاقتصادية ، وعندما تتواصل علاقات المصالح والتبادل التجاري ، فإن علاقات الشعوب لن تصبح عرضة لتقلبات ماهو طاريء وآني عن مستقبل التبادل التجاري بين أقطار الوطن العربي يدور هذا المقال .

سعى عدد من الحكومات العربية منذ نهاية الخمسينيات وراء الصيغ التنظيمية التي يمكن أن تزيد حجم التبادل التجاري بين الأقطار العربية . وكانت أجرأ محاولة في هذا الصدد إنشاء « مجلس الوحدة الاقتصادية العربية » ، واتفاقية السوق المشتركة التي وقعها عدد محدود من الحكومات العربية في منتصف الستينيات وفي أثناء حقبة الموارد النفطية الإنسانية أنشئت عشرات من المشروعات المشتركة ، من ثنائية وثلاثية ومتعددة الأطراف ، وكان من الأهداف المعلنة لتلك الشركات زيادة التبادل السلعي والخدميّ ومع ذلك لم تتغير نسبة المبادلات التجارية بين الأقطار العربية إلى إجمالي التجارة الخارجية لكل قطر إلا هونا هينا . وفي عقد الثمانينيات بدأ ظهور تجمعات التعاون الإقليمية . بدءا بمجلس التعاون الخليجي ، وانتهاء بمجلس التعاون العربي . ويطرح كثيرون قضية . ماذا يمكن أن تفعله تلك المجالس ،

لخلق تيارات تجارة منتظمة متنامية بين أعضاء كل تجمع أولا ، ثم بين أعضاء كل تجمع وأعضاء التجمعين الآخرين وسائر الأقطار العربية ؟ وهل تنجح تجمعات التعاون في ما أخفقت فيه السوق المشتركة ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية ؟

لانريد هنا البحث في مقاصد كل من تلك التجمعات ، أو في ظروف نشأتها ، أو نواحي القوة أو الضعف في بنائها التنظيمي ، ولا المقارنة بين مجلس وآخر ، جديد أو قديم . وذلك لأن كل هذه الأمور لا تشكل بنفسها عقبات أو دوافع للتجارة بين الأقطار العربية ، فالعقبات في هذا الصدد تكمن في بنية الاقتصاد لدى الدول الأعضاء وسياساتها التجارية والمالية والائتمانية .

أسواقنا أسيرة

ومما يؤسف له أن الاقتصاديين العرب ، حين يبحثون سبل زيادة التعاون الاقتصادي العربي بعامة ، وتعزيز التبادل التجاري بخاصة ، يبدون وكأنهم يفترضون وجود الأقطار العربية بعيدة عن أوضاع الاقتصاد العالمي ، وأن الرغبة السياسية مطلقة الحرية في تغيير أوضاع التجارة الخارجية في كل قطر عربي . ألا تراهم يردون في كل تحليل إخفاق محاولات تنشيط التجارة ، وزيادة التعاون،إلى اختفاء أو ضعف الإرادة السياسية ؟ ولنا أن نسأل : هل تفعل الإرادة السياسية في فراغ ، لا صلة له بواقع الاقتصاد الوطني ، أو أن فعلها يتحدد بما يفرضه هذا الواقع من قيود ؟

إن أسواق الأقطار العربية ـ شأنها في ذلك شأن الأغلبية العظمى من أسواق بلدان العالم الثالث ـ أسواق أسيرة ، تحكم أوضاعها الموروثة والحالية إمكانات التطور المستقبلية . فتحقيق الاستقلال السياسي لا يعني بنفسه تغيير البنية الاقتصادية الداخلية وموروثاتها ، بل إن جهود التنمية نفسها كثيرا ما تنشيء ـ أو على الأقل تعزز ـ روابط الاقتصاد الوطني باقتصاد الدول الصناعية المتقدمة . وفي كثير من أقطارنا يحدد توافر التمويل الأجنبي لأي مشروع أولويته في التنفيذ ، بغض النظر عما كان مخططا . ويؤدي الارتباط التقني ـ حتى لو كان التمويل كله محليا ـ إلى ضرورة الاستيراد (مستلزمات الصيانة وقطع الغيار والتطور التقني) من البلد الذي استوردت منه المعدات الأساسية للمشروع . كذلك يؤدي استيراد السلاح إلى المزيد من الاستيراد من المصدر نفسه . وبإيجاز تفضي ضرورات الاستيراد إلى ضرورة التصدير للأسواق المستورد منها ، وإذا أضفنا لذلك كله الحالة الذهنية للفعاليات الاقتصادية التي تسلم منذ البداية بالتفوق المطلق للغرب ، فاننا نجد تجارة أقطارنا مرتبطة بأسواق الغرب . ووفقا لبيانات « التقرير الاقتصادي العربي الموحد » المتاحة لنا ، كان نصيب الدول الصناعية المتقدمة (الدول الغربية واليابان واستراليا ونيوزيلندا) ٦١,٥٪ من إجمالي صادرات الأقطار العربية ، و ٦٢,٦٪ من إجمالي وارداتها (١٩٨٤) . ولم يحدث في السنوات الست التالية ما يشير إلى تغيير ملموس في نمط التجارة الخارجية للأقطار العربية .

ويترتب على هذه الأوضاع نتيجة مهمة ، كثيرا ما يغفلها الباحثون ، وهي أن كل زيادة للتبادل التجاري بين الأقطار العربية تؤدي ، على المدى القصير والمتوسط ، إلى نقص التبادل التجاري مع الدول الصناعية المتقدمة ؛ أي أن الجهود التي يبذلها صاحب القرار السياسي لزيادة التبادل الإقليمي لاتجد قاعدة اقتصادية تساندها ، بل إن المصالح القائمة لاترتاح إليها ،

ناهيك عن المنافسة لها . وليس في هذا غرابة تذكر ، فالأصل أن تحكم بنية الانتاج طبيعة المبادلات التجارية ، وإن كان من الوارد في مرحلة تالية أن يؤثر التبادل الخارجي في تركيب الانتاج ً، والأمر الذي يجب التسليم به هو أن كلا من بنية الانتاج وطبيعة المبادلات في الوطن العربي تعمل باتجاه المزيد من الارتباط بأسواق الدول الصناعية المتقدمة . كذلك ليست التجربة العربية شاذة في هذا المجال ، بل إن كل تجارب التعاون أو التكامل الإقليمي عانت مثل ماعانينا وأكثر .

خدمة التجارة الخارجية

ومن ناحية أخرى لا يجوز الكلام عن زيادة التبادل التجاري بين الأقطار العربية ، دون التوقف عند مستلزمات التجارة الخارجية بصفة خاصة ، فالسلع والخدمات لاتصدر أو تستورد في فراغ ، بل لا بد لها من بنية أساسية تشمل :

- المعلومات المتدفقة عمن ينتج ماذا ، وبأي كمية ، وأي سعر ، ومن أي مستوى من مقاييس الجودة المتعارف عليها ؟
- الائتمان التجاري لعمليات التصدير والاستيراد ، وشبكة المصارف التي تتعامل فيه .
- التأمين على الصادرات وعلى الواردات .
- وسائل النقل المتاحة .
- والوكلاء المحليون .





وغني عن البيان أن التجارة مع الدول الصناعية المتقدمة تملك تلك البنية الأساسية ، فإعلاناتها تملأ مكاتب صناع القرار والفنيين ، والمعارض تتوالى بانتظام (وكذلك الدعوات إليها) ، وشركات التأمين المحلية مرتبطة بعقود إعادة تأمين في السوق الغربية ، وخطوط النقل ، بحراً أو جواً أو براً ، تجعل النقل من قطر عربي إلى أوروبا أيسر بكثير من النقل إلى قطر عربي آخر . أما في حالة دول العالم الثالث التي أعاد الاستعمار صياغة أوضاعها الاقتصادية على نحو يفصلها عن جيرانها ، ويصلها بالدول الغربية ، فإن تلك البنية الأساسية لا بد أن تنشأ بإرادة مثابرة ، تستند إلى قرار سياسي حاسم ، ولايمكن أن ينشأ تلقائيا بحكم آليات السوق . فقبل التقسيم الاستعماري للأقطار العربية ، وإقامة الحدود المانعة لحركة الأشخاص والأموال والسلع ، كانت أجزاء الوطن العربي يتاجر بعضها مع بعض ، من خلال شبكة من المدن التجارية التي كانت تنتشر في أرجائه . وكان الناس في مصر يسمون السلع أحيانا باسم قطر المنشأ ، كقولهم : المشمش الحموي ، والحذاء الفاسي ، والشال المغربي ، والصابون النابلسي ، والبرتقال اليافاوي .

وسائل وإجراءات الدفع

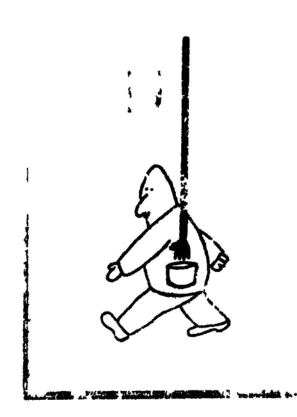
تجري المعاملات الدولية بالنقود ، وبالتالي لا بد أن نتساءل عن دور النقود المستخدمة في التجارة بين الأقطار العربية في تقليص تلك التجارة . فواقع الحال أن مدفوعات الوارد والصادر بين تلك الأقطار ، تحسب وتدفع بعملات أجنبية ، فيما عدا الصفقات المتكافئة التي تعد ظاهرة استثنائية ومعقدة . ويعني ذلك أن الاستيراد من قطر معين يفترض أن القطر المستورد قد وفر « العملة » اللازمة للتمويل فوريا ، أو خلال أجل قصير . وسرعان مايكشف هذا الواقع عن أن حرص كل قطر على احتجاز

الوطن العربي في التسعينات

موارده من العملات الصعبة ، لتغطية وارداته من الأسواق العربية ، يدفع دفعا نحو تقليل الاستيراد من الأقطار العربية الأخرى كذلك إذا نظرنا إلى التصدير ، تظهر أولوية التصدير للبلدان العملة الصعبة ، وإضافة أقطار الخليج النفطية على أساس قدرتها على الدفع بتلك العملة ولايمكن تصور زيادة كبيرة في تيارات التجارة بين الأقطار العربية ، دون حل واضح لقضية وسائل الدفع ولاتعني الصفقات المتكافئة لتحقيق مثل تلك الزيادة فهي تنصب على مبالغ محددة سلفا ، وقوائم السلع التي يصدرها كل طرف من القطرين الموقعين على الصفقة ، وكذلك أسعارها ومن الأمور التي هي غاية في العسر استخدام هذا أسلوب في التجارة المتعددة الأطراف ولما كان من غير الوارد أن تصبح كل العملات القطرية قابلة للتحويل بدون قيود تذكر يكون من المتعين ابتكار نوع من في هذا الصدد وأول مايرد على الذهن هنا أن تنص اتفاقات التجارة على سقف معين للمبادلات دون التقيد بقوائم سلعية وحدمية محددة ، على أن يصفى حساب التجارة في نهاية كل عام ، ويسدد المدين الصافي قيمة الدين بكمية إضافية من السلع والخدمات ، أو بالدفع بعملة قابلة التحويل وواضح أن مثل هذا الحل يفيد في تنشيط التجارة بين القطرين اللذين يوقعان مثل هذه الاتفاقية ولما كان تعدد الأطراف المتعاملة هو وحده الذي يوفر زيادة حجم المبادلات من جميع الأطراف . صح من المطلوب أن ينشط صندوق النقد العربي . وكذلك اتحاد المصارف المركزية العمومية ، لإنشاء « اتحاد مدفوعات عربي » وجوهر فكرة اتحاد المدفوعات تصفية حسابات كل عضو فيه في نهاية السنة مع مجموع الأقطار الأعضاء . بحيث لايلتزم سداد الرصيد السلبي واقتضاء الرصيد الإيجابي ، إلا في نهاية تلك التصفية وهذا يمكن مثلا أن يسدد العراق مديونيته التجارية إزاء اليمن من دائنيته لمصر التي يكون بوسعها أن تعطي ذلك من مديونية لها على الجزائر وهكذا. لسم هـ مدم المقصين ق سـ د ث وكل ما نريد لسـ ه اسه هو أنه لاضرورة لأن يكون اتحاد المدفوعات مؤسسة مستقلة جديدة ، بل يكفي أن تكون « نافذة » ثنية في صندوق النقد العربي

المشروعات المشتركة

ولكن هذه الأساليب ، تكون بديلا عن أوجه السياسات . شأن التعاون الإقليمي يجب أن يتجه . أولا وقبل كل شيء ، إلى الجانب الإنتاجي وكما دائما ضرب مثلا بإنتاج صناعة السيارات نمس المعروف أن تلك الصناعة



تعتمد على صناعات كثيرة تغذيها بمكونات السيارة ، كما أن الحجم الأمثل للانتاج ، والاستمرار في السوق ، يقتضي إنتاج مئات الآلاف من السيارات . ولهذا قلنا : إن أي قطر عربي لايمكن أن يبني صناعة سيارات كاملة ، على أسس اقتصادية سليمة . وعلى العكس من ذلك ، من الممكن أن تنشأ صناعة سيارات عربية ، يختص فيها كل قطر بصناعة أحد المكونات الرئيسية للسيارة (الصاج ، المحرك ، علبة السرعات ، علبة الكابح ، الزجاج ، المكونات المصنوعة من البلاستيك) ، كما تنشأ خطوط التجميع على مقربة من الأسواق الرئيسة . ولايخفى على القارىء أننا في هذه الحالة نصنع تكاملا عضويا ، بين مختلف المصانع ، لايمكن لحكومة أن تنسحب منه دون خسارة تحيق بها (إقفال مصانع بها) . وقد أثبتت التجربة صدق هذا المنهج ، فعلى الرغم من كل ما حدث من تدهور في العلاقات السياسية والاقتصادية العربية ، بعد معاهدة الصلح المصرية « الإسرائيلية » ، بقي مشروع واحد بعيدا عن كل إجراءات المقاطعة المتبادلة ، وهو خط أنابيب الزيت من السويس إلى قرب الاسكندرية (سوميد) الذي تساهم مصر في رأسماله بمقدار النصف ، ويغطي النصف الآخرأربعة من أقطار الخليج العربي . كذلك يمكن التدليل على تغلب المصالح الاقتصادية على الخلافات السياسية بوضع العمالة المصرية في ليبيا ، في أثناء المواجهة بين رئيسي القطرين التي تدنت إلى مستوى التعامل بالسلاح ، فلا ليبيا طردت المصريين (وكانت في حاجة إليهم) ، ولا مصر استدعتهم ، (لأن الحكومة كانت ترى في هجرة العاملين حلا للمشكلات الاقتصادية) .

فالترابط العضوي بين وحدات الانتاج الموزعة إقليميا ضمان لنجاح المشروع المشترك ، وإسهامه في زيادة حجم التبادل التجاري . وفي ضوء هذا الفهم لابد من توضيح : لماذا عجزت المشروعات المشتركة التي أنشئت في السبعينيات ، عن أداء دور ملموس في هذا المقام . ويرجع السبب - في رأينا - إلى أن تلك المشروعات أنشئت باتفاقيات علوية ، بين الحكومات ، دون أدنى « دراسة جدوى» للنشاط الذي أنشئت من أجله . وقد غلب عليها طابع الشركات القابضة ، من حيث إنها جمعت رأس المال المطلوب ، وأصبح لها مجلس إدارة وموظفون يتقاضون مرتباتهم شهريا ، قبل أن تبدأ بأي نشاط حدي لم تكن الشركات المشتركة ، في معظم الأحوال ، مشروعات ، بل كانت شركات مالية ، عليها أن تبحث عن مشروعات تستثمر فيها . ولانريد الإفاضة في هذا الشأن ، ولاذكر الأمثلة المحددة (وهي كثيرة) ، خشية سوء الفهم الذي قد يحمل المسئولين عنها على الظن بأنهم مقصودون لذواتهم .

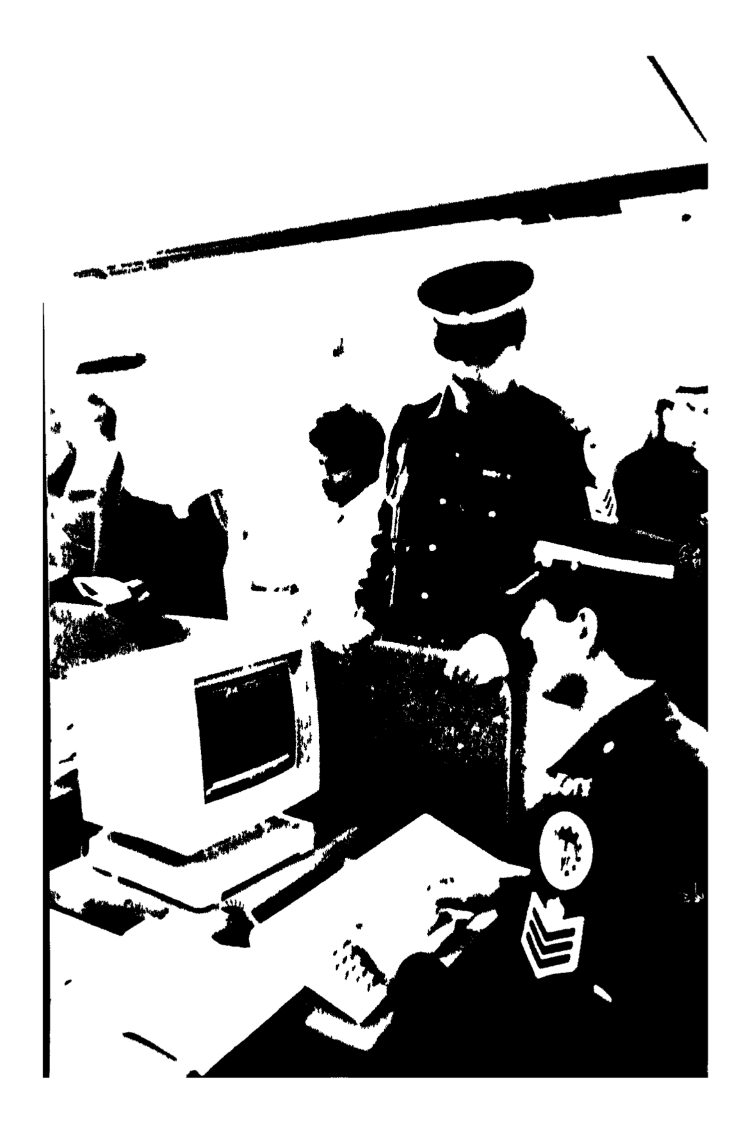
التبكير بالفعل

وبعد ، لم يكن القصد من هذه « العجالة » تثبيط الهمم ، ولا صرف الجهود بعيدا عن مجال زيادة التبادل التجاري ، بل إن العكس هو الصحيح ، فمعرفة العقبات والأسباب ضرورية لمن يريد أن يتجاوزها . ومن خلال النقاط المثارة يمكن أن يرى المرء ملامح ما يجب أن يكون ، حتى تخرج المبادلات بين الأقطار العربية من وضع الهامشية إلى وضع الفاعلية . فمن الواضح أن نمو هذه المبادلات يقتضي إرادة سياسية واعية قادرة ، كما يقتضي فعلا اقتصاديا مقصودا ، ورعاية لهذا الفعل ، ممن يرون فيه إضرارا بمصالحهم . ولابد للنجاح في هذا المقام من توفير الخدمات الضرورية ، لزيادة حركة السلع والخدمات عبر الحدود ، ثم تيسير وسائل الدفع على النحو المشار إليه آنفا . أما في المدى المتوسط والطويل فلا نجاح بدون المشاركة في الانتاج والتوزيع وختاما يجب أن نتذكر أن طول الأمد يقتضي التبكير بالفعل □

تطوّر الخدمة الأمنيّة بالكويت في نصف قرن



استطلاع : أنور الياسين
تصوير : طالب الحسيني



نصف قرن من الزمان مر على إنشاء جهاز الشرطة بالكويت ، خمسون عاماً هي عمر جهاز الأمن الذي تمتد إداراته ونشاطاته لتمنح الإنسان على أرض الكويت إحساساً مطلقاً بالأمان وتجعل الكويت أرضا للأمان والخير والسلام . داخل هذا الجهاز العتيد كانت جولة « العربي » لتنقل الصورة عن قرب !

هل الأمن إحساس أو كيان مادي ؟ هل هو إدارات ومبانٍ وسيارات أو وجود فاعل لكنه غير ملموس ؟ ندرك آثاره ونتائجه ، ونحس بوجوده وتعدد مظاهره ، ولكن لا نستطيع أن نمسك بأيدينا شيئاً واحداً ونقول هذا هو الأمن .

فالأمن هو تراكم بالإحساس النفسي والإدراك لدى الفرد بأنه لا يوجد ما يهدد حياته ولا عرضه ولا ماله .

والكويت واحة الأمن في منطقتنا العربية ، نستطيع أن نرصد مظاهر هذا الأمن وآثاره في كل نشاطات الحياة .

جذور وتطورات

عرف العرب عبر تاريخهم الشرطة ، بأشكال مختلفة ، ولكن المتفق عليه أن أول تجربة شرطة كانت على يد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ولقد تطورت الشرطة التي سميت العسس حيناً والحسبة حيناً آخر ، وتعددت وظائفها وأدوارها .

ويذهب كثير من الاجتماعيين إلى الربط بين تاريخ التطور الاجتماعي وتطور نظام الشرطة ، وهذه حقيقة علمية ، فكثير من الوظائف الاجتماعية داخل المجتمعات قد تطورت مع التطور العمراني والاقتصادي والثقافي والاجتماعي لهذه المجتمعات نفسها .

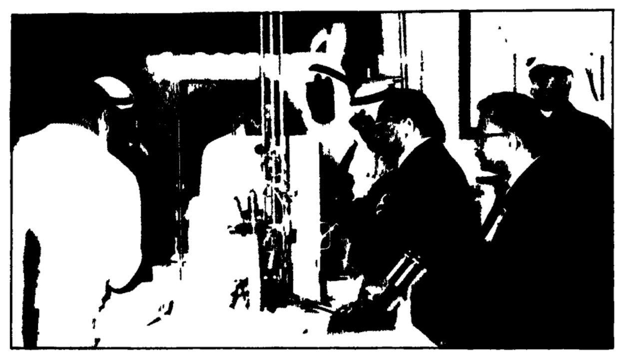
فعندما كانت الثروة في المجتمع العربي القديم ثروة منقولة كان الشكل المقبول للشرطة هو العسس ، الذين يجوبون الطرقات ليلاً ، لحماية الثروات من سرقات المغامرين ، وبعد ذلك وعندما أصبح التجار شريحة مهمة داخل المجتمع ، كان هناك المحتسب الذي يراقب السوق والأسعار كجزء من التنافس والصراع في التاريخ العربي القديم بين الوالي والتجار .

ومع تعقد المجتمعات وارتفاع صيحات الاحتجاج داخلها ، بدأ يظهر دور جديد للشرطة يتمثل في مراقبة استتباب سلطة الوالي ، ومطاردة خصومه ، والقبض عليهم ، وقد ظلت الشرطة تتطور في وظائفها مع كل تطور يحدث في المجتمع ، ومع كل تعقيد يطرأ .

وفي الكويت كان لطبيعة المجتمع وظروفه الجغرافية دور كبير في تحديد وظائف جهاز الشرطة ودوره .

كان الموقع المطل على البحر وكون الكويت مركزاً تجارياً ومنطقة صيد للؤلؤ ، له أثر كبير في طبيعة النشاط الاقتصادي . وعلى الرغم من أن المجتمع كان يقوم نشاطه الرئيس على التجارة والصيد فإن الرضا الطوعي والعلاقة المباشرة بين الحاكم والشعب جعلت الكويت مركزاً مستقراً آمناً .

ولم تبدأ الشرطة كنظام وهيئة داخل المجتمع الكويتي المدني إلا في عام ١٩٣٨ م ، وذلك بعد أن تولى المرحوم الشيخ صباح السالم الصباح أمير الكويت مسئولية رئاسة مديرية الشرطة واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٦ م . وقبل ذلك التاريخ كانت المحافظة على الأمن تتم بعدد من الرجال ، يتشكلون من حراس ومفتشين على الحراس ، ومسؤول عنهم جميعاً ، وكلهم تحت إمرة المرحوم الشيخ صباح بن دعيج الذي كان



● سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد الصباح عندما كان يتولى وزارة المالية، يرافقه أحد ضيوف الكويت في زيارة للمعمل الجنائي التابع لوزارة الداخلية، ويبدو في الصورة المستشار بالديوان الأميري ووكيل وزارة الداخلية السابق اللواء عبداللطيف الثويني

يقوم بنفسه أيضا بجولات ليلية على الأسواق والأحياء في البلاد ، للاطمئنان على استتباب الأمن لكل المواطنين .

وكانت الحياة حتى ذلك التاريخ هادئة بسيطة ، وبعد عام ١٩٣٨ أنشيء جهاز حرس الأسواق الذي يتولى الحراسة وحفظ الأمن في أسواق الكويت . وتسارعت بعد ذلك خطوات النهوض بالشرطة تدريباً وإعداداً ، فافتتحت أول مدرسة للشرطة عام ١٩٥٦ لإعداد الضباط وضباط الصف والأفراد ، على أسس علمية عصرية ، يتلقى على أساسها الدارسون نظام الشرطة وقوانينها ، بالإضافة إلى التدريبات العملية العسكرية التي تؤهلهم لأداء واجباتهم على أكمل وجه .

أول دائرة للأمن العام

ولم يكن يزيد عدد رجال الشرطة العاملين عام ١٩٣٨ عن ثمانين رجلاً ، حيث كان منظرهم بملابسهم الرسمية ، مثار دهشة من قبل المواطنين الدين لم يألفوا منظر البدلة العسكرية ، كما أنشئت دائرة للأمن العام في نهاية عام ١٩٣٨ ، وأسندت رئاستها إلى المرحوم الشيخ علي الخليفة . وكانت مهمتها حراسة الحدود وتنظيم معاملات السفر للمواطنين والأجانب . ولم يكن للشرطة العامة ، وقت تأسيسها سوى فرع واحد ، هو دائرة شرطة الميناء التي تولى رئاستها الشيخ مبارك الحمد الصباح الذي ظل يشرف على شرطة الميناء حتى عام ١٩٥٩ . وفي فبراير ١٩٥٩ اقتضت المصلحة العامة توحيد جهود مديريتي الشرطة والأمن العام ودمجهما في ادارة واحدة ، من أجل توطيد دعائم الأمن والنظام في الكويت . كما أنشئت إدارات جديدة تناسب التطور والتقدم الذي سارت فيه الكويت الحديثة ولا زالت تسير فيه .

مع الزمن والتطور أصبحت أجهزة الشرطة تعبيرا عن الدولة ، ورمزاً للحكومة ، وشكلاً من أشكال هيبة السلطة التي تفرض النظام وطاعة القانون الذي يحدده المجتمع . وعلى الرغم من



● شرطي المرور رفيقك وصديق أطفالك. وإلى (اليسار) عملية إصلاح إشارات المرور التي تقوم بها الإدارة الفنية للمرور في ورش الإصلاح التابعة لها وعملية الفحص الفني للمركبات تتم على أحدث الأجهزة ، ويقوم بالإشراف عليها أفراد على قدر كبير من الكفاءة والتدريب (إلى أسفل)

● تطور الخدمة الأمنية في الكويت



● المهندس فهد حمعر



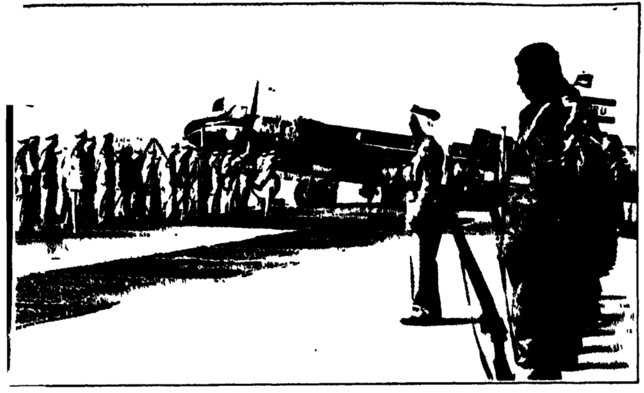


● العميد خالد الميس



● المقدم ابراهيم نفيمش





● حرس الشرف في الاستقبالات الرسمية في كويت ما قبل النفط

كل دلك ففى الكويت تشعر بهدا ، ولكنك لا تصطدم به ، لا تصطدمك الشرطة بوجودها المكثف في الشوارع والطرقات ، ولكنك تشعر بوجودها وهي غائبة ، تدرك قربها منك إذا احتجت إليها .

وقد أسندت إلى وزارة الداخلية مهمة الإشراف على الأمن في الكويت بناء على المرسوم الأميري الصادر في عام ١٩٦٢ بتشكيل الوزارات ، حيث تتولى حفظ الأمن والنظام داخل البلاد وحماية المواطنين وتنفيذ ما تفرضه القوانين واللوائح ، كما تختص الوزارة بوضع وتنفيذ الخطط الكفيلة بإستقرار أمن الدولة والمواطنين وحماية الآداب العامة والنظام العام وكذلك إعداد الشرطة والأمن العام ، والعمل على منع الجريمة وضبطها ، وتنفيذ الأحكام القضائية الصادرة في القضايا الجزائية والمعاونة في تنفيذ الأحكام الصادرة في القضايا الأخرى ، وتقديم المساعدات اللازمة للجهات الحكومية المعنية فى تنفيذ القوانين واللوائح ، وغيرها من الأعمال مثل أعمال الدفاع المدني ، وتنظيم المرور على الطرق .

التقنية الحديثة في خدمة الأمن

ولتسيير وتنفيذ كل هذه الواجبات وغيرها الملقاة على عاتق الأجهزة الأمنية في الكويت عملت القيادة الأمنية في البلاد على إنشاء مركز المعلومات الآلي الذي يقوم بتطوير عدد من أنظمة المعلومات ، بهدف التبسيط والتسهيل لكل الاجراءات في وزارة الداخلية . يقول المهندس فهد جعفر ، مدير عام إدارة مركز المعلومات الآلي : إن الوزارة تؤمن بأن الاتصال الدائم بالجمهور هو الأساس الأول لنجاح الأجهزة الأمنية في أداء رسالتها ، ومن هذا المنطلق تسعى الوزارة لتقديم خدمة حضارية ، تتضمن إنجاز المعاملات في أسرع وقت ، سواء كانت هذه المعاملات تتعلق بالجنسية ، أو جوازات السفر أو الإقامة ، أو تأشيرات الدخول ، أو الاستعلام الفوري عن المركبات ، فمهمة المركز هي تسخير



تقنية المعلومات والحاسب الآلي ، في ما يتعلق بتطوير مشاريع وأنظمة متعددة ، باستخدام أحدث الأساليب التقنية ، مثل نظم الخدمات الأمنية وخدمة المواطنين ، وهذه النظم تساعد في حفظ السجلات بالطرق الحديثة واسترجاعها بشكل فوري عند الحاجة ، وحفظ وصيانة بيانات العاملين ، وسهولة اطلاع المسؤولين عليها ، ومراقبة تنفيذ الميزانيات ، وتوفير ما تحتاجه الإدارة العليا من إحصائيات وبيانات لأغراض التخطيط والمتابعة ، فهو وجه حضاري للخدمات الأمنية في الكويت

الحفاظ على سرية المعلومات

اما بالنسبة لنظم الخدمات الأمنية وخدمة المواطنين فيقول المهندس فهد جعفر : إنه نظراً لان عمل اجهزة الشرطة يقوم على الاتصال الدائم بالجمهور ، وهذا الاتصال هو الأساس الأول لنجاح تلك الأجهزة في اداء رسالتها ، فإن الخدمة الأمنية في الكويت تسعى دائماً لتطوير خدماتها ، وتقديم خدمات حضارية ، ذات مستوى راق ، من خلال تسهيل إجراءات إنجاز المعاملات ، وكذلك اختصار الوقت والجهد ، كالسهولة والسرعة في نقل ملكية المركبات ، والحصول على إثبات الجنسية ووثائق السفر ، وتجديد الإقامة والحصول على تأشيرات الدخول ، والاستعلام الفوري عن المركبات والأشخاص المطلوبين للإدارات المختصة

وإذا اخذنا نظام ملفات الجنسية نظرا لكونه أحد النظم الحيوية بحسبانه القاعدة الأساس لبيانات المواطنين الكويتيين،فإن هذا النظام يمكنه تغطية كل متطلبات الإدارة العامة للجنسية ووثائق السفر ، من الاستفسارات الفورية عن بيانات الملفات بسرعة ودقة ، عن طريق الشاشات المرئية ، وذلك في أثناء إجراء المعاملات اليومية ، كما تمكن استخراج شهادات إثبات الجنسية ، والرد على استفسارات



● الكوفية العربية اختفت الآن وحل محلها القبعة (الكاب)



الوزارات المختلفة ، بالاضافة إلى الحصول على الإحصائيات المختلفة،وبعض التقارير عند الطلب .

وكذلك نظام المرور الذي يخدم جمهور عريض من المواطنين والمقيمين ، والذي يمكنه تلبية احتياجات الإدارة العامة للمرور وإدارات الوزارة المختلفة ، كالإدارة العامة للتحقيقات ، واتصالات الشرطة والنجدة ، وتنفيذ الأحكام والسجون ، ووزارات الدولة الخاصة بالمركبات وإجازات القيادة،والأحكام الصادرة ضد مخالفي قواعد المرور وأنظمته ، وإمكانية البحث عن أي مركبة برقم اللوحة الكامل ، أو بجزء من رقم المركبة ، أو برقم القاعدة ، أو باسم المالك ، أو برقم إجازة القيادة ، أو بإثبات الشخصية ، كما يوفر هذا النظام ضمان نظام أمني دقيق للمعلومات حرصا على سريتها وعدم تداولها إلا للجهات المختصة بذلك .

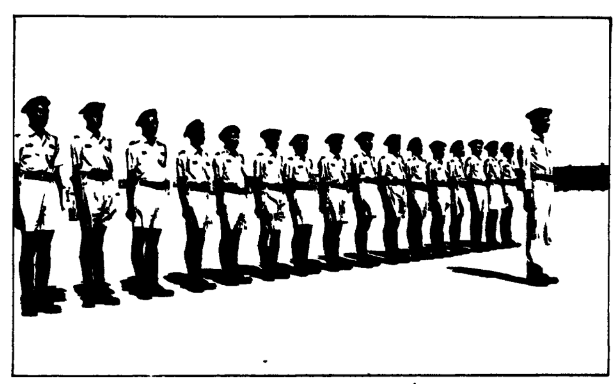
الشباب الكويتي والتقنية الحديثة

إن البرامج والنظم الأمنية التي يقدمها المركز ، مثل نظام قوائم الممنوعين من السفر ، والسجلات الجنائية ، والحوادث اليومية ، في الواقع ، أنظمة حديثة ، تهدف إلى توفير الأمن والأمان والاستقرار للمواطنين والمقيمين ، من خلال متابعة القضايا الجنائية ، وتوفير البيانات اللازمة ، لمواجهة الأحداث الطارئة،والكوارث ، وكذلك لإعداد التقارير والإحصائيات لأغراض المتابعة والمراقبة من خلال جهاز الحاسب الالي الذي يعمل البرامج وفقه .

وبطبيعة الحال فإن العاملين في تلك المشاريع تتحقق لهم فرصة اكتساب الخبرة العالية في مجالات تقنية مختلفة ، حيث آفاق هذه التطبيقات واسعة في مختلف مجالات العمل ، وينعكس مردودها أيضاً على « الكوادر » المحلية التي



● ينظم المركز الآلي دورات تدريبية لجميع أفراد الإدارات التابعة لوزارة الداخلية التي تستفيد من خدمات الحاسب الآلي للمركز ، ويشاهد أحد الضباط يقوم بعملية تحرير الأشرطة الخاصة بحفظ المعلومات وفتاة كويتية من العاملات بالمركز ، تقوم بتصميم برنامج خاص بإحدى إدارات وزارة الداخلية



●أول دفعة من مدرسة الشرطة في الكويت

تستخدمها ، لكونها تتطور ، ويدخل عليها الجديد من التقنية كل يوم . فهو مردود إيجابي يساعد في تنمية القدرات لمن يعمل على هذه الأجهزة .

والمركز يستقطب كثيرين من الشباب الكويتي ، في محاولة منه للمحافظة على المستوى المطلوب المناسب في الاكتفاء الذاتي من « الكوادر » الوطنية ذات الكفاءة والقدرة على متابعة مسيرة التطور الهائل في مجال الحاسب الآلي وتقنية المعلومات .

وحول هذه النقطة يقول المهندس فهد جعفر : إن النسبة الحالية للعمالة الوطنية في المركز لا تغطي طموحاتنا المطلوبة ، لتنفيذ برامج العمل التي وضعها المركز كهدف استراتيجي ، يسعى لتحقيقه من خلال الاستقطاب والتطوير لمزيد من الكفاءات لسد العجز ، وبخاصة أن المركز جزء من هذا الجهاز الأمني الحساس ، وأن الخطة الخمسية القادمة للمركز تعالج هذا الجانب كعنصر أساس فيها ، لما يمثله من دعامة رئيسة في تحقيق أهدافها العملية ، والشباب الكويتي لديه الإمكانات العالية ، بالإضافة إلى أن الدولة لم تدخر جهدا في بنائه . إن مستوى الكفاءات الفنية « للكوادر » العاملة في مجالات استخدام الحاسبات الآلية ، ونظم المعلومات ، في المركز ، والبرامج التي قدمت لمختلف إدارات وزارة الداخلية يعد واحداً من المقاييس الحقيقية لمدى التطور الذي تم الارتقاء به في الأجهزة الأمنية في الكويت ، وهو الجهاز الأمني الحساس .

كلية الشرطة مصنع الرجال

التطور في مجالات العمل بالشرطة ، ليس قصرا على الأجهزة ، وإنما يعتمد كليا على العنصر البشري ، القادر على استخدام تلك الأجهزة ، والإفادة منها ، فالأجهزة مهما تكن متطورة لا تزيد عن كونها مجرد آلات صماء بدون الفرد والمدرب الواعي القادر على حسن استخدامها .

فالتدريب هو الوسيلة الوحيدة للنهوض بمستوى الفرد ، وجعله ذا كفاءة في أدائه لعمله ، أياً كان موقع ذلك الفرد من العمل . ولهذا يتلقى أفراد الشرطة في الكويت بمختلف

رتبهم وتخصصاتهم ، تدريباً مستمراً على كل ما هو جديد ، في مجال مكافحة الجريمة ، التي أصبحت عصرية متطورة ، ولن يدرك رجال الشرطة أسرارها إلا بالاطلاع والتدريب الجدي المستمر ، والمثابرة على طلب العلم .

يقول العميد خالد المنيس ، مدير عام كلية الشرطة ، عن النظم التعليمية في سلك الشرطة : لقد أنشئت الكلية عام ١٩٦٩ ، وتخرجت أول دفعة فيها عام ١٩٧١ بعد دراسة استمرت عامين ، وكان عدد خريجي أول دفعة ٣٧ ضابطا .

والكلية تقبل الطلاب الحاصلين على شهادة اتمام الدراسة الثانوية ليتخرج الطالب بعد عامين متصلين ضابطا برتبة ملازم ، أما اليوم فإن الكلية تمنح « بكالوريوس » ، بعد دراسة تستمر ثلاث سنوات ونصف سنة ، تتم خلالها دراسة العلوم العسكرية والشرطية والأكاديمية،وكثير من التدريبات العسكرية ، والإعداد الفني والميداني اللازمين للعمل . وقد بلغ خريجو آخر دفعة في الكلية عام ١٩٨٩ (١١٧) ضابطا ، وقد بديء ، منذ عام ١٩٧٨ ، في تنظيم دورات الخريجين الجامعيين الراغبين في الانخراط في سلك الشرطة ، ليتخرجوا ضباطا متخصصين ، وفي البداية كانت مدة الدراسة ستة أشهر ، ثم أصبحت عاما كاملا بدءا من ١٩٨٧ . وقد سمح مؤخراً لخريجي كلية الشرطة بمواصلة الدراسة في كلية الحقوق ، سواء في جامعة الكويت أو غيرها من الجامعات . وبالإضافة لكلية الشرطة هناك معهد ضباط الصف ، لتخريج ضابط صف ، ومدة الدراسة سنة كاملة ، والمعهد يقبل الحاصلين على الشهادة المتوسطة أو مافوقها .

وقد بدأت الدراسة بالمعهد في عام ١٩٧٥ ، وتخرجت أول دفعة في عام ١٩٧٦ ، وقد بلغ عدد الخريجين في ذلك العام (١٩٠) ضابط صف .

أما آخر دفعة تخرجت عام ١٩٨٩ فقد بلغ عدد خريجيها ١٢٢٤ ضابط صف ، انضموا جميعا إلى الإدارات والأقسام بوزارة الداخلية .

وإلى جانب الكلية والمعهد هناك مدرسة أفراد الشرطة ، وهي تقبل الحاصلين على الشهادة الابتدائية ، ومدة الدراسة فيها ستة شهور ، وقد تخرجت أول دفعة عام ١٩٧٤ ، وبلغ عددها ٥٦ خريجا،أما آخر دفعة تخرجت في عام ١٩٨٩ فقد بلغ عددها ٢٢٧ خريجا .

هذا التنوع في مستويات إعداد العنصر البشري مقصود ، ويتم وفق تخطيط ، بحيث يكون كل جهاز رجال الشرطة في الكويت يجيد القراءة والكتابة في الحد الأدنى وملماً بقواعد العمل ونظمه ، ومدرباً تدريبا عمليا ، ومؤهلاً بشكل صحيح ، ليتولى مسئولية الأمن بلا إفراط ولا تفريط .



● الشرطة لأول مرة بالبذلة العسكرية عام ١٩٣٨ .

لتشجيع المواطنين على الانخراط في سلك الشرطة ، والتقدم إلى كلياتها ومعاهدها ومدارسها ، فالدراسة بالمؤسسات التعليمية الثلاث داخلية ، تقدم الطعام والسكن المؤثث ، والملابس العسكرية مجانا ، بالإضافة الى مكافأة مالية شهرية ، تصرف للطلبة الدارسين بكلية الشرطة بواقع ٢٤٠ دينارا (أي ما يعادل ٨٥٠ دولاراً امريكيا) ، و ١٤٠ ديناراً لطلبة معهد





● مجموعة من طلبة كلية الشرطة في أثناء التدريب على الرماية وإلى (أقصى اليمين) طالب ضابط صف يستمع لتوجيهات المدرب في كيفية استخدام البندقية « الاوتوماتيكية » و (أسفل) تمثيل مسرح الجريمة واحد من أهم أجنحة تدريب الطلبة الضباط في كلية الشرطة على كيفية الاستدلال على أول خيط للجريمة



● الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء يتفقد أفراداً من سلك الشرطة ، عندما كان يتولى مهام وزير الداخلية

ضباط الصف (قرابة ٤٩٠ دولاراً) .

ويضيف العميد خالد المنيس فيقول : إن المناهج في المؤسسات التعليمية تخضع للتطوير المستمر ، والتعديل والتخطيط ، وهذا التطوير يتم وفقا لاستقراء رأي قيادات الشرطة بين الحين والآخر حول مستوى الأداء والكفاءة لدى خريجي هذه المؤسسات ، ومدى تناسب ما يتلقون من تعليم وإعداد مع ضرورات الواقع .

بالإضافة إلى مؤسسات الإعداد والتعليم هذه هناك التدريب والإعداد المستمر للضباط في أثناء الخدمة .

معهد كويتي والرواد عرب

معهد تدريب ضباط الشرطة هو أحد المعاهد التي تضمها الإدارة العامة لكلية الشرطة ، وقد أنشيء بتاريخ ١٩٧٧/٣/٢٩ ، بهدف مسايرة التطور في جميع المجالات القانونية والجنائية والشرطية ، لمواجهة أعباء العمل الأمني بكل ثقة واقتدار ، وذلك عن طريق عقد دورات أساسية وتخصصية وتنشيطية ، لضباط الشرطة العاملين بالخدمة ، بغرض تنمية خبرات ضباط الشرطة تنمية علمية وعملية ، مع زيادة كفاءتهم الإنتاجية ، عن طريق الاهتمام بدراسة القضايا والحالات ، والتعرض للمواقف والظروف التي تواجههم في أثناء العمل ، والتدريب على حلها ، مع تمكين الضباط من مسايرة التقدم العلمي والتقني ، والإلمام بالأساليب والوسائل الحديثة المستخدمة في أعمال الأمن والشرطة ، والإسهام في نشر الوعي بأهمية التدريب في حياة الضباط العملية ، مع أهمية تنمية مهاراتهم

الإنسانية والمهنية ، مما يحقق أداء لدورهم الإنساني والشرطي في المجتمع على أكمل وجه ، وربطهم بالحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية المهمة والأحداث الجارية .

والتدريب المستمر في رأى المقدم ابراهيم نغيمش ، مدير معهد تدريب ضباط الشرطة ، هو الوسيلة الوحيدة لمسايرة التطور العالمي ومواكبة كل جديد فيه وبدون التدريب المستمر يتناقص الإنتاج ، وتبدأ بالتالي مشاكل العمل في الظهور دون توافر القدرة على تخطي تلك المشاكل بالأسلوب العلمي الفعال .

أما عن الدورات التي عقدت في هذا المعهد ، منذ انشائه ، فبلغ عددها (٦٠) دورة للعسكريين ، شملت ضباط وزارة الداخلية بدولة الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي والجمهورية العربية اليمنية الشقيقة ، و (١٤) دورة تخصصية لموظفي الأمن بالوزارات والمؤسسات الحكومية وشركة البترول الوطنية ، هذا فضلا عن دورات الموسم الحالي ٨٩/٩٠ التي تشمل (٦) دورات للعسكريين ، ودورة واحدة لموظفي الأمن ببنك الكويت المركزي .

ولا يقف نشاط المعهد عند حد عقد الدورات التدريبية فقط ، بل يتعداه إلى النشاط الأمني الشامل من خلال عقد الندوات العلمية العامة للمتخصصين ، فقد تولى المعهد إدارة ندوتين ، خلال موسم ٨٧/٨٨ ، وأخرى في موسم ٨٨/١٩٨٩ ، وهناك أيضا ندوتان لموسم ٨٩/١٩٩٠ .

وأهم ما يميز النشاط الإداري والتدريبي للمعهد ، خلال الموسمين الأخيرين ، هو الحضور المكثف من جانب كبار الشخصيات والمتخصصين من الجهات الحكومية والعلمية بالدولة ، فمن خلال المحاضرات العامة التي تلقى على الدارسين بالدورات ، ومن خلال حلقات النقاش والندوات التي تعقد بين الحين والآخر ، نجد أن الصلة العلمية والاجتماعية قد توثقت بين الدارسين والمتلقين للمحاضرات ، بحيث أصبحت حلول المشاكل العملية للضباط متيسرة ، وفي متناول اليد ، هذا فضلا عن التعاون المثمر والبناء ، الذي نعده من المكتسبات التي جنيناها من خلال تعاملنا مع تلك الجهات ، كوزارة الخارجية ، والعدل ومكتب النائب العام ، وجامعة الكويت ، والمعاهد التطبيقية .

القطاع الأكثر احتكاكا بالجمهور

إن الإدارة العامة للمرور واحدة من أكثر قطاعات الشرطة احتكاكا بالجمهور وخدمة للناس ، فنتيجة لطبيعة الكويت الجغرافية فالحركة خلالها والانتقال من مكان إلى آخر يتطلب دوماً استعمال المركبات ، وأكثر وسائل النقل شيوعا هي السيارات الخاصة التي يتجاوز عددها ٧٥٠ ألف سيارة في الكويت . وعلاقة الجمهور بالمرور هي أكثر العلاقات مباشرة ويومية ، ومنطق الادارة الدائم هو : نحن أصدقاء الجمهور ومساعدوه لتنظيم تدفق السير وحسن الطاعة للقوانين ، وقد ساعدت إدارة المرور على تسيير عملها هذه الشبكة الرائعة من الطرق التي تعد من أفضل شبكات الطرق في العالم .



● أول مركز للاتصالات خاص بالأمن في الكويت




● الدفاع المدني ويشاهد أحد التدريبات على الإسعافات الأولية وعملية إخلاء الجرحى والتدريب على عملية الإنقاذ باستخدام جهاز القطع بالأوكسجين لمتطوعين في الدفاع المدني

ولذلك فإن حسن العمل والضبط المستمر والحزم في تطبيق اللوائح والقوانين المرورية هو الذي جعل من النظام العام للمرور المتبع بالكويت واحدا من أدق الأنظمة وأكثرها ضبطا . يقول العميد عبد الحميد الحجي ، المدير العام للإدارة العامة للمرور : إن معدل الحوادث في تناقص ، ففي عام ١٩٧٩ كان إجمالي الحوادث ٢٤ ألفا و ٥٥٨ حادثة ، تتفاوت من حالات الاصطدام الخفيف حتى حالات الدهس المؤدي إلى الوفاة . وفي عام ١٩٨٨ أصبح معدل الحوادث ١٨ ألفا و ٣٧٨ حادثة ، مع الأخذ بعين الاعتبار زيادة معدل السيارات في الكويت . وتحقق الإدارة العامة للمرور أهدافها ورسالتها من خلال التطبيق الصارم للقانون والمراقبة الدقيقه للطرقات والشوارع وحملات التوعية المستمرة لقائدي المركبات والمشاة .

وعلى سبيل المثال فمخالفة تجاوز الإشارة الضوئية لا يتم التسامح فيها ، وعقوبتها تصل إلى سحب رخصة القيادة لمدد متفاوتة ، وقد تصل إلى ستة شهور ، مهما كانت الأسباب ولو تكررت مخالفة السائق الحسيمة بشكل ملحوظ فإن هناك عقوبة لغير الكويتيين ، قد تصل إلى إبعاده إداريا عن الكويت .

وتستخدم الإدارة العامة للمرور أحدث الأساليب التقنية لمراقبة الطرق وحسن السير ، وهناك مشروع سيطبق قريبا للتحكم المركزي للتنظيم ومراقبة حركة السير . وحول هذا النظام الحديث التقني يقول المقدم مصطفى جمعة ، مدير العمليات بالإدارة العامة للمرور :

إنه تم البدء في دراسة الجدوى لهذا المشروع الرائد ، ففي شهر اكتوبر عام ١٩٨٦ شكلت لجنة فنية لتقييم مواصفات مشروع الإدارة


● العميد عبد الحميد الحجي


● العقيد خالد القعود


● المقـدم مصطفى جمعـة

والتحكم المركزي للإشارات الضوئية ، وذلـك برئاسة بلدية الكويت ، وعضوية كل من وزارة الأشغال العامة ، والإدارة العامة للمرور ، ووزارة المواصلات ، وشركة النقل ، ومعهد الأبحاث العلمية . وكان الهدف من تشكيل اللجنة هو إعادة طرح المشروع بعد توقفه مدة أربع سنوات تقريبا . ولضرورة الإسراع في تنفيذه ، خصوصا بعد أن أشرفت معظم مشاريع الطرق السريعة وتقاطعاتها المحكومة بالاشارات الضوئية على الانتهاء ، وكذلك على الرغم من كفاءة شبكة الطرق القائمة والمقترحة ، والحل الأمثل لتنظيم حركة المرور ، والحد من الاختناقات المرورية . وقد بدأت الإدارة العامة للمرور في تنفيذ مشروع النظام المركزي الذي يشكل نواة لنظام معلومات متكامل عن حركة المرور بشبكات الطرق ، كما أنه يوفر المتطلبات الأمنية الاجتماعية ، وسيتم البدء في الاستفادة من عرفة العمليات المركزية هده في بداية شهر مارس الحالي .

المركبة وقائدها

ولضمان حسن السير على الطرق ، فإن نظام منح التراخيص لقائدي السيارات أو المركبات واحد من أدق النظم المعمول بها على مستوى العالم بشهادة خبراء مرور من مختلف الجنسيات .

واختبار منح ترخيص القيادة يتم على مرحلتين : نظرية وعملية ، وهو اختبار يبلغ من دقته وصرامته أن حامل رخصة القيادة الكويتية يستطيع أن يستبدلها في كثير من البلدان العربية والأوربية دون اختبار مشابه ، وهناك أيضا فحص فني للسيارات يتم كل عام ، لاختبار صلاحية السيارة « ميكانيكيا » ، ولياقتها من حيث الشكل ، وكفاءة العمل . هذا النظام الدقيق كفل قدرا كبيرا من الإحساس بالاطمئنان والأمن للراكبين وللمشاة معا .

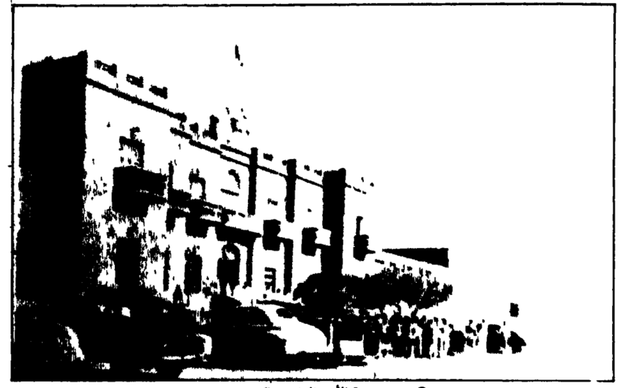


● أمير الكويت الراحل الشيخ صباح السالم الصباح أول رئيس لدائرة الشرطة العامة ، وبجانبه سكرتير الدائرة في ذلك الوقت ، المستشار بالديوان الأميري حاليا ، الأستاذ عبد الرحمن العتيقي .

التخطيط الأمني الشامل

أصبحت ضرورة إعداد المواطن لمواجهة الكوارث الناشئة عن عوامل الطبيعة أو الحروب أو الناجمة عن أخطار الصناعات الضخمة والمعقدة وحوادثها اعدادا فعالا أمرا لا مفر منه ولا نزاع فيه ، وأصبح المعترف به أنه مهما بلغت درجة تدريب الاخصائيين وموظفي إدارات الأمن العامة لا تتحقق الأهداف المرجوة إلا إذا كان المواطن على علم تام بأمور الحماية المدنية ، وغالبا ما تعود أسباب الخسائر في الأرواح والممتلكات ، في حالات الكوارث والحروب والحوادث الصناعية ، إلى الجهل وعدم الإعداد للمواطن ، وغياب التخطيط الأمني الشامل .

عن فلسفة الدفاع المدني في الكويت يحدثنا العقيد خالد القعود ، مدير عام الإدارة العامة للدفاع المدني ، فيقول : الحماية المدنية مسئولية جماعية ، يشارك فيها كل المواطنين والمسئولين ، وتنفيذ أعمال الدفاع المدني لا يمكن أن يقوم بها جهاز رسمي فقط ، ولكن النجاح الحقيقي يتم بمساعدة المدنيين المتطوعين والمتدربين على أعمال الدفاع المدني ، المنتشرين في المؤسسات المختلفة ، وأهمية هؤلاء المتطوعين تكمن في ما تسميه كسب عنصر الزمن ، فدائما هناك زمن بين الإبلاغ عن الحادث (حريق أو انهيار مبنى أو سقوط طائرة) وبين تلبية الأجهزة الرسمية ، وهذا الزمن مهما قل فهو يكلف خسائر مادية وبشرية ، ودور الدفاع المدني الذي أعنيه هنا هو العمل على التقليل إلى حد كبير من هذه الخسائر ، والعمل على تلافيها . والعمل في القطاع الدفاع المدني يتم على مراحل وتصنيفات فنية ، ففي البداية هناك مرحلة الوقاية ، وهي تشمل كل النشاطات التي تحول أو تخفف من احتمال وقوع الحوادث . والمرحلة الثانية هي التخطيط لإنقاذ الأرواح ، وتقليل الضرر ، إلى أقل حد ممكن ، واتخاذ الاجراءات لتعزيز التجاوب مع عمليات الطوارىء ، وتشمل هذه المرحلة دراسة مخططات البنايات ، وإنشاء



● مبنى مديرية الأمن العام في الكويت القديمة

الملاجيء ، واختيار صلاحيات أجهزة الإنذار . والمرحلة الثالثة هى الاستجابة ، وهي تشمل النشاطات الخاصة بتجهيز المساعدة لدى وقوع الإصابات ، ولتخفيف إمكانية حدوث أضرار ثانوية . والمرحلة الرابعة هي مرحلة التسوية القصيرة الأجل ، وهي مرحلة النشاطات والانتقادات ، وإعادة نظم دعم الحياة الحيوية إلى الحد التشغيلي الأدنى على الأقل . ثم المرحلة الأخيرة ، وهي مرحلة التسوية الطويلة الأجل ، وهي تشمل إعادة النشاطات إلى شكلها الطبيعي أو إلى مستويات أفضل . هذه المراحل كلها لا يمكن أن تتم دون جهود المتطوعين ودون التوعية الإعلامية ، ولذا فقد بدأت إدارة الدفاع المدني في فتح باب التطوع لأعمال الدفاع المدني في عام ١٩٨٨ م ، فتقدم ٧٠٠٠ آلاف متطوع من الجنسين ، تم تقسيمهم على دورات ، تخرجت الدورتان : الأولى والثانية ، وقدمتا ٦٠٠ متطوع ، ويجري العمل الان في الإعداد والتدريب للدورة الثالثة ، وهي دورات تضم متطوعين من الرجال والنساء .

ويضيف العقيد خالد القعود : إن أجهزة الدفاع المدني تستخدم أحدث سبل التقنية في المعلومات والاتصالات ، حيث إن السرعة والدقة هما أبرز صفات الدفاع المدني وأكثر ما يجب أن يتميز به .

نصف قرن من العطاء والأمان

وليست هذه كل قطاعات الشرطة وأجهزة الأمن في الكويت ، ولكنها نماذج لبعض أجهزة الشرطة ، توضح كيف تطورت خدمات الأمن في نصف قرن ، وكيف أصبحت على مستوى رفيع من الكفاءة ومتابعة أحدث ما في العصر ، لضمان استقرار القانون ، وحسن تطبيقه ، وسيادة الأمن فوق أرض الكويت ، لتمنح أبناءها والمقيمين عليها إحساسا بالأمان والطمأنينة ، وما أهمه من إحساس ، وما أعظمه من عمل قامت به أجهزة الشرطة على مدى نصف قرن كامل ، فساهمت لتجعل الكويت وطنا للسلام والخير والأمان . □

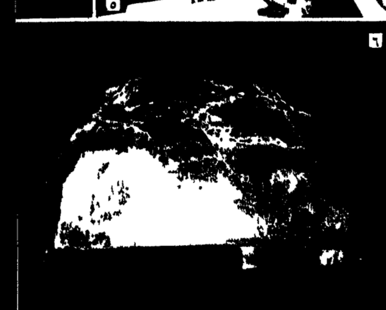


● انية تم العثور عليها في سعية (باراتي)

● كاتب من القطر العربي العراقي







١ حسد السفسه وبعض الأواني

٢ يد تحمل شيئا تم استحراحه من السفسه وهو قطعه من تمثال

٣ منطر للسفسه تحت الماء

٤ أحد أعضاء فريق السفسـ تحمل قطعه

٥ البروفسور سكوسا وأحد مساعديه يفحصان علبة فضيه

٦ الطاسه الرحاحيه الملونة

لم يصدق رئيس فريق التنقيب عن الآثار البحرية عينيه وهو يشاهد قطع العملة الفضية والاسطوانات الخشبية التي مازالت تحمل رائحة التوابل النفاذة ، وهي ترقد داخل جسد السفينة العربية الغارقة . هذه السفينة صفحة مجهولة من صفحات التاريخ العربي ، ترقد في أعماق البحر الأبيض المتوسط ، قرب الشواطيء الإيطالية اكتشفها فريق إيطالي للتنقيب عن الآثار البحرية . لنقرأ معاً .

في الشهور الأولى من العام الماضي نقلت أجهزة الإعلام الايطالية خبرا عن مهاجمة سمكة قرش بيضاء رجلا كان يمارس رياضة الغطس برفقة ولده ، وأحد أصدقائه . وعلى الرغم من أن بعضهم أشار إلى عدم وجود سمكة قرش مفترسة في تلك المنطقة ، « خليج باراتي ، قرب جزيرة ايلبا الايطالية » ، فإن رواية الابن لعملية افتراس الوحش البحري لوالده كانت تجعل البدن يقشعر . وقد قامت سلطات خفر السواحل والبحرية الايطالية بمراقبة المنطقة ، والبحث عن سمكة القرش ، إلا أن الجهود ذهبت هباءً ، وكأن ذلك الوحش البحري اكتفى بازدراده جسد ذلك الرجل طعاما يكتفي به مدة طويلة من الزمن . إلا أن عدم اكتشاف أو مشاهدة سمكة القرش أثقل كفة الافتراض القائل : بأن جسد الرجل قد تمزق بفعل انفجار قنبلة بحرية كان يريد استخدامها لصيد السمك ، وهو عمل ممنوع بفعل قانون الصيد في إيطاليا ، كما أن الذين عثروا على بعض ما بقي من الرجل لم يكتشفوا أي أثر لأنياب سمك القرش .



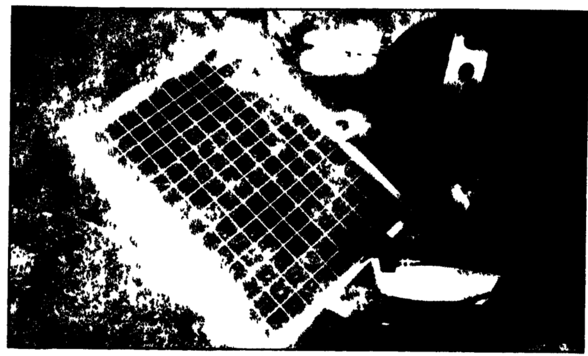
هذا الخبر مثل غيره من الأخبار ، ملك عمره الخاص على صفحات الصحف ، وانتقل بالتدريج من الصفحة الأولى إلى صفحات الأخبار الداخلية ، فصفحة السياحة ، ومن ثم إلى صفحة الفرائد والغرائب ، وأخيراً إلى « الارشيف » ، بانتظار أن يكون مثالاً أو مصدراً في حالة وقوع حادث مشابه له .

ذات نهار في أغسطس

وذات نهار من شهر أغسطس كانت تتقدم بنا سيارة البروفيسور فرانتشيسكو نيكوسيا ، المفتش العام للممتلكات الأثرية بمقاطعة توسكانا ، بسرعة وئيدة لتكشف لنا عن صفحة البحر رويداً رويداً . إنه خليج يشبه طبقاً تحيط به الأرض الخضراء الرطبة ، وقد تشتتت في أرجائه مدافن وقبور كثيرة ، تعود إلى عهد الاتروسك والرومان .

أشارت « دونا تيللا ساندريللي » مسؤولة العلاقات مع الصحافة ، إلى قارب صغير على بعد ميل واحد من الساحل البحري ، وقالت : تلك هي ناعدتنا .

في الأيام الأولى من وصولنا ، كان أصحاب الفنادق والمطاعم في هذه المنطقة السياحية النشيطة الحيوية يتأوهون ويتذمرون بسبب الكساد الذي أصاب عملهم ، نتيجة حادث سمكة القرش التي يفترض أن تكون قد افترست أحد الغطاسين . أما الآن ، وبعد عمليات



● إجراء القياسات تحت الماء

الغطس المتعددة التي يقوم بها خبراؤ نا ، وأقوم بها شخصياً ، فقد اكتسب الناس نوعا من الثقة .

وأسأله مازحا : ولكن بروفيسور ، كم هو طول سمكة القرش تلك ؟ وهل تصادقت معها فلم تعد تؤذيك وفريق خبرائك ؟

يضحك البروفيسور ، لكنه يعود جادا ، فخورا باكتشافه الذي يرقد على عمق عشرين مترا تحت مياه المتوسط : لم أرها حتى الآن ، ولست متأكدا من وجودها ، لكنني متأكد من وجود السفينة ، وهي سفينة عربية بالتأكيد ، ومتأكد من حمولتها الثمينة أيضا .

ذهبنا للبحث عن هذة السفينة إلى خليج باراتي ، للحديث مع البروفيسور نيكوسيا وفريقه من الخبراء والفنيين .

ثقب في جدار البوسيدونيا

ويقول البروفيسور نيكوسيا : لكن سفينتنا العربية هذه ـ يقول ذلك وهو مقتنع بأنها سفينة عربية جاءت من الشرق ـ قد علمنا بوجودها قبل ما يقرب من عشرين سنة ، عندما عثرنا لدى بعض لصوص الآثار على بعض القطع . وكان هؤلاء قد تمكنوا من ثقب جدار « البوسيدونيا » ، والدخول إلى مكان السفينة . والبوسيدونيا : طحلب بحري ، له جذور سمك الواحد منها أصبع واحد ، وتتشابك هذه الجذور عندما تنمو وتصعد إلى الأعلى ، وتتباين ارتفاعاتها حسب المواقع . وقد كانت سفينتنا هذه مغطاة بجدار من البوسيدونيا ، ارتفاعه بين مترين إلى أربعة أمتار ، وكان جدارا يشبه الأسمنت .

وكان من الصعب العثور على السفينة ، لكن الصدفة وحذاقة لصوص الآثار أوصلتهم إليها . قمنا بالحملة التنقيبية الأولى في عام ١٩٨٢ ، وقد عثرنا على أوان وطاسات زجاجية جميلة رقيقة ، يبدو عليها أنها من إنتاج سوري أو فلسطيني ، وكذلك عثرنا على آنية جميلة من البرونز ، وكثير من القطع الخزفية ، بالإضافة إلى أداة طبية تشبه « المبضع » . وأضاف :

لكننا لم نستطع مواصلة البحث آنذاك لأسباب عديدة ، إذ لم يكن التمويل كافياً ، وكان من



● قطعة فضية تم حملها إلى السطح

الصعب العثور على فرقة تنقيب جيدة ، كما كانت لدينا حملات والتزامات أخرى . وأخيرا استطعنا العودة هذه السنة لمواصلة التنقيب .

وسألت البروفيسور نيكوسيا :

« قلت بأن تلك الطاسات والأواني الزجاجية تبدو كأنها من إنتاج سوري أو فلسطيني » . كيف كونت هذه القناعة ؟

- لقد توصلنا إليها من خلال تفحص أشكالها ، والتشابه الموجود بينها وبين مصنوعات المنطقة الشمالية الشرقية من الشرق الأوسط ، حيث توجد أشباه لها .

* في أي عمق ترقد السفينة الآن ؟ ومتى بدأت حملتكم هذه ؟

- السفينة راقدة على عمق ١٨ - ٢٠ مترا . وحملتنا هذه بدأت في الثالث من تموز (يوليو) ١٩٨٩ م ، وانتهت في السابع عشر من شهر آب (أغسطس) من العام نفسه ، وقد قمنا في البدء برفع أكياس الرمل التي كنا قد وضعناها على السفينة في عام ١٩٨٢ لحماية السفينة ، بعد ذلك بدأنا برفع الأغطية ، فوجدنا ألواحا خشبية من جسد السفينة ، وفي داخل هذه الألواح المتناثرة وجدنا قطعا فضية .

* وهل أصابها الصدأ ؟

- كلا ، بل إنها متسخة ومتآكلة ولكن بحالة جيدة . ووجدنا كذلك صفائح من الرصاص ، كانت تستخدم لطلاء جسد السفينة وتغطيته ، عثرنا كذلك على أباريق وملاعق ومزهريات ، وكان بعض الأباريق يحتوي على المصفاة المركبة في داخلها .

لحظات قبل الغرق

* هل تعتقد أنها كانت سفينة تجارية ؟

- هذا مؤكد ، ويحتمل أن تكون جميع هذه الأواني داخل صندوق خشبي رمي في البحر عندما كانت السفينة موشكة على الغرق ، مثل باقي الصناديق الأخرى . ومن المؤكد أيضا أن الغطاسين القدماء قد خلصوها من الأمواج ، إلا أن صندوقنا هذا سقط تحت جسد السفينة ، بينما كانت تغطس إلى الأعماق ، فلم يكن بإمكان الغطاسين رؤيته والعثور

عليه . داخل العلب الفضية وجدنا علباً واسطوانات مصنوعة من الخشب ، محكمة الإغلاق ، ومدورة بشكل دقيق . وداخل هذه الاسطوانات توابل وروائح وعطور ، ويبدو أن هذه التوابل والعطور كانت ثمينة ، لأن من كان يحملها قد حفظها في اسطوانات خشبية دقيقة الصنع ، وضعت داخل علب فضية . وما هو مثير للدهشة أن الخشب بحالة جيدة .

السفينة ليست سفينة حمولة ، بل هي سفينة سريعة ، وليست حربية ، وكانت مخصصة للنقل السريع ، طولها ١٨ مترا ، وعرضها ما بين ٦ ـ ٨ أمتار . وليس فيها آثار أو بقايا بشرية ، الأمر الذي يؤكد أن راكبيها استطاعوا مغادرتها قبل أن تغرق نهائيا ، وقد ساعدهم على ذلك أنها غرقت قرب الميناء ، وعلى بعد يقل عن نصف ميل .

* وماذا عن خشب الاسطوانات ؟

ـ هذا هو السؤال الأول لدينا ! إنه خشب أبيض صلد ، كما أن هناك خشباً أحمر . إنها اسطوانات مدورة بشكل دقيق كما أسلفت ، وهي كثيرة العدد ، وهذا يفترض وجود مشغل محدد أنتجها .

* وهل سبق أن تم العثور على اسطوانات مشابهة لها في حملات تنقيب أخرى ؟

ـ لقد تحدثت قبل قليل مع المختص في هذه الأمور ، فأكد لي أنه لم يسبق له أن شاهد ما هو شبيه بها . وبالتأكيد من الصعب العثور على قرابة بين هذا النوع من الخشب وأنواع الأخشاب الموجودة في ايطاليا . وسيقوم « المعهد الوطني لدراسة الخشب » بفحص واحدة من هذه الاسطوانات ، وسيخبرنا عن نوعيتها .

* إلى أي تاريخ يمكن أن تعود السفينة ؟

ـ إلى مائة عام قبل الميلاد . وعلى أي حال فهو تاريخ قديم جدا ، لكنه تاريخ غرق السفينة ، ومن يعلم بكم سنة قبل ذلك قد سبق بناؤها غرقها ؟ فلو أخذنا بعين الاعتبار طريقة إنتاج السفن في تلك الفترة لأمكن أن نتوقع أن تكون السفينة أقدم من ذلك بما لا يقل عن قرن من الزمان .

* وعمّ سيتركز البحث القادم ؟

ـ لقد استخرجنا من السفينة كل ما فيها ، وسنقوم بالدراسة والتحليل لجميع المواد التي توافرت لدينا ، من الخشب إلى الفضة والتوابل والعطور ، وسنحاول من خلال هذه الدراسة أن نعرف من أين جاءت هذه السفينة ، لكن ما لن نعرفه على الإطلاق هو : إلى اين كانت متجهة ؟

* وهل هناك إمكانية لأن تستعينوا بمعهد عربي أو بمختصين من العرب ؟

ـ الرغبة لدينا في هذا المجال عميقة ، فحبذا لو تقدم من يعرف الأمور أفضل منا .

* وما الجديد الذي تتوقعون الوصول إليه ؟

ـ بالتأكيد هناك الكثير ، فما تزال هذه الاسطوانات الخشبية تحتفظ بعبيرها ، وعطر المادة التي في داخلها على الرغم من القرون . ربما سنتوصل إلى أسماء العطور والتوابل ، وإلى طريقة تسويقها ، وربما سنجد توابل وعطوراً اختفت عن وجه البسيطة . لكننا لن نفتح أي اسطوانة منها ما لم نكن متأكدين من عدم الإضرار بها وبمحتوياتها . □

أرقام لها معنى



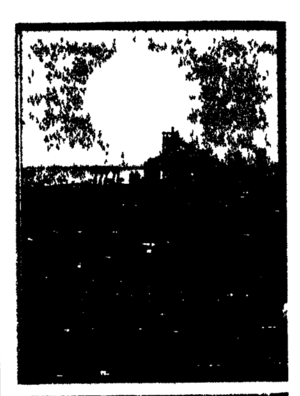
× تصنع مصانع ألمانيا وفرنسا مليون عين صناعية كل سنة .
× دار الكتب البريطانية تحتوي على ٢/١ ٥ ملايين مجلد .
× قيمة الأوقية من الراديوم ٣٠ ألف جنيه ، والرطل من الراديوم يكفي لعلاج ٧ ملايين مريض والاكتشاف لمدام كوري وزوجها .
× ١٢ ألف عامل بنوا الجامع الأموي في دمشق .



بقلم الدكتور أمين حامد مشعل *

كان الصيف الماضي حارا شديد القيظ ، وارتفعت الأصوات تشكو من الحر ، حتى في بلدان لم تألف إلا البرودة والاعتدال . وبينما ذهب بعض إلى أن ارتفاع الحرارة ظاهرة مناخية ، تخضع لحركة الشمس وأشعتها ، فإن العلم يثير قضية مهمة ، تقول ببساطة «إننا نحن البشر مسئولون مسئولية كاملة عن هذا الاختلال الذي لو استمر لهدد باختفاء جزء من العالم الذي نعيش فيه » .

* أخصائي برامج اليونسكو لعلوم البحار والبيئة بالدول العربية







ارتفاع درجة الحرارة ظاهرة مناخية أم مسؤولية بشرية ؟

الأرض كوكب دافيء ، يبلغ متوسط درجة حرارته ما يقارب ١٥°م ، ويمكن عد هذا المتوسط ثابتا تقريبا على مدى سنين طويلة ، وذلك على الرغم من أن الأرض تدور في فضاء قارس البرودة ، ذي درجة حرارة تقدر بحوالي (-٢٧٠°م) ولكي تحتفظ الأرض بحرارتها فلابد من وجود مصدر يمدها دائما بالطاقة الحرارية ، وهذا المصدر هو الشمس وتقدر كمية الحرارة التي تتلقاها مساحة قدرها (١سم٢) ، خارج الغلاف الجوي ، عمودية على اتجاه أشعة الشمس ، بما يقارب « سعرتين » في الدقيقة الواحدة ، وهو ما يسمى الثابت الشمسي وتنتقل طاقة الشمس للأرض على هيئة أشعة قصيرة الموجة ، وتمتص الأرض جزءا منها ، فتسخن ، وتشع هي نفسها إشعاعا حراريا طويل الموجة ، ولكي يوجد توازن حراري للأرض يجب أن تتساوى كمية الحرارة التي تمتصها الأرض من الأشعة الشمسية القصيرة الموجة ، خلال فترة زمنية محددة ، مع كمية الحرارة التي تفقدها على هيئة إشعاع مرتد ، طويل الموجة ، خلال الفترة نفسها ولا يمنع هذا التوازن الحرارى وجود تغيرات يومية وفصلية ، فقد تكسب أجزاء من الأرض كمية من الحرارة ، خلال النهار أو خلال الصيف ، أكثر مما تفقده خلال الليل أو الشتاء ، ولكن التوازن الحراري يتحقق للأرض ككل خلال فترة زمنية طويلة ، ويلاحظ أنه عند خطي عرض ٤٠° شمالا أو جنوبا تتعادل كمية الحراره التي تكسبها الأرض مع كمية الحرارة التي تفقدها للفضاء الخارجي ، أما في المناطق الموجودة إلى الشمال من خط عرض ٤٠°م شمالا ، أو إلى الجنوب من خط عرض ٤٠ م جنوبا ، فإن كميه الحرارة التي تفقدها الأرض أكثر من كمية الحرارة التي تكسبها ، ولذلك فهي مناطق باردة ، في حين تزيد كمية الحرارة المكتسبة عن كمية الحرارة المفقودة ، في المنطقة الواقعة بين خطي العرض ٤٠°م شمالا وجنوبا ، ولذلك فهي مناطق حارة ، وتنتقل الحرارة من المناطق الحارة إلى المناطق الباردة ، عن طريق الجو ، وعن طريق البحر

عندما تسخن الأرض

لو افترضنا أن كمية الأشعة الشمسية ذات الموجة القصيرة التي تسقط على كوكب الأرض تساوي ١٠٠ وحدة فإن :

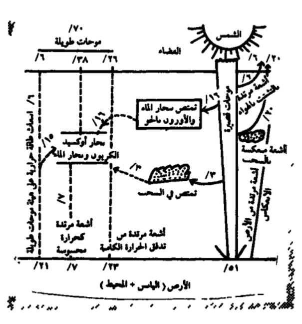
١) ٣٠٪ منها يرتد مرة أخرى إلى الفضاء الخارجي ، تفصيلها كالآتي :
٦٪ مرتد بتشتيت الهواء والسديم ، ٢٠٪ ينعكس بالسحب ، ٤٪ يعكسه سطح الأرض .
٢) ١٩٪ منها يمتص في جو الأرض على النحو التالي :
١٦٪ يمتصه بخار الماء والأوزون والغبار الموجود في الجو ، ٣٪ تمتصه السحب .
٣) ٥١٪ منها تمتصه الأرض .

ويؤدي امتصاص الأرض لهذا المقدار (٥١٪) من أشعة الشمس قصيرة الموجة إلى تسخينها ، ومتى سخنت الأرض فإنها تشع طاقة حرارية ، تتجه نحو الفضاء الخارجي ، على هيئة إشعاع طويل الموجة على النحو التالي :
أ) ٢١٪ منه يرتد من الأرض إلى الجو ، حيث يقوم ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء بامتصاص ١٥٪ منه ، أما الباقي وهو ٦٪ فيكمل طريقه صاعدا نحو الفضاء الخارجي .
ب) ٧٪ منه يرتد من الأرض - على هيئة أشعة محسوسة - إلى الجو ، وهناك يمتصه ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء .
جـ) ٢٣٪ منه يرتد إلى الفضاء الخارجي مباشرة .

ويضاف إلى هذه الإشعاع الطويل الموجة المرتد من الأرض الآتي :
١٩٪ من الإشعاع الطويل الموجة يرتد نحو الفضاء الخارجي كالتالي :
٣٪ تشعه السحب ، ١٦٪ يشعه بخار الماء والأوزون الموجودان في الجو .

وبذلك نرى أن كمية الإشعاع المرتد للأرض هي ٣٠٪ أشعة قصيرة الموجة ، ٧٠٪ إشعاع طويل الموجة

ومن هنا نرى وجود توازن حراري دقيق للأرض ، وهذا ما يؤدي إلى احتفاظ الأرض بمتوسط درجة حرارة ثابتة تقريبا . ويعمل الغلاف الجوي على احتفاظ الأرض بدرجة حرارتها ، وعدم تسربها للفضاء الخارجي ذي البرودة الشديدة ، ولشرح ذلك يجب أن نلقي نظرة سريعة على تركيب الغلاف الجوي المحيط بالأرض الذي يتركب من مجموعة من الغازات ، بعضها ذو تركيز كبير ، مثل النيتروجين والأوكسجين والأورجون ، حيث تبلغ نسبها حجما حوالي ٧٨٪ ، ٢١٪ ، ١٪ على الترتيب ، وبعضها الآخر ذو تركيز غاية في الضآلة ، مثل ثاني أكسيد الكربون ، وبخار الماء . وعلى الرغم من ضآلة تركيز هذه الغازات النادرة فإن وجود كل منها ، بتركيز محدد ، يُمَكِّن الغلاف الجوي من تأدية وظيفته على الوجه الأكمل ، وغياب أي من هذه المكونات النادرة ، أو حدوث أي تغيير في تركيزاتها ، يؤثر تأثيرا قويا على وظيفة الغلاف الجوي ، ومن ثم على مناخ الأرض . ومن دراستنا للتوازن الحراري للأرض نجد أن الغازات النادرة تعمل على المحافظة على حرارة الأرض ، ومنع تسربها



خطط يمثل دورة التوازن الحراري للأرض

للفضاء الخارجي ، إذ يقوم بعضها بامتصاص جزء من الإشعاعات المرتدة من الأرض ، ويؤدي ذلك إلى سخونة هذه الغازات ، فتشع حرارة في كل الاتجاهات ، ويتجه نصفها تقريبا نحو الأرض مرة أخرى ، فتعمل على الحفاظ على درجة حرارتها . كما يعمل الغلاف الجوي والغلاف المائي للأرض على الحد من التفاوت الكبير ، بين درجات حرارة النهار والليل ، والصيف والشتاء ، وهذا ما يجعل الأرض موطنا صالحا للحياة ، ويمكننا أن نقدر أهمية الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض إذا قارنا جو الأرض بجو القمر ، فالقمر يبعد المسافة نفسها تقريبا التي تبعدها الأرض عن الشمس ، ولكن لا يحيط به غلاف هوائي ، ولا يحتوي على بحار ، ولذلك فهناك تفاوت كبير بين درجتي حرارته العظمى والصغرى ، فترتفع درجة حرارته إلى ١٠٠°م في نهاره الطويل الذي يبلغ حوالي أربعة أسابيع ، ثم تهبط درجة حرارته إلى (-١٥٠°م) في ليله الطويل أيضاً ، ولا يرجع وجود هذا المدى الكبير في درجة حرارة القمر الذي يصل إلى ٢٥٠°م إلى طول ليله وطول نهاره فقط ، ولكن السبب الرئيس هو عدم وجود غلاف هوائي حول القمر . ويبلغ متوسط درجة حرارة القمر ما يقارب ٢٥°م . ويعتقد العلماء أنه لو انعدم الغلاف الجوي حول الأرض لأصبح متوسط درجة حرارتها ٢٥°م ، مثل القمر . ونظرا لأن متوسط درحة حرارة الهواء فوق سطح البحر يبلغ ١٥°م تقريبا ، فهذا يعني أن الغلاف الهوائي يعمل على تدفئة الأرض بمقدار ٤٠°م ، كما يعمل على توزيع الحرارة بين أجزاء الأرض المختلفة ، ويساعده في ذلك الغلاف المائي ، مما يقلل من التفاوت الكبير في درجات حرارتها .

وللغازات النادرة الموجودة في الغلاف الجوي أهمية خاصة في الحفاظ على درجة حرارة الأرض ، ولو كان الغلاف الجوي خاليا من الغازات النادرة ، واقتصر تكوينه على النيتروجين والاوكسجين فقط اللذين يشكلان ٩٩٪ من حجمه ، لأصبحت درجة حرارة سطح الأرض حوالي (-٢٠°م) ، نظرا لأن النيتروجين والأوكسجين لا يمتصان إلا القليل من الإشعاعات تحت الحمراء .

نشعلها بأيدينا

إن النشاطات البشرية ، مثل حرق الغابات وحرق الوقود وإطلاق الغازات المختلفة للجو ، لا تؤثر على تركيز الغازات الرئيسة في الغلاف الجوي ، نظرا لأن تركيزها كبير ، ولكن هذه النشاطات تؤدي إلى تغييرات محسوسة في تركيز الغازات النادرة ، ذات التركيز الضئيل ، وأي زيادة في تركيز الغازات النادرة في الغلاف الجوي ستؤدي إلى امتصاصها كمية أكبر من الحرارة ، ثم إعادة جزء منها للأرض مرة أخرى ، فتعمل على رفع درجة حرارتها . ويمكن تشبيه عمل هذه الغازات النادرة بعمل الألواح الزجاجية في البيوت الزجاجية ، إذ تسمح هذه الألواح الزجاجية بمرور أشعة الشمس القصيرة الموجة ، ولكنها تمنع مرور الإشعاع الحراري الطويل الموجة ، فترتفع درجة الحرارة في البيوت الزجاجية . ولعل هذا هو السبب في تسمية ظاهرة تسخين الأرض « تأثير البيوت الزجاجية Greenhouse Effect » . ويعد ثاني أكسيد الكربون هو المسبب الرئيس لحدوث ظاهرة تسخين الأرض ، ونظرا لأنه الغاز الذي تعرف عليه العلماء أولا بعّده المسبب الأساس لهذه الظاهرة ، فقد اتخذ معيار تقاس به تأثيرات بقية الغازات النادرة المسببة لسخونة الأرض . وقد نبه العلماء ، منذ أكثر من مائة سنة ، إلى أن أي زيادة في تركيز ثاني أوكسيد الكربون ستؤدي إلى رفع درجة حرارة الأرض ، ولذلك فقد ظهر اهتمام عالمي بقياس ثاني أوكسيد الكربون في الجو . ويقدر العلماء أن تركيز ثاني أوكسيد الكربون كان حوالي ٢٧٠ جزءا من مليون في عام ١٨٥٠ ، ثم أصبح ٣١٥ جزءا من مليون عام ١٩٥٧ ، ويريد تركيزه الآن عن ٣٤٥ جزءا من مليون ، ويزداد بمعدل ١٫٥ « جزء » ونصف جزء من مليون في السنة .

ومصادر ثاني أوكسيد الكربون الأساسية هي

حرق الـوقـود ، وبخـاصـة الفحم ، وحـرق الغابات ، أما وسائل استنفاده ، أو سحبه ، من الجو فهي ذوبانه في مياه المحيط ، وامتصاص النبات له في عملية التمثيل الضوئي ، وإذا زاد إنتاج ثاني أوكسيد الكربون ، بفعل النشاطات البشرية ، عن وسائل استهلاكه أو استنفاده فإن تركيزه سيزيد في الجو ، ونظرا لأن استهلاك العالم من الوقود يزداد عاما بعد عام فإن إنتاج ثاني أوكسيد الكربون يزداد أيضا.

وقد اختلفت آراء الخبراء في الستينيات عن مدى تأثير زيادة تركيز ثاني أوكسيد الكربون في الجو على متوسط درجة حرارة الأرض ، وذلك طبقا للفروض التي وضعها كل منهم . فقرر بعضهم أن متوسط درجة حرارة الأرض سيزيد بمقدار (١°م) . إذا تضاعف تركيز ثاني أوكسيد الكربون في الجو ، عما كان عليه في عام ١٨٥٠ . وقدر بعضهم الآخر هذه الزيادة بعشر درجات مئوية . وفي السبعينيات تمكن العلماء من تقليل هذا التفاوت ، بحيث أصبحت الزيادة تتراوح بين (١,٥°م) ، (٢,٤°م) . وهناك شبه إجماع حاليا على أن تضاعف تركيز ثاني أوكسيد الكربون عن مستواه الذي كان سائدا في عام ١٨٥٠ سيؤدي إلى رفع متوسط درجة حرارة الأرض بما يقارب (٢°م) .

خطر قادم

بجانب ثاني أوكسيد الكربون هناك غازات أخرى ، تؤدي زيادة تراكمها في الجو إلى رفع متوسط درجة حرارة الأرض ، نظرا لأنها تمتص كمية كبـيرة من الأشعـة تحت الحـمـراء ، فتسخن ، وتشع حرارة يتجه بعضها نحو الأرض ، وتسهم في سخونتها . وقد بينت دراسة ، أجرتها الأكاديمية الوطنية للعلوم بأمريكا ، أنه إذا استمر إطلاق مركبات الـكلوروفلوروكـربـون (ك ف ك) إلى الجـو بالمعدل نفسه الذي كان سائدا في عام ١٩٧٣ ، فإنه ، بحلول عام ٢٠٠٠ ، سيكون تأثيرها في تسخين الجو معادلا لحوالي ٥٨٪ من تأثير ثاني أوكسـيد الـكـربـون ، ولكن إذا زاد إنتـاج



(ك ف ك) بمعدل ١٠٪ في السنة فإن تأثيرها ، عند نهاية القرن الحالي ، سيفوق تأثير ثاني أوكسيد الكـربـون النـاتـج من النشـاطـات البشرية . وذكر الخبراء أن أي زيادة ، ولو بنسبة ضئيلة في كمية (ك ف ك) التي تطلق إلى الجو ، سيؤدي إلى تغييرات مناخية شديدة ، ومن المعروف أن إطلاق (ك ف ك) إلى الجو يسبب أيضا اضمحلال طبقة الأوزون في الجو وتآكلها ، وهذا يؤدي إلى زيادة كمية الأشعة الشمسية الواصلة إلى الأرض .

ولكن ماذا تعني زيادة متوسط درجة حرارة الأرض ؟ وماذا يترتب عليها ؟ ولماذا هذا الاهتمام بها ؟ . . إن تغير مناخ الأرض ـ من الظروف التي نعرفها حاليا ـ إلى ظروف أخرى ، أشد حرارة ، قد لا يكون مريحا لكثيرين من سكان الأرض ، وسيترتب عليه بعض العواقب . إن ساكني الأرض متعودون على تفاوت في درجة حرارة الأرض بين النهار والليل ، وبين الصيف والشتاء ، ولكن ذلك يختلف تماما عن العواقب الناجمة عن رفع متوسط درجة حرارة الأرض ككل . وقد لوحظ من دراسة سلوك الأرض بالنماذج الرياضية ، وكذلك من مقارنة السنوات الباردة بالسنوات الدافئة ، أنه إذا سخنت الكرة الأرضية ككل ، فإن مقدار التسخين سيختلف من مكان لآخر على سطح الأرض ، فقد وجد

أن المناطق الباردة (ذات العروض الكبيرة) ستستأثر بمعظم الدفء ، فترتفع درجة حرارتها ارتفاعا ملحوظا ، بينما لا تحظى المناطق الحارة (ذات العروض المنخفضة) إلا بقدر ضئيل من هذا الدفء ، فلا تكاد تتأثر درجة حرارتها ، ولذلك فإن ارتفاع متوسط درجة حرارة الأرض بما يقارب (١°م) يعني زيادة كبيرة في درجة حرارة المناطق الباردة القريبة من القطبين ، مثل شمال القارة الأمريكية الشمالية وأوربا ، ومن جهة أخرى فإن تغيير متوسط درجة الحرارة سيؤدي إلى تغيير في خريطة سقوط الأمطار ، وفي نظام الرياح ، بحيث تصبح بعض أجزاء من العالم أكثر إمطارا عما كانت عليه من قبل ، وتصبح أجزاء أخرى أكثر جفافا عن ذي قبل . وحينما يدفأ جو الأرض فيحتمل حدوث تغير في مسار الرياح التي تعودنا هبوبها بانتظام في مواسم معينة ، مثل الرياح الموسمية التي تجلب الأمطار في أوقات محددة من العام ، ومن المتوقع أن يزداد هبوب العواصف ، وأن يصبح الصيف أشد حرارة ، والشتاء أكثر برودة ، في بعض المناطق ، مقارنة بمعدلاتها السابقة .

ولعل من أهم عواقب زيادة حرارة جو الأرض وأخطرها هو ارتفاع منسوب سطح البحر .

ويقدر العلماء أنه بنهاية القرن الواحد والعشرين سيرتفع متوسط درجة حرارة الأرض (٥°م) تقريبا إذا استمرت النشاطات البشرية على ما هي عليه اليوم ، وسيؤدي ذلك إلى ارتفاع منسوب سطح البحر مترا واحدا تقريبا ، فتغمر مياه البحر جميع المناطق الساحلية التي يقل ارتفاعها عن متر واحد ، وإذا نظرنا إلى المنطقة العربية نجد أن مياه البحر المتوسط ستغمر الاسكندرية ، وبعض المدن الساحلية الأخرى ، وأجزاء من « دلتا » النيل ، وستغمر مياه المحيط الاطلنطي بعض سواحل المغرب ، أما مياه الخليج فستغمر كثيرا من المدن الساحلية بالكويت والسعودية وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة . □

محكمة العدل الإسلامية الدولية

بقلم : الدكتور عبد الله الأشعل *

مرت ثلاث سنوات على إقرار القمة الإسلامية الخامسة ، للنظام الأساسي لمحكمة العدل الإسلامية الدولية التي اقترحتها دولة الكويت . ولأن هذه المحكمة تعد أول تجربة من نوعها ، خلال التاريخ الإسلامي الطويل ، فإن هذا المقال يلقي بعض الأضواء على نظامها ، تشكيلها ، اختصاصها ، وبعض القضايا التي يثيرها نظام عملها .

ترجع قصة المحكمة الاسلامية إلى القمة الإسلامية الثالثة التي انعقدت بالمملكة العربية السعودية في يناير ١٩٨١ ، وكانت الأوضاع الإسلامية والعربية تمر بأسوأ أحوالها : كالقطيعة المصرية العربية بسبب اتفاقية كامب دافيد مع « اسرائيل » ، والخلافات بين كثير من الأقطار العربية ، واشتداد الحرب العراقية الايرانية ، والتدخل السوفيتي في أفغانستان ، وغيرها . ولذلك تقدمت الكويت باقتراح إنشاء محكمة العدل الإسلامية الدولية ، لتكون فيصلا وحكما بين الدول الإسلامية ، لتسوية ما ينشب بينها من منازعات .

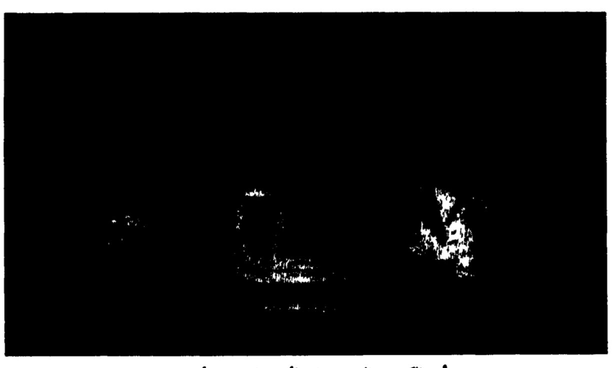
وهكذا عهد إلى لجنة الخبراء القانونيين بتنقيح مشروع النظام الأساسي للمحكمة الذي صار منتهيا في نهاية ١٩٨٦ ، وقد أخذت بحسبانها ملاحظات الدول الأعضاء ، وتوجيهات المؤتمرات الإسلامية المتعاقبة على اختلاف مستوياتها .

تشكيل المحكمة :

تضم المحكمة سبعة قضاة « يختارهم مؤتمر وزراء الخارجية ، لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة ، من بين مرشحي الدول الأعضاء ، بحيث يراعى التمثيل الجغرافي للمجموعات الثلاث في منظمة المؤتمر الإسلامي ، وهي المجموعات العربية والافريقية والأسيوية ، ثم ينتخب القضاة السبعة رئيس المحكمة ونائب الرئيس .

ويشترط في القاضي أن يكون مسلما عدلا من ذوي الصفات الخلقية العالية ، وأن ينتمي

* المستشار القانوني لمنظمة المؤتمر الاسلامي .



سمو أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح يرأس الدورة الخامسة لمؤتمر القمة الإسلامي في الكويت (يناير ١٩٨٧) .

بجنسيته إلى إحدى الدول الأعضاء في المنظمة ، وألا يقل عمره عن أربعين سنة ، وأن يكون من فقهاء الشريعة المشهود لهم ، وله خبرة في القانون الدولي ، وأن يكون مؤهلا للتعيين في أرفع مناصب الافتاء أو القضاء في بلاده .

وتختلف المحكمة الإسلامية عن غيرها ، بتميزها بالطابع الإسلامي ، سواء في شروط اختيار القضاة ، أو في قيام المحكمة بعملها على أساس الشريعة الإسلامية ، أو في اتخاذ الشريعة الإسلامية مصدرا أوليا للفصل في المنازعات . وهذا الطابع الإسلامي هو العامل المثير في هذه التجربة الجديدة .

ولا يقال القاضي إلا إذا أجمعت المحكمة على أنه لم يعد مستوفيا لشروط التعيين ، ولكن يجوز للقاضي أن يتقدم باستقالته ، وتبلغ الإقالة والاستقالة لوزراء الخارجية ، حتى يصبح المنصب شاغرا .

وتتخذ المحكمة الكويت مقرا لها ، كما يمكن للمحكمة أن تعقد اجتماعاتها في أماكن أخرى .

اختصاصات وقواعد :

للمحكمة الاسلامية ثلاثة اختصاصات ، اثنان منها اختصاصان تقليديان تقوم بهما سائر المحاكم الدولية الأخرى ، واختصاص ثالث غير تقليدي .

أما الاختصاصان التقليديان للمحكمة الإسلامية فهما : الاختصاص القضائي ، وهو الفصل في المنازعات بين الدول الأعضاء ، أو بينها وبين غيرها ، ولكن بشروط يضعها مؤتمر وزراء الخارجية . وإلى جانب الاختصاص القضائي هناك الاختصاص الإفتائي ، حيث يجيز نظام المحكمة أن تقدم المحكمة الفتاوي والآراء الاستشارية للأجهزة التي يرخص لها بذلك مؤتمر وزراء الخارجية .

وقد أخذت المحكمة بالقواعد المستقرة في القضاء الدولي ، من حيث ضرورة انعقاد الاختصاص للمحكمة ، وذلك يتم بعدة

طرق ، ومعنى ذلك أن مجرد انضمام الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى النظام الأساسي للمحكمة لا ينشيء للمحكمة اختصاص نظر المنازعات التي تكون هذه الدول أطرافا فيها ، بل تذهب الدول إلى المحكمة لعرض منازعاتها بإرادتها الكاملة . وتعبر الدول عن رغبتها في انعقاد اختصاص المحكمة في نظر منازعاتها بعدة طرق ، أبرزها أن تصدر الدولة إعلانا تقبل بموجبه هذا الاختصاص ، وقد تضع بعض التحفظات على هذا القبول ، كأن تشترط قبول أطراف النزاع الأخرى للاختصاص نفسه ، كما قد تجعل الاختصاص مقصورا على مسائل معينة ، أو تطلقه مع استبعاد مسائل معينة من نطاقه ، أو تلحق به شروطا زمنية ، كأن يسري الاختصاص في زمن معين أو خلال فترة تحددها ، أو تقرر انطباق الاختصاص على قضايا نشأت بعد تاريخ معين ، أو تستثني المسائل التي تسبق تاريخا معينا أو تلحق به .

وسواء كان الأمر يتعلق بنزاع أو بطلب رأي استشاري ، فإنه يجب أن ينصب على مسائل قانونية (وليست سياسية أو دينية مثلا) .

وأما الاختصاص غير التقليدي الذي استحدثه نظام المحكمة الإسلامية فهو اختصاص يصح أن يطلق عليه الاختصاص الدبلوماسي والتحكيمي ، ولذلك تساءل كثير من الدول الأعضاء عن مدى انسجام هذا الاختصاص مع الطبيعة القضائية للمحكمة الإسلامية ، إذ يجيز نظام المحكمة أن تقوم المحكمة نفسها من خلال لجنة من الشخصيات المرموقة ، أو عن طريق كبار المسؤولين في جهازها بمساعي الوساطة أو التوفيق أو التحكيم . ولكن ترك لأطراف النزاع حرية اللجوء إلى هذه المساعي بطلب مباشر إلى المحكمة ، أو بقرار من المؤتمرات الإسلامية (القمة والخارجية) ، بشرط أن يصدر القرار بتراضي أطراف النزاع أيضا ، وألا يفرض عليهم .

تنفيذ الأحكام :

من أهم معوقات التسوية السلمية عن طريق القضاء ، عزوف الدول عن عرض منازعاتها على المحاكم القضائية ، وتفضيلها عليها محاكم التحكيم أو اللجان المختلطة في بعض القارات ، أو رفض مثولها عند عرض النزاع على المحكمة عن طريق الطرف الآخر ، وأخيرا تأتي مشكلة رفض تنفيذ الأحكام .

وقد تضمن نظام المحكمة الإسلامية عددا من الضمانات لنزاهة القضاء وسلامة سير الدعوى ، وحسن استنباط الأحكام . أما عند نكول الدولة عن تنفيذ الحكم على الرغم من سلامة الإجراءات ، فقد أجاز النظام لجوء الدولة المتضررة صاحبة الحق إلى مؤتمر وزراء الخارجية ، ويبدو أنه يمكنها أيضا اللجوء إلى مؤتمر القمة الإسلامية ، ولو لم يرد حكم بذلك في النظام ، ما دامت الدولة الرافضة تتسبب في نشوء توتر في علاقاتها مع الدولة الأخرى ، بما يفسد الهدف المنشود من القضاء .

وتستخدم المحكمة اللغات الرسمية الثلاث في منظمة المؤتمر الإسلامي ، وهي العربية والانجليزية والفرنسية ، وكلها متساوية في حجيتها ، غير أن اللغة العربية هي التي يحتكم إليها عند الاختلاف في التفسير .

قضايا كبرى :

يثير إنشاء المحكمة الإسلامية عددا من القضايا المهمة ، نعرض لاثنتين منها تتسمان بالطابع العملي ، وهما

ولاً : القانون الواجب التطبيق :

تقوم المحكمة على أسس الشريعة الإسلامية ويختار قضاتها من فقهاء الشريعة ، ذوي الخبرة في مجال القانون الدولي، ذلك أن أحكام المحكمة وفتاواها سوف تستند إلى الشريعة الإسلامية ، وإلى مصادر القانون الدولي العام إذا أعوز القضاة

النص الشرعي ، على ألا تتناقض قواعد القانون الدولي المطبقة مع أحكام الشريعة الإسلامية .

والحق أن اتخاذ الشريعة الإسلامية أساسا لاختيار القضاة ، واستنباط الأحكام ، يطرح قضية بالغة الأهمية ، ذات جانبين ، أولهما ضرورة تنشئة عدد من القضاة الذين يجمعون بين التمكن من علوم الشريعة ، ومن القانون الدولي العام ، وثانيهما ضرورة تقنين القانون الدولي الإسلامي ، بحيث تتوافر لدينا قواعد صالحة للتطبيق في العلاقات الدولية ، ومستمدة في الوقت نفسه من تراث الفقهاء المسلمين واجتهاداتهم عبر العصور من خلال النصوص الشرعية .

وبديهي أن المحكمة ، وهي هيئة قضائية دولية ، ليست مختصة بتفسير أحكام الشريعة الإسلامية ، إلا فيما يتعلق بالنزاع أو الحكم الصادر بشأنه .

ثانيا : علاقة المحكمة الإسلامية بالمحاكم الأخرى الإقليمية أو العالمية :

قد يقال : إن الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي التي أنشأت المحكمة الإسلامية هي أعضاء في محكمة العدل الدولية في لاهاي ، وأنه لما كان نظام المحكمة الإسلامية قد اهتدى بشكل واضح بنظام المحكمة العالمية ، فليست هناك حاجة ماسة إلى إنشاء المحكمة الإسلامية .

غير أن هناك اعتبارات ترجح المطالبة بإنشاء المحكمة الإسلامية ، ولو سلمنا بوجاهة القول بعدم ضرورة إنشاء المحكمة الإقليمية مع وجود المحكمة العالمية ، لوجب وقف كل الجهود في مناطق العالم المختلفة التي أنشأت محاكم إقليمية أو تسعى إلى إنشائها .

وقد يكون إنشاء المحكمة الإسلامية مهما في تطبيق الشريعة الإسلامية لأول مرة في التاريخ الإسلامي المعاصر على المنازعات ذات الطابع الدولي التي تنشأ بين الدول الإسلامية ، كما أن هذه الدول قد تقبل بشكل أكبر على المحكمة الإسلامية التي يسجم عملها مع قواعد النظام العام في كل هذه الدول ، مع شعورها بشعور الأسرة الواحدة بدلا من توسيع دائرة النزاع الذي يعرض على المحكمة العالمية .

وفضلا عن ذلك فإن للمحكمة الإسلامية مجال عملها الذي لا يتناقض ولا يستبعد نطاق عمل المحكمة العالمية إذا كان النزاع بين دولة إسلامية وأخرى غير إسلامية ، ورفضت الأخيرة استخدام المحكمة الإسلامية لنظر ذلك النزاع ، وهو أمر أتاحه نظام المحكمة الإسلامية للدولة غير الإسلامية بشروط معينة .

وأخيرا فإن نظام المحكمة العالمية وميثاق الأمم المتحدة يفسحان المجال للتنظيمات الإقليمية السياسية والقضائية لنظر النزاع ومحاولة تسويته سياسيا أو قضائيا ، بحيث لا يصير مصدرا لتهديد السلام والأمن والاستقرار في المنطقة .

إن تجربة محكمة العدل الإسلامية وتطبيقها للشريعة الإسلامية تقدم نموذجا جديدا في القضاء الاسلامي الدولي ، يستحق المتابعة والدراسة ، خاصة عندما تصبح المحكمة جاهزة للعمل بعد عدة شهور . □

حيرة محب

يقولون لي إن بحت قد غرك الهوى
وإن لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرئ يهوى ويكتم أمره
من الحب إلا أن يموت فيعذرا

« الأصمعي »



أرقام

بقلم : محمود المراغي

هل أنت مثقف ؟

تختلف التعريفات حول كلمة « ثقافة » ، لكن الأكيد أن عدداً من أدوات المعرفة ، أو الإعلام أو الاتصال ، يمكن أن يكون مؤشرا للمستوى الثقافي لشعب من الشعوب .

على سبيل المثال ، هناك الكتاب والصحيفة والفيلم السينمائي والبرنامج الإذاعي أو التلفازي ، هناك الكلمة المكتوبة ، والمسموعة ، والمنطوقة . ويحدد مدى انتشارها درجة الاهتمام الثقافي ، وقد يحدد أيضا درجة النمو الاقتصادي والمشاركة السياسية .

وفي العالم المتقدم هناك اهتمام برصد هذه المؤشرات ، وتقديم الإحصاءات عنها . فماذا عن الوطن العربي ؟

لقد أجرت منظمة اليونسكو محاولة من هذا النوع ، واهتم مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت) بإعداد ملف إحصائي ، يتناول هذه المؤشرات على مدى عشرين عاما ، تمتد من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٨٥ . وكانت المفاجأة أنه على الرغم من تحسن الأداء الاقتصادي العربي ، وتحسن مستويات التعليم ، فإن الهوة مازالت كبيرة ، والبون مازال شاسعا بيننا وبين العالم المتقدم .

كتب أكثر وصحف أقل !

في مجال الكلمة المكتوبة جاءت الإحصاءات لتقول : إن إنتاج الكتاب قد زاد بنسبة ٧٥٪ خلال الأعوام العشرين المذكورة . كانت عناوين الكتب التي صدرت في الوطن العربي (٤٠٠٠) عنوان عام ١٩٦٥ ، فأصبحت (٧٠٠٠) عنوان . ومع ذلك فالزيادة السكانية كانت أسبق ، وعدد عناوين الكتب لكل ألف من السكان تناقص ، ولم يزد ، وسجل عام ١٩٨٥ : (٣٧) عنوانا مقابل (٥٩) عنوانا كمتوسط للدول النامية ، و (٤٩٠) عنوانا في الدول المتقدمة .

أي أن الأقطار العربية تجيء في ذيل المجموعات الدولية ، ومتوسط إنتاج الكتب في الدول المتقدمة يأتي مساويا للمتوسط العربي . ثلاث عشرة مرة !

هل يختلف الأمر في الأنواع الأخرى من القراءة ؟

هنا نجد مفاجأة ثانية ، فعدد الصحف اليومية لم يتحرك طوال عشر سنوات ، كان عدد الصحف العربية اليومية (١١٠) عام ١٩٧٥ ، وبعد سنوات عشر . وبالتحديد في عام ١٩٨٤ كان العدد هو نفسه . وبطريقة أخرى في الحساب فإن مجموع توزيع هذه الصحف في العام نفسه كان (٦) ملايين نسخة يوميا ، وبنسبة مقدارها (٣٥) لكل ألف من السكان . وبالمقارنة أيضا نجد النسبة في الدول المتقدمة (٣١٩) لكل ألف . فإذا كان عدد قراء النسخة الواحدة قارئين في الدول المتقدمة ، وثلاثة في

الأقطار العربية ، فإننا أمام أرقام تقول : إن (٦٢٪) على الأقل من سكان الدول المتقدمة يقرؤون الصحف اليومية بانتظام ، بينما تتراجع هذه النسبة إلى ما يقرب من (١٠٪) فقط في الوطن العربي .

هم يقرؤون أكثر ، ولذلك تفسيره الذي يتصل بنسبة الأمية هنا ، وتضاؤلها هناك ، ونسبة التعليم هنا وهناك ، ونسبة التركز الحضاري هنا وهناك ، والعبء الاقتصادي الذي تمثله الصحيفة ويمثله الكتاب في كثير من أجزاء الوطن العربي ، مقارنة بالمستوى الاقتصادي المرتفع في الدول الصناعية والمتقدمة .

ويبقى جانب آخر خارج عن نطاق الثقافة والاقتصاد ، أعني الصحيفة اليومية ، وكيف مضت سنوات عشر ولم تصدر صحيفة واحدة ، أو كان الإصدار بحجم ما اختفى تماما ، فبقي عدد صحفنا اليومية (١١٠) لاثنين وعشرين قطراً عربياً ، بواقع خمس صحف للقطر الواحد ، بما فيها الصحف الصغرى والكبرى ، العامة والمتخصصة . ماذا يعني ذلك ؟

المؤشر هنا سياسي في الدرجة الأولى ، فحين تزدهر الديموقراطية تنتعش الصحف ، وحين تنحسر الديموقراطية ، وتصبح الصحيفة كالنشرة الحكومية ، فإن القراءة تتراجع ، والاهتمام يقل ، والإصدار يتأثر بالضرورة . وهل يمكن أن تكون نسبة توزيع الصحف (٣,٥٪) من السكان إلا تعبيرا عن واقع سياسي وثقافي واقتصادي في وقت واحد ؟

التحليل الصحيح يصل بنا إلى هذه النقطة ، وينقلنا إلى دائرة يتزايد فيها التأثير الحكومي على الإعلام ، أعني دائرة الإذاعة والتلفزة .

السينما تتراجع والتلفاز يقفز

في هذه الدائرة نشاط أهلي وآخر حكومي : فالسينما - في جزء كبير منها - نشاط أهلي ، يحكم نموه إقبال المشاهدين أو عزوفهم ، وعلى العكس من ذلك تأتي محطات الإذاعة والتلفزة وساعات الإرسال ، ويتراجع فيها - عربيا - تأثير المشاهد ، بينما يبرز عنصر القدرة المالية للحكومات والسياسة الإعلامية والدعائية لها . وفي هذا النطاق يمكن فهم الأرقام .

لقد تأثرت السينما مرتين ، واحدة بفعل التلفاز ، وثانية بفعل جهاز الفيديو . وسجلت الأرقام أن عدد دور العرض الثابتة قد تراجع من (١٦٠٠) دار عام ١٩٧٠ إلى (١٥٠٠) دار عام ١٩٨٥ ، وأن عدد المقاعد لم يتجاوز مليونا في ذلك العام الأخير . أما المتفرجون فقد زاد عددهم زيادة محدودة ، لاتعبر عن الزيادة السكانية : كانوا (١٩٥) مليون متفرج عام ١٩٦٥ ، فأصبحوا (٢٢٠) مليونا عام ١٩٨٥ . وبتعبير آخر : كان لكل ألف عربي خمسة مقاعد في منتصف الثمانينيات ، بينما كان لمواطن الدول المتقدمة ٥٢ مقعدا ، أي عشرة أمثال المواطن العربي .

وعلى العكس من ذلك نمت محطات الإذاعة في الفترة نفسها ، من (١٦٠) محطة إلى (٥٠٠) محطة . ونمت محطات التلفزة من (٧٥) محطة إلى (٥٥٠) محطة ، وملك كل ألف من السكان - عام ١٩٨٥ - (٢٢٩) مذياعا ، و (٨٥) تلفازاً .

وفي هذه الدائرة زاد الاقتراب العربي من المستوى العالمي المتقدم ، فأصبحت المسافة في المذياع (١ : ٤) ، و (١ : ٥) في مجال التلفاز .

وتلقي علينا هذه الأرقام سؤالا حول المستقبل ، وإلى « أين يمضي التنافس بين الكلمة المكتوبة والكلمة المسموعة والكلمة المرئية ؟ » ، وهو سؤال يواجه العالم كله ، حتى أن بعض التنبؤات تقول : غدا يختفي كثير من الصحف ، ويتحول إلى قنوات تلفازية تستقبلها في بيتك حين تشاء ، وبالقدر الذي تشاء .

السؤال عالمي ، لكن البون الشاسع في استهلاك الثقافة وإنتاجها ، البون بيننا وبين الآخرين . هذه قضية عربية ، سياسية ، وثقافية ، واقتصادية ، في وقت واحد . □



أبو جعفر الطبري

شخصيته العلمية ومنهجيته التاريخية

بقلم . الدكتور أحمد عُلَبي

احتفل الوطن العربي والعالم الإسلامي ، في العام الماضي ، بمرور أحد عشر قرناً هجرياً على وفاة الطبري ، المؤرخ الكبير ، وقد رأت «العربي» أن تسهم في هذه المناسبة بمقالة لا تستهدف التأريخ لحياة الطبري ، ولا الخوض في مؤلفاته ، وإنما تشير إلى قسمات من منهجيته التاريخية ، من خلال بعض الصفات التي طبعت سيرته مثقفاً ، وعالماً ، ووسمت عصره . كتبها أستاذ متخصص في هذا المجال .

ينتسب أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٥ ـ ٣١٠ هـ) (٨٣٩ ـ ٩٢٢م) إلى القرن الثالث الهجري ، وهو قرن انتصف وقد دبّ الضعف والتفكك في مقدّراته السياسية ، وغدا الخلفاء أسرى في قبضة العسكريين الأتراك ، إلا أنه قرن كانت قد اختمرت فيه الثقافة الإسلامية ، وتحوّلت من الكم إلى الكيف . عرف هذا القرن الجدل ، وهو الذي يوقظ العقول على الحقيقة بواسطة المناقشات والمناظرات ، فزَخر بالعلماء في صُنوف شتى دينية وأدبية ولغوية وفلسفية وعلمية ، كما توزّع هؤلاء العلماء على أصقاع من دار الإسلام ، وذلك في

العراق والشام ومصر وفارس . كانت الأذهان تتصارع ، وكانت المذاهب الكبرى ـ وقد اكتملت ـ تتنافس ، ونبغ في ذاك الزمان ، أي في بحر القرنين الثاني والثالث ، المحدّثون الأوائل ، وكَتَبَة السيرة ، والمفسّرون والقرّاء ، واللغويون ، والمؤرخون . ولعل هذه اليقظة الفكرية كانت وراء الجَيَشان الشعبي الذي تسلّح بالوعي ، فإن القرن الثالث هو قرن الثورات الاجتماعية ، فقد انتفض فيه البابَكيّون والزّنج والقرامطة ، ونشروا أفكارهم الداعية إلى العدل ، وتنظيماتهم التي تهدف إلى النّصَفة ، وبثّوا نقمتهم العاتية على التوزيع الجائر للثروة .

في هذا المَناخ ، المشبع بالثقافة والتّسآل ، وُلد محمد بن جرير في مدينة «آمُل» ، عاصمة طَبَرستان التي دُعيت أيضاً «مازَنْدَران» . وكان نبوغه مبكراً ، مادام أنه حفظ القرآن وهو صبي في السابعة ، فالتفت إلى طلب العلم والدرس ، منذ تلك السن الصغيرة ، وبقي قرابة ثمانين عاماً يرتوي من مناهل المعرفة ، ولا ينطفيء له غليل ، متنقّلاً بين حواضر العلم الشهيرة في الـرّي والبصرة وواسط والكوفة وبغداد والفسطاط . ولم يفته التعريج على الشام ، وإذا به يقيم مدة في بيروت ، حيث يقرأ على العبّاس ابن الوليد البيروتي القرآن كله برواية الشاميين . إنها الرحلة في نِشْدان ذرّات المعرفة في مواطنها ، ولدى العارفين بها من ثِقات وفضلاء وروّاد . وإنها لحياة طويلة موقوفة بأكملها على طلب العلم بلا هوادة ، ثم منحه بسخاء تدريساً وتأليفاً عَندما استقر به الترحال في بغداد ، حيث كانت منيّته . ولعل الطبري أن يكون نموذجاً للمثقف ، في معناه الشامل والنبيل ، وذلك إبّان العصر الإسلامي .

وهناك رواية وردت لدى ياقوت في «معجم الأدباء» ـ وقد أفاض في الترجمة للطبري ـ وهي بليغة التعبير عن هذا التّوق اللاغب إلى المعرفة ، وإنه لوَلَه ينتاب العلماء الحقيقيين الذين لا يصرفهم عن التحصيل والبحث صارف . كان الطبري في آخِر حياته ، وقد اشتدت عليه وطأة المرض ، لكن هذا لم يحل بينه وبين أن يطلب إلى أحد الورّاقين تزويده بكتب العلماء في القياس ، فكان أن زوّده بنيّفٍ وثلاثين كتاباً ، وعندما ردّها الطبري إليه وجد فيها علامات حُمْراً بقلمه . معنى هذا أنه قرأها وتمعّن فيها ، واستوقفته خلالها آراء وأحكام . طالب العلم الحق يستشعر الحاجة إلى الاستزادة منه حتى القَطْرة الأخيرة من زيت مصباح عمره . وهو دائماً أستاذ وتلميذ ، يُعطي ويأخذ ، ولا يداخله إحساس بالكمال والتمام ، بل الأصح أنه كلما عبّ خالجه الشعور أن العلم بحر ، وأن الرحلة فوق هذه البسيطة ومَضْ ، وأن الأَوْلى بالمرء أن يجعل التواضع العلمي سِرْباله ودَيْدنه . كان الطبري عندما يُسأل عن مناظرة ، كان فيها مجلّياً ، يتجاهل ماجرى ، ويشرع في إطراء الشخص الذي ناظره .

الموسوعيّة والنزاهة :

على شاكلة العلماء الكبار بنى الطبري ثقافته الذاتية ، على ركائز من العلم الغزير ، تسقّطه من أفواه نوابغ عصره ، وكان خصباً بهؤلاء ، فسمع منهم وسجّل ووعى وحفظ ، ثم قرأ وناقش وناظر واجتهد وكتب . وكان الناشط أبداً للتأليف ، فخلّف نتاجاً يتّصف بالموسوعية . ولعل بعض ما وصلنا من مؤلفاته ، شأن تاريخه ، ونظير كتابه الجليل في التفسير الذي أثار إعجاب رجال العلم ، وهو «جامع البيان في تفسير القرآن» ، كما أن كتابه الفقهي الشهير المسمّى «اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام» ، وهو الشائع بعنوان اختلاف الفقهاء ، هذه الأعمال ، وقد اتخذناها نماذج وأمثلة ، تنبيء بتعدد اهتماماته العلمية ، وبالنَّفَس المديد ، والصبر والولع بإخراج الأسفار التأسيسية الكبرى . والعمل الموسوعي لا يُقْدم عليه إلا مَنْ تمرّس بالمعرفة ، ووقف على دقائقها ، واكتنه مفارقاتها ، وليس هو بأي حال مجرد عمل تجميعيّ يتضخّم مع كرور الأيام . ولهذا كان الطبري عندما يجد فتوراً لدى تلاميذه عن تعاطي الكتب الواسعة ، وضعف عزيمة عن تدارس أمهات الأعمال ، يزفر قائلاً : «إنّا

لله ، ماتت الهمم» .

صفة أخيرة بارزة نعرض لها عند الطبري ، ولسنا نختار سوى بعض شمائل هذا الرجل العفيف الذي وقف حياته كلها على خدمة العلم . وبالغ في هذا المنحى وتزهّد ، بحيث رغب عن أن يكون له زوجة وولَد . هذه الصفة هي النزاهة العلمية التي تحلّى بها الطبري . كان علامتنا مسلماً ، ساعياً إلى الحقيقة ، ومَنْ كان دأبه هذا نبذ الماديّات واطّراح التعصب . لهذا نجد الطبري يقنع من حياته بعيش بسيط ، ويأبى المنح والهدايا التي ترده من أصحاب الجاه والسلطان ، كما يمتنع عن تولي القضاء أو ولاية المظالم ، وذلك لئلا يكون محابياً لأحد أو مضطراً لمسايرة أو مجاملة . وهكذا لم يجعل للماديّات وإغراءاتها مدخلاً أو سلطة خفيّة على قناعاته . والأهم أنه نزّه الحقيقة عن أفدح شائبة يمكن أن تلحق بها ، وربما تنفيها ، وهي آفة التعصب . وإنها لنزاهة مقرونة بالجراءة ، فعندما كان الطبري في زَوْرة لطبرستان علم أن جماعة من أهلها يعرّضون بأبي بكر وعمر ، فعندما سُئل ابن جرير عن فضائلهما أملى كتاباً غير هيّاب ، واقفاً في وجه الذميمة ، وعندما طلبه السلطان فرّ ناجياً بجلده . كذلك ما إن بلغ الطبري أن بعض علماء بغداد يشكك في رواية غدير خمّ ، حتى وضع كتابه في فضائل عليّ بن أبي طالب ، وتدفق الناس يُصغون له .

لم يكن ابن جرير لهذا أو ذاك ، كان للعلم والحقيقة ، وللرأي الناضج الذي يعوّل على المقارنة والمفاضلة. لذا كان أدرى الناس بالمذاهب الفقهية وباختلاف وجهات النظر حول المسائل . ولكن الاختلاف عافية ، لأن العقل البشري يدرس ويجتهد ، ليصل إلى الأنسب والأرقى ، أما الخلاف فهو شر ووبال . ولئن كان الطبري شافعيّ الهوى ، فلقد أدّى به اجتهاده إلى الاستقلال بمذهب نافح فيه عن آرائه وخياراته ، وبسط ما هداه إليه فكره في كتابه «لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام». لم يكن عالماً يكتفي بالنصوص يحفظها ، وإنما يستنطقها أيضاً ، ويجتهد في ضوئها . لهذا عندما اختلف مع داود بن علي الأصبهاني ألّف فيه «كتاب الرد على ذي الأسفار» ، يعني بذلك أن داود يعوّل على الكتب يردد ما تحتويه ولا يعمد الى عقله يحكّمه ويستفتيه .

المؤرخ المحايد

على أنه من الحق القول بأن الطبري ، فقيهاً ومحدّثاً ومفسّراً ، تتوافر فيه الصفات العلمية المتقدمة على نحو أسطع مما نتبيّنها لدى الطبري مؤرخاً ، وذلك لأن ابن جرير تأبّى النقد في منهجيته التاريخية ، وآثر الحَيْدة حيال الأحداث المرويّة . وإنه ليستوقفنا أن الطبري ، في مفتتح تاريخه ، بعد البسملة والدعاء وما سوف يأتي عليه في كتابه في موضوعات ، لا يذكر سوى ملحوظة يتبرأ فيها مما قد يرد في عمله من أحداث ترفضها العقول وتستشنعها ، ملقياً المسؤولية في ذلك على الرواة الذين ينقل عنهم ويُخبر بأخبارهم ، من غير أن يعمد إلى الحُجّة العقلية والاستنباط والاستخراج ، وكأنه يقول : وما على الرسول إلا البلاغ . يقول الطبري : «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصِّحّة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يُؤتَ في ذلك من قِبَلنا ، وإنما أُتي من قِبَل بعض ناقليه إلينا ، وأنّا إنما أدّينا ذلك على نحو ما أُدّي إلينا» .

ولم يقف أمر الطبري في حَيْدته على الرواية ، بل تعداه إلى الإسناد المستوحى أصلاً من علم الحديث ، وابن جرير أحد أعلامه . ولكن علماء الحديث يدقّقون في سلسلة الإسناد ، ويُخضعونها للتعديل والتجريح ، والطبري في تاريخه الكبير أقلع عن هذه المزيّة . ولا ريب أن هذا المنطلق المبدئي الذي ارتضاه مؤرخنا لنفسه أضعف البعد الفكري لعمله ، مع أن الطبري أَوْلى من غيره بهذه المهمة المنهجية ، نظراً لأنه قريب عهد - نسبياً - بالأحداث التاريخية . وهذا الحرص منه على الابتعاد عن الخوض في

التاريخ ، مع أنه يوثّق له ويكتبه ، يبدو لنا غريباً بعض الشيء . ويتبدى هذا الابتعاد جلياً في المرحلة التي أرّخ لها الطبري ، وكان معاصراً لها وشاهداً . فالمرء ينتظر منه ، وهو الفقيه الذي بلا الحياة ، وسافر وأبعد في طلب العلم ، وأدرك الخلفاء ، وعرف الدول ، وجادل وناظر ، ودرّس وألّف ، وخاصم وناصب وأثار الناس معه وعليه ، أن تعمُرَ جعبته بالمشاهد والخفايا ، وأن يكون على قدر كبير من الدراية والحذاقة ، وأن يضرب بسهم وافر من الآراء الذاتية . إلا أن الأملَ يخيب ، ربما توقياً من ابن جرير والزمن مضطرب والأهواء جمّة . بيد أن المثقف القدير الذي كانه الطبري مطالَب بشهادة عن عصره وأحواله وشجونه ، خصوصاً في مرحلة كان التدوين فيه هو الوسيلة المتاحة للتعرف على عصره ، ولم يكن التاريخ قد أدرك ما تيسّر له في أيامنا من وسائل سمعية وبصرية غاية في الإتقان والنفاسة .

ولقد دوّن الطبري كمّاً هائلاً من الروايات بإسنادها ، وعلى اختلاف في الروايات ، وعلى اختلاط أحياناً ، بحيث إنه في عمله الموسوعي هذا ، صان مادة تاريخية غزيرة . وذلك أن جُلّ مَنْ روى عنهم وأفاد من كتبهم واقتبس الشيء الكثير ، قد تبددت مؤلفاتهم ، ولم يصلنا معظمها ، بحيث إننا نعرفهم بواسطة مرويّات ابن جرير . ولو أن الطبري عُني بأسماء الكتب التي أخذ عنها هذه المرويّات ، ولم يكتفِ بذكر مؤلفها فقط ، لفزنا عند ذلك بقوائم الموضوعات التي شغلت بال العلماء المسلمين ، وبعناوين نتاجهم الدافق ، ولكانت ربما معْواناً في العثور على بعض مؤلفاتهم أو تمييز المجهول المؤلف منها .

مثال تطبيقي : ثورة الزّنج :

اشتهر الطبري بالتعويل على الرواية والسَّند ، وعلى تحرّيه الدقة في سَلْسَلَة أسماء الرواة مُعَنْعَنَة ، وأتيح له أن يسمع في حياته المديدة ، وخلال ارتحاله البعيد لطلب العلم ، من الكثيرين ، وذلك بمفرده أو شراكة مع آخرين . بيد أن هذا الأسلوب في التأريخ ليس متواتراً على الدوام في تاريخه الكبير . ونختار ، كمثال تطبيقي ، ثورة الزّنج ، والطبري هو المصدر الأوفى حول هذا الحدث التاريخي الذي هزّ الخلافة العبّاسية ، وينفرد ابن جرير بسَعَة معلوماته ، وبالصفحات الوفيرة التي خصّ بها هذه الثورة .

إن الطبري يزوّدنا ، في أخبار سنة ٢٥٥هـ ، وهو تاريخ اندلاع الثورة ، بكمّ من المعلومات عن اسم صاحب الزّنج ، والأنساب العلويّة التي ادّعاها ، وعن الأمكنة التي حلّ بها قبل خروجه في منطقة البصرة ، وعن الآيات التي كان يجاهر بها مدّعياً أنها تظهر له وهي دالّة على إمامته ، ثم كيف جعل يتسقّط أخبار غلمان الشوْرَجيين* والدبّاسين ، في محيط البصرة ، ويعمل على جمعهم والتنكيل بوكلائهم ، وكان غلمان الشورجيين بالآلاف هناك . ثم كيف تكاثر عليه الزّنج يستأمنون إليه ، وهو قد خرج على الخلافة ، وليس في عسكره سوى ثلاثة أسياف ، وككرة الثلج كبر جيشه وعلا شأنه وعظم سلاحه ، وصار بعدها شغل الخلافة الشاغل . وتوالت المعارك بالعشرات ، وتقطعت الرؤوس ، وتكدّست الجثث ، وغدا للدم النازف صوت وخرير . هذه المعلومات وغيرها لا يركن فيها الطبري إلى الرواية والإسناد ، وإنما هو آتٍ عليها في صَفَحات متواليات أو متفرقات ، وليس له من مرجع في الغالب ههنا سوى تعبير «ذُكر» أو «فيما ذُكر» ، ويورد أحياناً «ذُكر عن بعض تُبّاعه أو بعض أصحابه» ، ويقصد به صاحب الزّنج . وذكر الطبري مرة «فيما بلغني» ، وذلك في أخبار سنة ٢٦٧هـ ، لأنه كان معاصراً لأحداث ثورة الزّنج التي امتدت من ٢٥٥ إلى ٢٧٠هـ (ج٩ ص ٥٨٩ ، طبعة دار المعارف بمصر التي حققها محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٨) . أما الرواية فتأتي عند ابن جرير مُسْنَدَة في القليل إلى ريحان

* الشورجيون هم العمال الذين يعملون باستخراج الملح . والشُّورج هو الملح .

بن صالح ، أحد غلمان الشورجيين ، أو شبْل ابن سالم ، أحد غلمان الدبّاسين ، وفي الأعم الأغلب إلى محمد بن الحسن بن سهل الذي سمع صاحب الزّنج نفسه وعمل معه . كما يروي محمد بن الحسن عن الفضل بن عديّ الدارميّ ، أو محمد بن سمعان الكاتب ، أو محمد بن عثمان العبّادانيّ ، أو جَيّاش الخادم ، أو محمد بن شعيب الاشتيام ، أو محمد بن حمّاد.

وهكذا يمكن القول بأن الطبري يعوّل في تأريخه ثورة الزّنج على مصدرين : أولهما ، وهو الشائع لديه والطاغي على صفحاته ، ويقوم على إيراد «ذُكر» للمجهول ، ثم يتمثّل المصدر الثاني في الروايات المنسوبة إلى محمد بن الحسن بن سهل . ومحمد بن الحسن هذا هو الملقّب بشَيْلَمَة (توفي ٢٨٠هـ) ، وكان مشاركاً في ثورة الزّنج إلى جانب صاحبها عليّ بن محمد ، وسلِم وظفِر بالعفو بعد قمع الثورة وإبادة قادتها ورجالاتها ، باستثناء الذين تخاذلوا وطلبوا الأمان إلى الموفّق ، بطل تصفية الثورة ، وذلك في أيامها الأخيرة . وينبغي أن تكون الروايات التي نسبها الطبري إليهم وإلى غيرهم من المستأمنين ، قد جاهروا بها إثر فرارهم من صفوف الثورة وانضمامهم إلى الموفق.

ولمحمد بن الحسن «كتاب أخبار صاحب الزّنج» ، والراجح عندنا أنه المَعين الذي استقى منه الطبري معلوماته الغزيرة حول الثورة ، ولكنه مع الأسف كتاب ضائع . ويذكر المسعودي في مروجه أن محمد بن الحسن بن سهل ، وهو ابن أخي ذي الرئاستين الفضل بن سهل صاحب المأمون ، أول من صنّف أخبار صاحب الزّنج ، وما كان من أمره ، ثم تلاه الناس في التصنيف ، فأخرجوا كتباً كثيرة في أخبار صاحب الزّنج وحروبه . ولمحمد بن الحسن تصنيفات في أخبار المُبَيِّضة أيضاً ، وهم غُلاة من سكان ما وراء النهر ، وعُرفوا كذلك بالمُقَنّعية ، وادّعى زعيمهم هشام بن الحَكَم الألوهية ، وقال بالتناسخ .

ويُسْلِك أبو المظفّر الاسفراييني ، وكذلك يفعل ابن حَزْم والشَهْرَستاني ، المبيّضة في عِداد الفِرق الأجنبية غير الإسلامية ، ونتساءل : هل أن تصنيف محمد بن الحسن بن سهل في أخبار المبيّضة وفي أخبار صاحب الزّنج هو الذي دعا الناس إلى المزج بين الموضوعين ، وحمل المسعودي على أن يأتي بالعبارة التالية : «وقد ذكر الناس صاحب الزّنج في أخبار المبيّضة وكتبهم» ؟ (مروج الذهب ، ج٥ ص١٠٤ ، طبعة شارل بلا التي نشرتها الجامعة اللبنانية ، بيروت ١٩٧٤) .

إن طموح الطبري لأن يدوّن سجلاً تاريخياً منذ بَدْء الخليقة حتى أيامه في مطالع القرن الرابع الهجري ، حيث إنه انتهى إلى سنة ٣٠٢هـ ، هذا الطموح جليل وجدير بالإعجاب . ولم يخرج المؤرخون المسلمون عموماً ، بعد الطبري ، عن السُّنّة التي استنها في عمله الموسوعي ، باستثناء ابن خَلْدون الذي استدرك النقص الكبير الذي اعتور كتابة التاريخ عند سالفه المؤسس ، فوقف وقفته الفكرية الحضارية في مقدّمته الشهيرة ، وإنّ كان لم يعمد إلى تطبيقها ، على نحو خلّاق ، في كتابته للتاريخ الإسلامي نفسه ، فكأنه أوصى ولم يعمل بما أوصى به . □

من نوادر البخلاء

سُئل أحد البخلاء ، لماذا تتعمد دائماً قلة الضحك ، وشدة القطوب ؟ قال : الذي يمنعني من الضحك ، هو أن الإنسان أقرب ما يكون من البذل والعطاء إذا ضحك . وطابت نفسه .



الشِّعْرُ في وَادِي النّيل

بقلم : الدكتور عبده محمد بدويّ

في سياق تطور الإبداع الأدبي الراهن ، في وادي النيل ، يشغل الشعر مساحة واسعة ، تتصارع في قلبها أصواته المختلفة الاتجاهات والمدارس . والكاتب يتتبع جذور هذه الأصوات واحتمالاتها المستقبلية ، ويبرز التداخل بين مدارسها في مصر والسودان ، خاصة أن الصلة القوية بين نتاجات هذين القطرين فرضتها ظروف سياسية واجتماعية وجغرافية وثقافية .

ابتداء ، يمكن القول بأنه لا يوجد أدبان متشابهان ، ومتماسّان ، وبينهما أكثر من صلة ، مثل الأدب على امتداد نهر النيل شمالا وجنوبا ، أو بعبارة أدق مصر والسودان .

إذا أخذنا الشعر ، على وجه الخصوص في أواخر الحرب العالمية الثانية ، نجد أن هذه الفترة كانت تمثل فترة « بحث عن الذّات » ، وفي الوقت نفسه نجدها غارقة في الحزن ، واليأس ، والاستغراق في تهاويم الرومانسية ، مع الإرهاص بحالة المواجهة التي ستكون بين الشمال والجنوب ، ثم مع الجنوب والجنوب .

فإذا وقفنا ابتداء عند الشعر في الشمال نجد حالة التمزّق ، وعدم الانسجام مع هذا الاتجاه الذي اصطلح على تسميته اتجاه « الديوان » ، ممثلا في العقاد وشكري والمازني ، وفي الوقت نفسه نجد تعاطفا مع حالات الوجد الحزين عند جماعة « أبوللو » ، فإذا التفتنا مثلا إلى ابراهيم ناجي وجدناه يؤكد على حالة الهروب إلى الحب ، من واقع حزين يسيطر عليه :

يا غراما كان مني في دمي
قدرا كالموت ، أو في طَعْمِهِ
ما قضينا ساعةً في عُرْسِهِ
وقضينا العمرَ في مأتمِهِ

وقريب من هذا نجده عند علي محمود طه الذي كان يحلو له أن ينشر أشرعته خارج الوطن ، لأن كل شيء كان بالغ الحزن في الدّاخل .

بالإضافة إلى ما هو معروف من تهويمات محمود حسن اسماعيل ، وعتمية الهمشري ، وأحزان الصيرفي ، وغنائيات رامي ، وغراميات جودت ، وربانيّات أباظة ، والعوضي ، وخميس ، والماحي ، ومحمد عبدالغني حسن ، وعلي الجندي .

المهم أن هذا العالم ، بكل ظلّه ، كان يُؤْذِنُ بالغروب ، ذلك لأن الاتجاه الواقعي قد بدأ يزاحمه مزاحمة شديدة ، بتجاوزه حلْمي الرمزية

والرومانسية ، وعالمَ البيان الذي كان ما يزال يركّزُ على الجماليات العربية المتوارثة ، ولقد اعتمدت الواقعيةُ في مَدِّهَا على الشكل الجديد الذي اصطُلح على تسميته « الشعر الحر » ، بعد أن سطعت عدة نماذج له على يد عدد من الشعراء ، يجيء في مقدمتهم بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وبعد أن سبقت هذه النماذج نماذج أخرى ، جعلت تجديدها في عالم المسرح على نحو ما فعل محمد فريد أبو حديد ، وعلي أحمد باكثير ، ثم كانت مساندة سياسية كبرى بظهور ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، وقد كان من الطبيعي أن تُغيِّرَ الثورةُ أشياء كثيرة ، وأن تُساند التجديد ما وسعها ذلك ، كما كان من الطبيعي كذلك أن تتجه اتجاها أفريقيا لاشتباكها مع قضايا السودان ، وفي ضوء هذا رأينا الشعر يتحدَّثُ عن الصلات بين الشمال والجنوب ، ويقوم بدور الشحن العالي لموضوع الوحْدة بين مصر والسودان ، ولكن كل هذا يَفتر حين يختار السودان الاستقلال التام عن مصر ، ومن ثم رأينا مصر تتّجِهُ عربيا شيئا فشيئا .

استحضار الأصوات الشعرية

وقد اشتعلت حركة الشعر ، حين تمّت الوحدة بين مصر وسوريا ، وحين أصبحت القضايا العربية مطروحة على الساحة المصرية ، وبخاصة القضية الفلسطينية ، ومن ثم رأينا مساحات تتحدّث عن بغداد ، ودمشق ، وبيروت ، ثم كانت انحناءة واضحة للحديث عن اليمن .

ولقد كان الصوت الواضح للشعر هو الصوت الذي يُنادي بالثورية ، واستعادة الأمجاد القديمة ، وإلى أن يكون للسيف ـ لا للكتاب ـ الصوت العالي في الحياة ، ولعل القصيدة المعنونة « أبو تمام » التي ألقيت في مهرجانه عام ١٩٦١ لصلاح عبدالصبور تعطي صورة واضحة عن هذا المناخ الذي كان سائداً في هذه الفترة :

الصوت الصارخ في عمورية
لم يذهب في البرية
سيف البغداديّ الثائر
شَقّ الصحراء إليه ، لبّاه
حين دعت أخت عربية
وامعتصماه



● عباس العقاد



● عبدالقادر المازني

لكن الصوت الصارخ في طبرية
لبّاه مؤتمران
لكن الصوت الصارخ في وهران
لبّته الأحزان
يا سيف المعتصم الثائر
اخلع غمد سَحابك ، وانزل في قلب الظلمة
شق العتمة
واضربْ يمنى في طبرية
واضربْ يُسْرى في وهران !

من هذا نعرف أن الاتجاه القومي قد حفر عميقا في الأرض المصرية ، وأنه غطى على الاتجاه الوطني ، والاتجاه الاسلامي ، والاتجاه الذي

يدعو إلى « التّغريب » . ولقد كان من الطبيعي أن يستدعي هذا الاتجاه أبطاله ، ورموزه ، وأساطيره ، ومقتبساته ، وحركة التاريخ العربي في فترات سطوعها ، وأن ينحاز في الوقت نفسه إلى حركة الشعر الحر ، وقد ترتّب على هذا بشكل واضح إهدار نصف الثروة العروضيّة ، وذلك حين تعامل مع ما يُسمى « البحور الصّافية » ، واهدر البحور الأخرى التي تعتمد على أكثر من تفعيلة .

بالاضافة إلى الموسيقا التقليدية التي توجد في القافية ، والتّصريع ، والتّقسيم ، وفي بعض الأساليب البلاغية كالجناس .

صحيح أن هذا الشكل قد تجاوز « الالتزام » إلى « الإلزام » ، وأهمل في أكثر من جانب من جوانب اللغة ، ولكن ما يذكر له في عالم الخمسينيات والستينيات ، أنه تجاوز الرومانسية والرمزية إلى الواقعية ، بل اقترب في جانب منه إلى الطبيعية ، وأنه دخل بجسم عوالم الملحمة ، والمسرحية ، والأوبرا ، والأوبريت .

تجارب ومدارس عدة

وعلى كل يمكن القول بأن الشعر قد مارس عملية التجريب ، في الخمسينيات ، وأنه ازدهر في الستينيات ، لكن الحلم العربي أخذ يتقلص بعد ذلك ، وأتت هزيمة ١٩٦٧ التي عكست انكسارها على كل شيء في الوطن العربي ، وعلى كل شيء في الشعر . صحيح أنه كانت هناك عودة مؤقتة للروح بحرب أكتوبر (١٩٧٣) ، لكن هذه العودة كانت مجرد تسجيل عاطفي سريع لبعض المواقف السريعة ، على نحو ما نعرف من قصيدتي صلاح عبدالصبور : إلى أول جندي رفع العلم في سيناء ، وإلى أول مقاتل قبّل تراب سيناء . على أن اللوحة تزداد في الشعر قتامة في السبعينيات ، فقد أغلقت المجلات المدعومة من الدولة ، ولم تعد تُغني عنها مجلات تعتمد على جهود الأفراد ، فقد ظهرت : « جاليري ٦٨ » ، و « إضاءة ٧٧ » ، ثم ظهرت « أصوات » بعد ذلك ، ومن ثم كان من الطبيعي أن يتغيّر إيقاع الشعر ، وأن تضطرب صوره ورؤ ياه ، وأن يهاجر إلى أكثر من مكان في الوطن العربي على وجه الخصوص . لقد رأينا على الساحة في السبعينيات عدداً من الشعراء ، يتعامل مع الغموض ، والتّجريد بصور سريالية ، والعبث باللغة ، كما رأينا من يشغل نفسه بالرّموز والأساطير والأقنعة ، بالإضافة إلى التدوير الذي لا تدعو إليه حاجة من يكتب بطريقة الشعر الحر ، وإلى إشغال النص بإزاحة التراث التقليدي ليحلّ محله عالم المتصوفة السّري ، ثم تكون القفزة الخطرة إلى ما سمّي « قصيدة النثر » . ومن كل هذا نعرف أننا إذا كنا



● أحمد رامي



● مصطفى المنفلوطي

فقدنا نصف الكنز الموسيقي في الشعر عند التعامل مع الشعر الحر ، فإن النصف الثاني صار مهددا في الصّميم عند التعامل مع قصيدة النثر .

فإذا تجاوزنا شعر السبعينيات وجدنا شعرا يتكون حول مفهوم الغُربة والاغتراب ، متابعا رحلة السبعينيات في الشكوى من القهر ، والتعامل مع اللغة بعُنف ، ومع المحاكاة ، أو التعبير عن الأشياء من غير الوصول إلى عالم « الخلق » ، أو على الأقل « إعادة الخلق » ، لما يتعرض له الشاعر ، وفي ضوء هذا نرى عجزاً واضحا في الوصول إلى آفاق إنسانية عليا ، وفي التعامل مع « الدّراما » والاقتباس من الأشكال الفنية ، والرّؤ ى الجديدة التي تقفز قفزا في

الفنون ، بالإضافة إلى الرُّعب من الاقتراب من عالم السياسة إلا بمقدار - ولعل الاستثناء الوحيد لهذا الجانب هو ما قام به أمل دنقل - ومن الاقتراب من قضايا الناس وأوجاعهم ، ولعله ليس هناك استثناء على هذه القاعدة ! وهكذا يبدو كأن الشعر في الشمال قد أتم دورة كاملة ، وأنه في حجة إلى فتح عالم جديد .

اتجاهان في الشعر السوداني

في مقابل هذه الفترة في الشّمال النِّيلي ، كان هناك في السودان أكثر من اتجاه ، فقد كان هناك الاتجاه الإسلامي ، وبزوغات الاتجاه المحلي ، بالإضافة إلى الاتجاه الصّوفي الذي يعد ملمحا رئيسا في الشعر السوداني ، والذي ظهر في أروع تجلياته في هذه الفترة عند حمزة الملك طنبل ، والتجاني يوسف بشير ، ولكن الأمر سرعان ما تشكل في اتجاهين متقاطعين ، وذلك حين ازدهر اتجاه متعاطف مع مصر ومحب للوحدة معها ، كما ازدهر في الوقت نفسه اتجاه يرى الاعتماد على النفس ، والبُعد عن مصر ، وإذا كان الاتجاه الأول قد تشكّلت ملامحه من العروبة والإسلام ، فإن الاتجاه الثاني قد تشكلت ملامحه من الالتفات إلى الواقع المحلي ، وقد كان من الطبيعي أن الاتجاه الأول يجد له متنفسا في الصحف والمجلات المصرية ، كمجلة « أبوللو » مثلا ، بينما نرى أن الاتجاه الثاني يعتمد على الصحافة المحلية ، ويقف وراء مجلة جديدة للشعر والدراسات حوله ، تسمى مجلة « الفجر » ، وقد ازدهرت هذه المجلة بصفة خاصة بعد أن توقّفتْ مجلة « أبوللو » في الشمال ، وعلى صفحات هذه المجلة على وجه الخصوص ظهرت الدعوة إلى الانفصال عن الأدب المصري ، وإلى أن يكون لكل قطر أدب « قومي خاص به » ، ومن ثم كانت الدعوة الحارة إلى الالتفات إلى كل ماهو سوداني ، وقد قاد هذا الاتجاه شعراء كبار مثل محمد سعيد العباسي ، وعبدالله البنّا ، ويوسف التني . والناصر قريب الله ، ومحمد أحمد المحجوب ، وقد كان من الطبيعي أن يتصادم هذان الاتجاهان ، فأصحاب الاتجاه الأول ، وعلى رأسه عبدالله عبدالرحمن ، راحوا يسفهّون آراء الاتجاه الثاني ، على حدّ قوله :

وَنُبِّئْتُ في السودان قوما تآمروا
على اللغة الفصحى أساءوا وأجرموا
وبالأدب العومي فاسوا سفاهة
وما لمحوا حقاً ، ولكن توهّموا

على أن أصحاب الاتجاه الثاني رأيناهم شيئا فشيئا يعمقون على تأكيد ذاتهم ، وفي الوقت نفسه يفتشون عن أصولهم الأفريقية ، ومن ثم كان نموّ واندلاع لظاهرة جديدة في الشعر السوداني ، هي العمل بحماس وبحب تحت راية الاتجاه الافريقي في الشعر ، فقد رأوا مصادمة الاتجاه العربي الذي كان يتدفّق من الشمال ، ومن ثم رأيناهم يَسْخرون من « العُروبة » ، ويفضلون عليها « الزُّنوجة » ، وكلما أكثر المصريون من



● صلاح عبدالصبور ● علي محمود طه

الحديث عن العرب رأيناهم يكثرون من الحديث عن أفريقية ، بعدّها جزءًا لا يتجزأ منهم ، وفردوسا مفقودا ، وعالما مملوءًا بالبراءة والشعر ، وقد بدأ هذا الاتجاه محيي الدين صابر ، ثم أوغل فيه محمد المهدي مجذوب ، ولنتأمل قوله مثلا :

فليتي في الزنوج ولي ربابٌ
تميل به خطاي وتستقيم
وفي حِقْويَّ من خرز حزام
وفي صِنْذِغيَّ من ودع نظيم
وأجترع المريسة في الحواني
وأهذر لا ألامُ ولا ألوم
طليق لا تقيدني قريش
بأحساب الكرام ولا تميم !

وقوله :

ومللت من شعر الأعارب ما به
إلا مهانة شاعر يتقرّب

وقد رأينا سيد أحمد الحردلو يقول ·

عروبة دماؤنا
وعرقنا أفريقي

ومحمد عبدالحي يؤكد على أنه يتغنى بلسان ويصلّي بلسان ، والنور عثمان يعد العربية هي اللغة الثانية ، ويقول : لست عربيا ، ولكن صلاح أحمد ابراهيم ركز على بطل صغير من المدندوة ، يسمى « أو شيك » ، واستعمل في الشعر بعض الكلمات المحلية لهذه القبيلة مثل « دبايوا » بمعنى السلام عليكم ، و « الشوتال » بمعنى الخنجر ، ولنتأمل قوله :

أنا من أفريقيا ، حرارتها الكبرى ، وخط الاستواء
شحنتني بالحرارات الشموس
وشوتني كالقرابين على نار المجوس
لفحتني فأنا منها كعود الأبنوس
وأنا منجم كبريت شديد الاشتعال
يتلظّى كلما اشتم على بعد تعال
أنا من أفريقيا جوعان كالطفل الصغير

ويمكن أن نجد مثل هذا بغزارة عند أكثر



● ابراهيم ناجي ● محمد الفيتوري

الشعراء ، في عدد من أعمالهم ، كمحيي الدين فارس في « الطين والأظافر » ، وجيلي عبدالرحمن في « الجواد والسيف المكسور » ، ومحمد المكي ابراهيم في « زنزباريات » ، وتاج السر الحسن في « القلب الأخضر » . وفي الوقت نفسه لا ننسى هذا الاتجاه الذي حفر عميقا على يد محمد الفيتوري في كل دواوينه ، وفي العودة إلى سنار لمحمد عبدالحي .

نغم جديد

كل هذا قد أعطانا نغما جديدا في الشعر الحديث يعد امتدادا طبيعيا لشعراء بعينهم في مسيرة الشعر العربي ، كما أنه أعطانا في العصر الحديث صورة للانسان المثلث الثقافة ، فهو إذا كان يشترك مع الآخرين في الوقوف على التراث العربي ، ومعرفة الحضارة العربية على وجه الخصوص ، فإنه يتفرّد بالوقوف على التراث الأفريقي ، والإحساس المضاعف به ، وفي الوقت نفسه يمكن القول بأنه أعطانا ما يمكن أن يسمى « الواقعية العربية » التي يعتمد فيها على « الإخبار عن الشيء بما هو عليه » ، على حد تعبير الآمدي ، أو بإخراج الصورة « على أصلها » على حد تعبير حمزة الملك طنبل .

وعلى كل فالملاحظ أن الشعر في السودان في هذه الفترة قد قدّم لنا عدة اتجاهات ، تعد متفردة على ساحة الشعر العربي ، فقد قدم لنا مثلا :

١ ـ شعراء الكتيبة : وتقوم فكرة هذه الجماعة على الهجاء المبتسم ، فهناك موضوعات تطرحها للهجاء ، ولن يستحق عضوية الجماعة ، إلا من قام بهجاء متميز لواحد من أعضاء الجماعة ، أو أكثر من واحد ، وقد كان من فرسانها حسن بدري ، والنور ابراهيم ، ومحمد المهدي مجذوب .

٢ ـ جماعة الصحراء والغابة : وقد اعتمدوا على عملية التوفيق بين العروبة (الصحراء) والزنوجة (الغابة) ، وعلى تفهم قضية الموت والبعث من خلال المفهوم الأفريقي الذي يرى أن الموتى لا يموتون ، بمعنى التحول إلى العدم ، وإنما يتحولون إلى قوى روحية لها تأثيرها المباشر على الحياة .

٣ ـ جماعة الأكتوبريين : وكانت صدى للانتصار الشعبي على الحكم العسكري للفريق ابراهيم عبود ، وقد تغنى السودانيون بهذا الانتصار ، وعدوه ميزة للشخصية السودانية التي لا تقبل القهر ، والتي يمكنها دائما التخلص من هذا القهر ، وقد تكررت النبرة في الفترة الأخيرة ـ ولكن بهدوء ـ حين تم الانتصار على حكم النميري .

٤ ـ جماعة الأبادماكيين : وقد كان ظهورها في نهاية الستينيات ، و « أبادماك » هو الإله الأسد في مملكة أروى السودانية القديمة ، وقد كان إله الحرب والصحراء ، وقد عرف كيف يجعل اللغة المروية مكان اللغة الهيروغليفية ، وأن يجعل آلة الربابة المحلية مكان الآلات الفرعونية ، وبصفة عامة ، يمكن القول بأن صوت هذه الجماعة كان ينادي بالسّودنة لكل شيء .

ومن كل هذا يمكن القول بأنه كان للشعر السوداني إضافات واضحة في الشعر الحديث ، وذلك حين نمّى ظاهرة التكرار ، ونظر إليها من أكثر من منظور موسيقي جديد ، فالواضح أنه اعتمد على ظاهرة « الصوت » ، وعدها بنية حية في القصيدة الحديثة ، كنوع من الامتداد لبعض ظواهر الشعر الصوفي السوداني الذي يقدم أصواتا فقط ، ومن خلال الأصوات يمكن أن نشكل ما نشاء من المعاني ، والذي يقال إنها ظاهرة افريقية في الأصل ، وقد اشتهر بهذا النوع بصفة خاصة الشيخ موسى ولد يعقوب .

ونحن لا ننسى هنا أن لهم طريقة خاصة في إلقاء الشعر ، تختلف عنها في الوطن العربي ، فهي طريقة ترتكز على الترنيم ، وتقترب من ظاهرة « التجويد القرآنية » .

هذا بالأضافة إلى إحساس السوداني المرهف بظاهرة المكان ، وإلى الكنوز التي ينطوي عليها من مواريث الصوفية ، وإلى سرعة الايقاع في هذا الشعر ، واعتماده على البحور السريعة والمجزوءات ، وإلى ما يسمى « التشريع » عروضيا ، بمعنى وجود قافية داخلية إلى جانب القافية الخارجية ، ولعل ما يلخص الأمر هو اعتماد هذا الشعر على « الجواب » أكثر من اعتماده على « القرار » ، وهو صلاته الحميمة ـ وبخاصة ظاهرة الصوت ـ بجوهر الشعر العربي .

تلك صورة للشعر العربي على المحور النيلي في هذه الفترة الزمنية ، لا نستطيع أن نمدها أبعد من السودان الشمالي ، حتى لا نصطدم بعد ذلك بما يسمى « الرطانة » أو بلغات أفريقية ، لها عالمها الخاص البعيد عن عالم العربية ، كما لا نستطيع أن نمدها تماما على طرفي هذا المحور النيلي في الجنوب ، حتى لا نصطدم بأكثر من حاجز ، يجيء في مقدمتها حاجز اللغة . □



حاضر القصيدة العربية في العراق وآفاق تطورها: رصد وتقويم

بقلم : حاتم الصكر*

تشكلت لوحة الشعر في العراق من نتاجات متميزة لأجيال متعددة من الشعراء ، أمثال : أبي نواس ، والمتنبي ، والرصافي ، والجواهري ، وغيرهم .

ولأن نهر الحياة متجدد ، فقد اقتحمت الأجيال الجديدة اللوحة الشعرية بإبداعاتها المتمايزة ، وراحت تضيف أشكالا جديدة ، تحمل معاناتها ورؤاها ، والكاتب يرصد هذه الإبداعات الجديدة وإشكالياتها وإمكانات تطورها .

إن صلة العراق بالشعر، تمنح الشاعر العراقي المعاصر - فيما تمنحه - تقاليد راسخة، وأرضاً ممهدة ، ونسقاً صاعدا الى دوحة الشعر . وتضمن له - من حيث يحس سواه بأزمة الجمهور أو التلقي - وسطا مثاليا من القراء المختلفي المستويات يحتل الشعر في ذاكرتهم أبرز الأمكنة .

لكن الميراث يظل تحديا ماثلا ، فهو يتحدى منجز الشاعر المعاصر بمنجزه ، ويرد معاصرته بأصالته ، ومقترحاته التجديدية براسخ إضافته .

بالنسبة للشاعر التقليدي (الذي يواصل الكتابة وفق تقاليد القصيدة ذات الشطرين) سنجد أنه لاسبيل له إن شاء التفرد والتميز سوى تمثل تلك العبقريات اللغوية والأدبية التي شهدها العراق ، فلا يظل له إلا فضل الصياغة المعاصرة لموضوعات (أو أغراض شعرية) ، قيل فيها الكثير منذ العصر العباسي الأول .

ولعلّ هذا يفسر خلو الساحة الشعرية من وريث حقيقي للجواهري ، فما كتب من شعر تقليدي (عمودي في الاصطلاح الشائع) ليس إلا صدى لأصوات معروفة في ديوان الشعر العربي ، بل إن بعضها لايرقى إلى لغة النموذج المُقلَّد ، ولا يستطيع فهم بنائه ليجاريه في خطابه .

* كاتب وناقد من القطر العربي العراقي



هكذا صار بإمكاننا بعد صمت الجواهري ، ووفاة أشد طلابه نباهة ، وهو في سن الشباب (عبد الأمير الحصيري) ، أن نقول مطمئنين : إن اتجاه الشعر التقليدي (أي المستجيب الى التقاليد الشعرية الموروثة) لم يحظ بصوت مؤثر ، يقنعنا بجدوى القصيدة التقليدية المعاصرة .

لقد كانت ظروف الحرب التي شهدها العراق منذ عام ١٩٨٠م ، قد سمحت بانتعاش هذا النمط الشعري انتعاشا مؤقتا ، فهو يلبي دواعي التعبئة وإثارة الحماسة ، ويتوافق إيقاعيا مع نبرة التصدي للعدوان . حتى لقد أعيد الاعتبار الى أنواع شعرية ميتة ، كالأراجيز والمعارضات . إلا أن ذلك سرعان ماخفتت حدته وضعفت أصواته ، فاتضح أن أغلب ماقيل لم يكن إلا إضافات كمية ليست لها آثار فنية .

لكننا نستطيع القول ، مادام المقام هنا مقام تقويم واستشراف ، إن ثمة أعمالا شعرية تقليدية اتجهت الى جوهر الحدث ، وجردت من الحرب (لا المعارك الآنية) موضوعات تؤهلها للخلود والامتداد في الزمن .

مراجعة مشهد الحرب

على عكس ذلك كان موقف شعر الحرب في القصيدة الحديثة التي واكبت الأحداث ، وحاولت الغوص وراء مدلولاتها .

لقد كتب شعراء العراق المجددون قصائدهم في الحرب باحثين عن الموقف والحالة والمغزى ، وصار الإنسان الفرد بطل قصائدهم التي لاتمجد المقاتل تمجيدا زائفا ، بل تعرضه في حالاته المختلفة .

وقد كتب هؤلاء الشعراء قصائد عن مواطنين بسطاء ، وشهداء مجهولين ، وقرى صغيرة نائية (يمكن التمثيل لذلك بقصائد لحسب الشيخ جعفر ، ويوسف الصائغ ، وسامي مهدي ، وحميد سعيد ، وياسين طه حافظ ، وعلي جعفر العلاق ، وعبد الرزاق عبد الواحد) .

وتنبيء سيرورة أشعارهم ، وماكتبه بعضهم بعد انتهاء الحرب ، بأنهم عاكفون على مراجعة مشهد الحرب ، وماظل في ذاكرتهم منه . ولعل المستقبل لايحتاج بالنسبة لهم الى نبوءة خارقة ، فهم ، ضمن خط سير قصائدهم الانسانية سيرسخون تقاليد القصيدة المحتفية بالإنسان عنصرا بارزا في لوحة الحرب : مواطنا ، ومقاتلا ، وشهيدا ، محبا ، أو أسيرا ، أو خائفا . وهكذا يحق لنا أن نتوقع ، منذ الآن ، أن يزدهر النوع الشعري الذي كتبوه ، وتضيف إليه الأجيال الشعرية اللاحقة ماتنتجه المخيلة ، بعد أن تصبح الحرب ذكرى بعيدة

تحديات للشعر

ويوجد بيننا اليوم من يتفاءل بالنهضة المسرحية والسينمائية والتشكيلية ، وبالجماهيرية التي يحظى بها المذياع والتلفاز . وحجته في تبرير تفاؤله تتلخص في مزايا نظرية افتراضية ، ذات صلة بالمعرفة وتكوين المتلقي . يرى المتفائلون أن ازدهار الفنون المجاورة يرقى بالمستوى العام



● حميد سعيد ● سامي مهدي

للمتلقي ، وبذلك يجعله أكثر استعدادا لتقبل الشعر ونظامه المعقد ، وموضوعاته وأشكاله (أو أساليبه) الجديدة .

ووجه الطعن في هذا الافتراض يتركز في أن تلك القنوات ، شأن أي وسيلة اتصالية ، يمكن أن تُسْتَثمر ثقافيا ، وأن تَسْتَثمر المتلقي في غير ذلك . وهذه هي الخطورة التي يخشاها المتشائمون ، وهم يرون الغزو الاتصالي المتصاعد يبعد الشعر الى درجات دنيا في سلم الاهتمامات .

فالمخاطبة البصرية ، المصحوبة بالمتعة ، تخلق متلقيا بصريا ، لا يصبر على القراءة مجردة عن المصحوبة بالصور ، وينفر من الأفكار أو الأجواء التي ينقله إليها الشعر .

ويتدعم هذا الاغتراب عن الشعر بانتشار التمرينات العقلية التي تقدم على شكل ألعاب مصورة في أشرطة ، فهي تستهلك الطاقة والوقت الفائضين عن القنوات الاتصالية

إن تحديث الحياة في السنوات العشر الأخيرة فقد الشعر جانبا كبيرا من جمهوره التقليدي . نعكس ذلك بأجلى مظاهره في انخفاض مبيعات الدواوين الشعرية ، والمجلات الأدبية المتخصصة ، انخفاضا حادا .

لكن ازدهار القنوات الاتصالية ، وقد خلق متلقيا بصريا ، سوف يخلق منتجا للشعر في مدى السنوات القادمة حتى مطلع القرن الحادي والعشرين ، له مكونات هذا المتلقي ، لأنه واقع تحت المؤثرات نفسها . وليس من المعقول أن إنتاج الشعر سوف يتم بالطرق التي ألفها الشعر الحديث ، فالقصيدة نفسها سوف تتأثر على مستوى الأبنية والأفكار بثقافة نهاية القرن ومؤثراتها .

إن مايكتبه بعض شعرائنا المعاصرين في المسرح الشعري مثلا ، سوف يتأكد بالمزيد من التجارب ، لأن القصيدة الحديثة لايمكنها أن



● محمد مهدي الجواهري ● عبد الوهاب البياتي

تنعزل عن ظاهرة ازدهار المسرح في العراق ، وتعدد المسارح ، وتنوع اتجاهات المسرحيين .

دور للمسرح الشعري

لقد ظل التاريخ حتى الآن هو المعين الذي ينهل منه شعراء المسرح عندنا ولعلنا بحاجة الى التمثيل . فنذكر مسرحية الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد (الحر الرياحي) التي تتكون من ثلاثة فصول ، مستلهمة قصة استشهاد الحسين من خلال اختيارات أحد أنصاره (القائد الأموي حر بن يزيد الرياحي) . وقارىء هذه المسرحية التي لم تقدم على المسرح حتى اللحظة ، يحس بأن التجريد والعري المسرحي والشعر هي سماتها الأساسية ، فهي ذات أجواء محلقة ، وفضاء عالٍ ، لا يستطيع المسرح أن يستوعبه ، فهناك مثلا (هاجس الحر وهاجس الشمر) ، وهما صوتان لايمكن تجسيدهما . كما استجاب الشاعر للرغبة في الترميز ، فاستحضر يوحنا المعمدان ودليله . وإمعاناً في التجريد استخدم الكورس ليردد حوارا شعريا موحدا

إن هذا المثال ، من عمل شعري ذي إنجاز طويل ، يؤكد أن الشعرَ إذ يستجيب لضغط الفنون المجاورة ، فإنما يستجيب بالمتاح من تقنياته في محاولة للدفاع الغريزي عن نوعه .

- وفي المسرح الشعري نمثل بعمل جديد لشاعر من جيل تال :

فمسرحية مَعْد الجبوري (الشرارة) تستنطق



التاريخ أيضا . تبدأ مشهدها الأول في إيوان كسرى ، وتنتهي في خيمة هانيء ، حيث (من كل صوب ينهض العرب) .

ولايستطيع المسرح الشعري ، مهما تكن الأعمال التي يقدمها ، أن يقنع المشاهد بأنه أجدر من النثر بلغة المسرح .

وربما وقفت القصائد الممسرحة موقفا وسطا بين الاثنين .

إلا أننا نستطيع أن نبحث أثر المسرح الناهض في أبنية القصيدة العربية الحديثة التي تستجيب لهذا المؤثر القوي ، في تمددها ، وتعددية الأصوات فيها ، وفي استعارة عدد من تقنيات المسرح ، كالأقنعة والمونولوج .



● بدر شاكر السياب ● بلند الحيدري

مأزق الشعر الحديث

لقد كان اختبار مستقبل الشعر قد جرى حتى الآن وفق ضغط الموضوع على حساب الفن (في قصيدة الحرب) ، وضغط الفنون المجاورة المنافسة للشعر .

إلا أن التحدي الأكبر الذي لم نتحدث عنه هو التحدي الذاتي ، فالقصيدة العربية في العراق ، تهيأ لها ، كما هو معروف ، مهاد تطبيقي ونظري ، سرعان ماأصبح عبئا .

فالتجديد الذي شهدته القصيدة على أيدي الشعراء الرواد (السياب ـ نازك ـ بلند الحيدري ـ البياتي ـ شاذل طاقة) في النصف الثاني من الأربعينيات ، ترك بصمات واضحة في الكتابة الشعرية التالية ، لأن مقترح الشعراء الرواد ، على الرغم من أنه تطويري ، ينطلق من إيقاع الشعر التقليدي ، فقد غير الحساسية الشعرية ، وهدم الفرضية التي كانت تقوم عليها .

إن المنجز الفني للرواد لايتمثل في تعدد التفعيلات والقوافي ووحدة القصيدة ، وإنما يتجسد في الحرية التي منحوها للشاعر ، فاستضاف الرمز والأسطورة والقناع ، وكتب المطولات والقصائد القصيرة ، واستعان بالتراث والثقافة العالمية ، واقترب الخطاب الشعري من لغة الكلام في الحياة اليومية .

إن هذه النقلة الجوهرية فصلت بين مرحلتين . ولم يكن هذا الإنجاز هينا ، على الرغم من الآراء التي ترى فيه مستوى فنيا متواضعا ، لكننا نستطيع ملاحظة تطوير المنجز كما جرى في شعر الشعراء التالين للرواد ، وفي طليعتهم سعدي يوسف الذي تميزت قصيدته بالموازنة بين فضاء الشعر وأرضية الحياة اليومية ، فراح يضخ الى قصائده دما جديدا ، هو عصارة ثقافته ، وإحساسه بالمكان (العراقي) ، ولغته الأليفة العذبة .

لكن قاريء قصائده الأخيرة يحس بمأزق الشعر الحديث في البحث عن أشكال وأساليب معاصرة .

فهو يعلو بقصيدته أحيانا الى ذرا لغوية ، صانعا فضاءات من المفردات والصور ، بينما يهبط بها أحيانا أخرى الى الأرض في طيران منخفض ، يهدد الجناح والجسد . فسعدي

وارث تقاليد السياب ، وفاتح نافذة على العالم . وهذه الموازنة صعبة ، كثيرة الخسائر .

وقد أحس شعراء الستينيات العراقيون بذلك ، فحاولوا مغادرة وصاية الرواد على رؤاهم ، وطرحوا مقولات فكرية مهمة ، وجدت في أشعارهم صياغات فنية متفاوتة الأهمية (مقولة الزوال في شعر سامي مهدي ، والغربة عند حسب الشيخ جعفر ، والتراث عند حميد سعيد ، ونموذج الغرب عند فاضل العزاوي) ، وقد ميزت تلك الرؤى والانشغالات أصواتهم عن سواهم ، على الرغم من وضوح المؤثر الأدونيسي في الكثير من شعرائهم .

سؤال الحداثة

ولكن ماقدمه الستينيون ظل محدود النتائج ، وبقي التحدي الأسلوبي ماثلا ، فهم لم يحسموا أمر الأنواع الشعرية ، ولم يدخلوا مناطق أسلوبية جديدة على الرغم من الرؤى الجديدة التي عبروا عنها

وفي مقدمة الأسئلة التي ظلت دون إجابات نظرية أو تطبيقية سؤال الحداثة الذي برز حادا في السنوات الأخيرة

ومن تجليات الحداثة الشعرية ومظاهرها المهمة قصيدة النثر التي كان موقف الستينيين منها غير واضح

فالرافضون لم يقدموا بدائل تقنع قراءهم بأن المشكلة الأسلوبية طارئة . وأنهم يملكون حلا لها

والمترددون لم يكتبوا في قصيدة النثر نماذج ترقى إلى مستوى التأسيس . وتكريس النوع الشعري الجديد

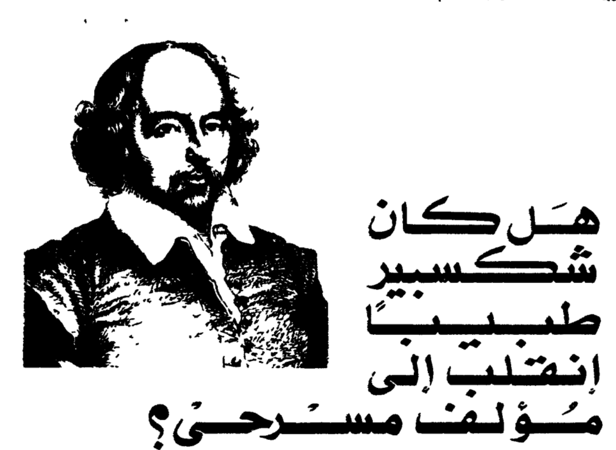
أما المتحمسون لها فقد ضاعت أصواتهم في حرارة التبشير والحنين إلى تقليد النموذج . ولم يستمر في كتابتها إلا قلائل يقف في مقدمتهم سركون بولص ، وصلاح فائق . وفاضل العزاوي الذين برزوا على صفحات مجلة (الكلمة) ، أما الجيل السبعيني فقد حاول أن يطرح موضوعات كبرى ، مثل تفجير اللغة ، والانقلاب الذوقي ، ورفض السائد ، وتجاوز الأشكال الحديثة ، فقد جرى الحديث عن (النص) الجديد و (الكتابة الشعرية الجديدة) ، الخالية من ميزات النوع الشعري المحدد ، أي اقتراح كتابة خاصة لها قوانينها التي لاتلتقي بسواها ، وهي لذلك غير قابلة للتسمية أو الوصف .

وقد برز بين أصوات هذا الجيل شعراء مثل (زاهر الجيزاني ، وخزعل الماجدي ، وكمال سبتي ، ورعد عبد القادر ، وهادي ياسين علي) ، إلا أن الأسئلة ظلت قائمة ، حتى نهض جيل شعري في الثمانينيات ، لم يفلح في تكريس هوية خاصة (تميز بين شعرائه : باسم المرعبي ، وخالد جابر يوسف ، ونصيف الناصري) .

تداخل الأصواتَ

إن لوحة الشعر في العراق - وهذه إحدى خصوصياتها - يحررها شعراء من أجيال عدة وتتداخل فيها الأصوات . حتى تلك تتساءل عن مكان لشعراء ذوي إنجاز وتميز مثل (حسين عبد اللطيف ، وعلي الطائي ، وكرار حنتوش ، وجواد الحطّاب . وعدنان الصائغ) ، ففي العراق مايزال لنازك حضورها على الرغم من صمتها . وكذلك البياتي الذي نشر منتصف هذا العام ديوانه (بستان عائشة) وفي ركن ما . من اللوحة الشعرية ، ستجد شعرا تقليديا ، أو أكثر ، يعد مشروعه المستقبلي انطلاقا من الموروث

وعلى مستوى الموضوعات والأساليب . سيدهشك هذا التداخل أيضا ، فمن شعر الحرب إلى شعر المسرح ، إلى قصيدة النثر اللغوية ، والشعر الحر ، وتجارب الكتابة الجديدة قائمة لاتنتهي من معاناة البحث عن أشكال ورؤى ، معاناة تؤشر كلها باتجاه المستقبل الذي لابد أن يظل فيه الكثير مما سيرشح به وعاء الشعر المعاصر في العراق . □



هل كان شكسبير طبيباً انقلب إلى مؤلف مسرحي؟

بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

بين الطب والأدب صلة نسب وهي على أقوى ما تكون في أعمال شكسبير. بل إن الإنسان أحياناً يكاد يتصوره طبيباً انقلب إلى كاتب مسرحي. لاطلاعه الواسع عن الأمراض والعقاقير والأعشاب بشكل مدهش يثير العجب، ومسرحياته التسع والثلاثون تعج بهذه المعلومات. باستثناء مسرحية «تيتوس اندرونيكس» وفي هذا المقال سياحة طبية في عدد من مسرحيات شكسبير

ليس ما ذكرنا هو كل ما في الأمر، فقد سبق وليم هارفي الى ذكر الدورة الدموية، ففي المشهد الأول من الفصل الثاني من مسرحية (يوليوس قيصر) يقول بروتس لزوجته

«أنت زوجتي الحقيقية الجديرة بالاحترام، عزيزة علي كقطرات الدم المتوردة التي تزور قلبي الحزين»

لم يكن اكتشاف الدورة الدموية قد أعلن، فقد تم ذلك بعد وفاة شكسبير بسنوات، فلعل المسرحية لم تكتب سنة ١٦٠٣ كما أرخها كولير، وهذا أمر بعيد الاحتمال، أو لعل هارفي نفسه أطلعه عليها قبل أن يعلنها على الملأ، لكن هارفي يومذاك كان طبيباً شاباً، يدرس في «بادو» بإيطاليا، ولما تكن الفكرة قد اختمرت في ذهنه بعد، بل ظهرت بعد ربع قرن، فهل

توصل إليها شكسبير بعد دراسته لبحوث ابن النفيس المترجمة إلى اللاتينية ، وفيها ذكر وافٍ للدورة الدموية الصغرى ، أو أن العبقري يرى بعبقريته ما لا يراه العالم إلا بعد سنوات من التجربة والاستقصاء ؟ ذلك لأن أول إشارة إلى الدورة الدموية من قبل هارفي كانت سنة ١٦٢٨ ، أي بعد وفاة شكسبير باثنتي عشرة سنة ، وبعد إعلان شكسبير لنظرية [illegible] ثم إن الفكرة تتكرر في مسرحيه « جهد الحب الضائع » ، وتتجلى أكثر في القسم الثاني من مسرحيه « هنري الرابع » ، إذ جاء فيها

« [illegible] الدم التي [illegible] »

وفي المشهد الرابع من الفصل الثاني من مسرحيه « دقة بدقة » ذكر لاحتشاد الدم في القلب ، بعد عودته من سائر أعضاء الجسم مما قد يسبب الإغماء [illegible] ويتحدث في المشهد الرابع من الفصل الأول من مسرحيه « روميو وجولييت » عن [illegible] « إن الشريان [illegible] الدم » وفي مسرحيه « هاملت » يهتف شكسبير [illegible]

« [illegible] للمرحة [illegible] على الوقت باعتدال ويوقع [illegible] موسيقى [illegible] »

طبيب واختصاصي

وإذ جاز [illegible] أن نعد شكسبير طبيبا [illegible] كتب مسرحي ، في خصائصه [illegible] [illegible]

[illegible]

كل محرز روائع لعوصف [illegible] العقلية ، فالمؤرخ يدرس تاريخ تطور [illegible] على أشد ما يكون [illegible]

والسياسي يظفر بمعلومات عن المؤامرات واتجاهات الفعاليات البشرية ، والعالم النفساني يتعمق في علم النفس ، فيحقق من وقع الأمراض النفسية ، مما لا يمكن أن يحاول القيام به الطبيب الاعتيادي المرتعب أمام هذه الحالة الغريبة الشاذة ، ولكن مع ذلك بوسعه أن يطلع من الناحية الطبية على الاختلال العقلي . والفيلسوف يدرس كيفية تحت السورات العاتية المدمرة

وليس ثمة من هو أقرب إلى العالم النفساني من الشاعر الملهم كدليل ومرشد ، وشكسبير [illegible] فهو لطبيعته [illegible] ممثلة بصوره [illegible] أكثر من أي شاعر أو كاتب

[illegible] في مسرحياته [illegible] ممثلة في الشخوص التالية

١ ـ مكبث [illegible] وحب الشهرة
٢ ـ هاملت [illegible]
٣ ـ وعطيل [illegible]
٤ ـ « الملك لير » ويمثل [illegible] عدم تدبر العواقب والغرور

« [illegible] » [illegible] الخير المتطرف والتبذير

وللأسف فإن معالجة مرضى العقول ، لاسيما [illegible] في أيام شكسبير [illegible]

[illegible]

[illegible] هاملت

[illegible]

بعد درس هاملت ، حتى على ضميره من أجل الثأر لوالده الراحل ، فقال

هكذا ، فإن الضمير يجعلنا جبناء . وبهذا

ينصل لوم الحزم الأصيل ،بإلقاء وشاح شاحب على مشاريع ذات أصالة عظيمة وخطورة ، فتفقد العزيمة اسمها ! »

والضمير في « ماكبث » ـ خلافا لما نجده في « هاملت » ـ مستقل عن العقل ، فما يقوله العقل ليس ما يوحيه الضمير ، ولم يكن « ماكبث » باديء ذي بدء مجنونا أو شريرا ، بل كان ـ كما يقول شكسبير ـ راضعا من لبن العطف الإنساني ، فهو متفائل ذو كفاءة عجيبة ، ولكنه كان عرضة للتأثيرات الخارجية ، فموضوع الدراسة في « ماكبث » الأعصاب لا الضمير ،وفعالية الدماغ لا قوة الإرادة ، وتكوين الرجل « الفسيولوجي » هو المسؤول ، فالشر يفضي الى الشر ، ولا بد من كسر الحلقة المفرغة في موضع ما .

ويشير شكسبير في « الملك لير » إلى أن الاضطرابات العاطفية هي السبب الرئيس في الجنون ، وقد أعرض الأطباء عن هذا الزعم الشكسبيري ، مع ذلك لم ينجحوا في تعريف الجنون الا بما يحدثه وليس في وصف جوهره ، فالملك « لير » في القمة ، والقمة بما فيها من وحدانية وعلو تعرض العقل البشري للدوار ، لاسيما إذا كان مثقل الرأس بالتاج ، فالتفكير يكون مضطربا غير مأمون العواقب ، ففي القرن الثامن عشر كان ربع ملوك أوربا مجانين ، بينهم ملك البرتغال والدنمارك والسويد وانجلترا وقيصر روسيا ، فالسلطة التي لاحد لها هي الوحدة المخيفة بحد ذاتها ، كما قال ونستون تشرشل ، فمالكها لاصديق له ولارفيق ولاند ولانظير ، بحيث يصبح ، إلا في ما قل وندر ، غير قادر على التمييز بين الصدق والكذب ، بين الإخلاص الحقيقي والنفاق ، وأكثر الشر متأت من بطانة السوء ، لأنها تجنح الى الرياء والمداجاة جريا للمنافع واكتسابا للمغانم ، وتكون أول من يجهز على الحاكم عندما تتأزم الظروف ويحرج ، فلا يتبين المدخل من المخرج ، وقد جمع (الملك لير) بين الاستبداد والشيخوخة ، وهذه الأخيرة كثيرا ما تجعل الإنسان أنانيا ، جامد العواطف ،لا يتأثر بالانطباعات الخارجية ، ففي الشيخوخة تنضج الحكمة وتبرد العواطف ، وقد أوضح شكسبير المراحل التي تفضي الى الجنون في مسرحية (هاملت) حين يقول على لسان بولونيوس : -

« وبعد أن أصيب بخيبة أمل ـ ولنوجز الحكاية : اعتراه الحزن ، فأعرض عن الطعام ، وأصيب بالأرق ، ومن ثم بالضعف ، ومن بعده بالطيش . وبهذا الانحطاط انحدر إلى الخبل ، حيث يجد نفسه الآن يهذي مهتاجا »

وعندما نترجم هذا الكلام إلى لغة النثر الطبي ، يمكن التعبير عنه بقولنا : عندما أصيب « هاملت » بخيبة أمل ، ورفضت « أوفيليا » تقربه الودي الحار منها أصيب بالماليخوليا أو الكآبة ، فقد شهيته للطعام ، وكانت نتيجة صومه الأرق ، وقد أدى الصوم والأرق إلى هزال عام ، مما أفضى الى طيش وعدم استقرار ، واضطراب في الفعاليات العقلية ، مؤديا بالتالي الى الجنون .

ولكن والدته الملكة ترفض هذا التعليل ، وتقول : إن السبب هو مصرع والده وزواجها العاجل من عمه .

للجنون أسباب أخرى

والجنون كالانتحار تماما ، لايكون مصدره سببا واحدا ، بل عدة أسباب مجتمعة ، فلا يجد المرء إذ ذاك مهربا إلى أحد طريقين : إما التحرر من محاصرة العقل ، أو التحرر من



الحياة نهائيا ، فالتشوق للموت لون من ألوان الخلل العقلي ، وفي هذا يقول « هاملت » :

« الشيطان يتسلل عن طريق الضعف والاكتئاب ، فهو قوي في مثل هذه الأحوال ، يسيء إلي ويلعنني » .

أما في مسرحية (تيمون الأثيني) التي تبدو لبعض النقاد غير كاملة ، . ومن أعمال شكسبير المتأخرة ، ففيها شخصية إنسان يكره البشر جميعهم ، ويمكن وضعها في صنف واحد مع « هاملت » و « لير » وهي شديدة الشبه بالأخيرة ، فهي مثلها في البداية مليئة بالثقة غير المعقولة ، وهي مثلها في النهاية مليئة بالحقد غير المعقول ، فتطور الشخصيتين متماثل ولكن الظروف مختلفة .

وتيمون الأثيني بعيد كل البعد عن الصورة التي يصوره بها بلوتارك ، إذ يقول : إنه أفعى خبيثة ، إنه إنسان مؤذ للبشرية ، فهو في جوهره سامي المباديء ، نبيل المشاعر ، غير أناني ، كريم العطاء ، يجد اللذة في الاحسان والكرم دون مقابل ، وطبعه لطيف ، غير أحمق ، بل له عقلية مثقفة مهذبة ، فهو عاقل في كل شيء عدا أمرين : عدم قدرته على تقدير الخصائص والمزايا ، وعدم تبينه علاقة الأشياء بعضها ببعض على نحو ما هي متميزة عن مضاداتها التي تحولها وتنقلها من وضع الى وضع ، وله كل المشاعر والأحاسيس عدا تقدير البديهيات .

ونجد مثيل تيمون أحيانا في الطبقة الأرستقراطية الانجليزية في صورة شاب يولد في عائلة ثرية ، يحمل اسما فخما ، •يربى كأمير صغير ، لايحرم من رغبة يصبو اليها ، فهل يمكن للعقل أن يعتريه ضعف في مثل هذا الوسط الممتاز ؟ هل لشاب متألق المنشأ ، ذهبي الآفاق ، مترف ، أن يصاب بلوثة عقلية ؟ ربما عن طريق أصدقاء السوء ، أو بسبب سلطة المعلم المستبد ، أو بتأثير الاعتداء الذاتي ، فلا يشعر بعلاقته الحقيقية بالآخرين ، وعلاقتهم به ، لتقدير القيمة الحقيقية للحافز والدافع . فالطفل بمعاقبته على سوء تصرفاته يدرك هذه الحقيقة ، وكما أن الطفل يفهم أن النار تحرقه فكذلك الرجل البالغ ينبغي له أن يفهم التملق ليس صداقة حقيقية ، وأن الركون إليه حماقة وطيش ، ولكن تيمون الأثيني لايفهم ذلك ، فالحياة بالنسبة له حلم شاعر : طيبة قلب وجمال ، وتيمون مبذر ، لايقبل هدية من الشخص الذي دفع عنه الدين لينقذه من السجن ، فهو يبذر لمتعة التبذير ، ويعطي للذة العطاء : وهو عدو نفسه ، ولايمكن للانسان أن يكون عدو نفسه في العالم المتحضر دون أن يؤذي الآخرين . يقول تيمون الأثيني : « أعطيته مجانا ، بشكل مطلق ، فليس ثمة من يقول بصدق : إنه يمنح مادام يتسلم شيئا مقابل ما يمنحه » هكذا كان مقياس السخاء عند تيمون الأثيني . ويضيف إلى ذلك قوله :

« أموالي ترحب بكم أكثر من ترحيبها بي » .

وكثيرا ما يردد أمام الناس ، لاسيما الفقراء منهم ، قائلا : « كنت أتمنى أن أكون أفقر لأكون أقرب إليكم » . وهكذا يصل في النتيجة الى قرارة الفقر ، ويغرق فى الديون ، وينفض من حوله الأصدقاء ، فيحقد على البشرية جمعاء بسبب حمقه وسفهه ، ويغضب على الجميع لسوء معاملة القلة القليلة منهم له .

كان مجنونا فأصبح أحمق نتيجة تغير ظروفه لسوء تصرفه ، فينصحه صديق له أن يكون متملقا ، ليتقرب من الأغنياء ، فيستعيد بعض ما وهبه إياهم ، فيفعل ذلك ، ولكنه يعود فيفرق ما يحصل عليه على المحتالين والدجالين هذه المرة ، وفي هذه الأثناء يكتشف في بيته كنزا من ذهب ، يوزعه على السفلة ، ليشجع الرذيلة في البشرية المكروهة على زعمه ، ذلك لأن مقام الذهب عنده كمقام العاهر في بني البشر .

وينتهي أمره بالانتحار .

الأمور بخواتيمها

إن أكثر مسرحيات شكسبير إغراقا في الطب والمعالجات الطبية هي مسرحية (الأمور بخواتيمها) ، فعقدة الرواية بحد ذاتها طبية ، بطلتها ابنة طبيب يتيمة ، لم يترك لها والدها شيئا سوى وصفة طبية سرية ، تعد كنزا من الكنوز ،

تشمي بها علة مستعصية أصيب بها ملك فرنسا ، ودلك بعد أن عحز الأطباء كافة عن معالجته ، فيكون جزاؤها زوجا تحبه من نبلاء القصر ، فأطباء فرنسا أخفقوا في معالجة العاهل الفرنسي وشفائه من ناسور ، بل يزداد الناسور سوءا ، فتقوم (هيليبا) ، بطلة القصة ، برحلة إلى باريس معالجة الملك ، وتتزوج (بيرترام) ، فتمضي صهوة جوادها وترحل ، وتشفي للملك في صف تهاية يام ، دون إرهاق له بمزيد من العذاب والألم ، وذلك بعد أن يرفض الملك تطوعها لمعالجته ، فتقول له « ألأني شابة ؟ بيد أن أبي هو جيرارد الناربوني ! » ! ولا يكاد الملك يسمع بالاسم حتى يوافق في الحال . فتدهشه بشفائه في الموعد المضروب . وكان الناسور في أيام شكسبير عبارة عن قيح يأخذ سبيله الى أي مكان في الجسم . أما الملك الفرنسي فكان الناسور في صدره

ويقول شكسبير ... إنه لو فيض لجيرارد الناربوني أن يعيش لجعل الإنسان خالدا . ولمضي الموت عاطلا دون عمل ، فهل يا ترى قتل جيرارد لأنه لا يعقل أن يموت موتا طبيعيا ، ما دام قد درك سر الخلود ؟ فهو - على حد تعبير شكسبير « ينفخ حياة في الحجر »

ومن الغريب أن نبيل بيرترام يرفض الزوج من هيلينا ، لأنها ابنة طبيب معدم فقير . فحمله الملك على أن يتزوجها . فيبني بها ، ثم يذهب الى الحرب . فتلحق به على الرغم من ... ء لقصص لأنه يعده قط ...

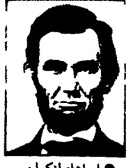
ويعد شكسبير الذهب دواء ناجعا ، وعلاجا مؤثرا ، وكان تشوسر قد سبق أن أشار الى الأهمية الطبية للذهب نفسها ، مع إشارة خفية الى جشع بعض الأطباء وتهالكهم على الذهب .

والملحوظ في مسرحية « أو تيللو » أو « عطاء الله » (عطيل - على رأي مطران) أن الغيرة تبلغ من القائد المراكشي حدا غير مألوف ، مشرفا بذلك على الجنون . وهي الجنون المطلق بعينه . فالغيرة بشكلها الطبيعي محمودة ، بل متوقعة من أي إنسان سوي ، أما أن تصل الى حد الأوهام المريضة ونسج الخيالات التي لا سند لها من الواقع فهذا أدخل في نطاق الباثولوجي والمرضي ، وهذا ما قد حدث لعطيل المسكين ، وعندما يكتشف الواقع الناصع سيفيق من سورة جنونه ، فانتحر على جثة زوجته الحبيبة « ديزديمونة » التي قتلها ظلما وعدوانا . فعاقب نفسه بمثل ما ارتكبه إزاءها .

ونحن لا ننصف الذهن في أن شكسبير بصرف ما توافر لديه من آراء طبية بصورة لشعر التعليمي لدى الفقهاء في الآداب الطبية الوسطى . لمساعدة الطلبة على ترسيخ المعلومات الطبية المعقدة في أذهانهم ، لتساعدهم على الاستذكار استعدادا للاختبارات والامتحانات « الأكاديمية » ، لأن معلوماته الطبية تأتي عفوا وبشكل غير مقصود ، على نحو ما نجد في وصف حمى الملاريا التي انتابت المتنبي في فترة اقامته بمصر ، فهو شعر أصيل وليس شعرا تعليميا . وكذلك شعر شكسبير الطبي الذي جمع بين الفن والمتعة المفيدة □

مقالات : ... قيمت

× لايمكننا أن نكون شديدي الحذر في اختيار أعدائنا . (اوسكار وايلد)
× ذوو العلم الواسع ، هم من يرصفون هيكل المجد (شامنور)
× البطل الحقيقي في عيد من الأعياد ، هو دائما من يدفع . (بوجول)
× العاشق هو الخازن الذي يعمل ليل نهار . (ناتالي كليفورد بارني)
× ليس في استطاعتك تقوية الضعيف بإضعاف القوى . (لنكولن)


● ابراهام لنكولن

عندما تستيقظ الأميرة

شعر : خالد الخزرجي

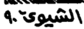
إخالُ مشّط الندى ضفائر الصباح
وانهمر الشدى على السهول والبطاح
وأمطرت سماؤنا
وأمرعت حقولنا
فأزهرت حدائق التفاح !
○ ○ ○
إخال جاءنا البشير بالهوى
فأيقظ الأنام
واعشوشب النهار في مدينة الأحلام
حبيبتي وانحسر الظلام
عن وطن السلام !
إخال هذا الغبش الوردي لاح
يصوغ مسكا ، نرجسا ، « قداحْ »
فاستيقظي
استيقظي
فالشمس يا حبيبتي
أحلى وشاح !

إخالك يا أميرة الفؤاد تخطرين
فوق ضفاف النرجس الظمآن تمرين
وتزرعين الورد في
حدائق العراق !
○ ○ ○
إخالُ وجهك الندىّ
فَضَّضَ الصباح
ورشرش الأفياء ،
ضَمَّخ الأجواء بالعبير والأقاح !
فاكتحلي
بالقمر الفضي يا سيدة الملاح
واغتسلي
في موج عطر (دجلة) الفوّاح
وأمطري
مباهجا ،
مواسما .
« أفراحْ »
وهلّلي
المجدُ للعراق ! .
المجدُ للعراق ! .











في الصميم

● هناك اكتشاف عظيم ، ينتظر أن يتم في ميدان الأدب ، وهو مكافأة الكتّاب ماليا عن الكتب التي يتعهدون بعدم كتابتها

توماس كارلايل

● أحب كثيرا الكلام والتفكير ، أي الكلام أولا ثم التفكير

سيتويل

● أساس الزواج الحقيقي سوء تفاهم متبادل

أوسكار وايلد

قاموس الظرفاء

● حاصتي شيء يخصني بد م تسب أستطيع الاحتفاظ به أو امتلاكه

● خار شحص أمرنا أن نحبه كأنفسنا . وبعض حيرن نقوه نكل م نسعه لكي نجعل بعضي هد لأمر

● إعاده نطر البحث عن تبرير لقرار سبق اتخاذه

من القلب

كثير العناد

● وصل الزوجان السائحان البريطانيان في سيارتهما إلى منطقة الأهرامات في مصر ، فقالت الزوجة غاضبة تلوم زوجها :

أنت دائما كثير العناد يادوغلاس ، فلقد قلت لك : إنه من أجل الوصول إلى مدريد ينبغي الانعطاف إلى اليمين في باريس .

كلا ياسيدي

● قبض رجال الشرطة على اللص ، وأحضروه أمام القاضي للمحاكمة ، ولما امتثل أمامه سأله القاضي

هل عندك ما تدافع به عن نفسك ؟

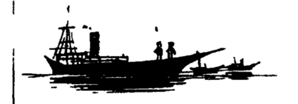
أجاب اللص كلا ياسيدي ، فقد جردوني من المسدس الذي كنت أحمله

أين الثالثة ؟

● وقف قائد البحرية على ظهر إحدى بوارجه . يشاهد مناورة يجريها أسطوله . وفجأة صاح بمساعده . وقد بدت على وجهه أمارات الغضب

من المفروض أن يشترك في المناورة ثلاث بوارج ، وأنا لا أرى سوى اثنتين فقط فأين الثالثة ؟

فتقدم منه المساعد وهمس في أذنه إنك تقف عليها ياسيدي .



لا يهمني

وقف أحد الحمقى ، أمام لافتة عليها : « حذار ، الكحول يقتل ببطء » فهز كتفه مردداً : لايهمني ذلك ، فأنا لست على عجلة .

□□□

أفضل طرق الكتابة

ذهبت إحدى السيدات إلى مارك توين ، وقالت له : إنها تود أن تشتغل بالأدب . وسألته عن أفضل طريقة للكتابة ، فأجابها على الفور :

من اليسار إلى اليمين .

□□□

السهل والصعب

كان الكاتب « ستيفان ليكوك » يحاضر في بعض المؤلفين الشبان ، فسألوه : كيف تكتب مقالاتك الفكاهية ؟

فأجاب : كل ما يجب عمله ، هو أن يحس الواحد ، ثم يقوم بكتابة ما يحس به .

فقال أحدهم : أهذا كل ما في الأمر ؟

فرد عليه : كما ترى ، فالكتابة أمر سهل جدا ، ولكن الصعب هو الإحساس

جميل مطران في عنق حافظ



● حافظ ابراهيم



● خليل مطران

● أقام حافظ ابراهيم مع خليل مطران في أحد فنادق لبنان ، وحدث أن فقد حافظ زر قبة قميصه . فقدم إليه مطران زرا عوضا عن الضائع ، فشكره حافظ ، ثم قال له : سأرده إليك اليوم .

فسأله مطران : وعلام السرعة ؟

أجابه حافظ • لأنني لا أطيق أن يبقى جميلك في عنقي .

● كان الحريري ، صاحب المقامات ، كثير العبث بلحيته ، وكان طويل المجالسة لأمير البصرة . وحدث مرة أن توعده الأمير ونهاه ، فكان الحريري بعد ذلك يجلس كالمقيد بالأصفاد . وتكلم يوما بكلام أعجب الأمير ، فسأله :

ماذا تريد أن أقطعك ياحريري ؟

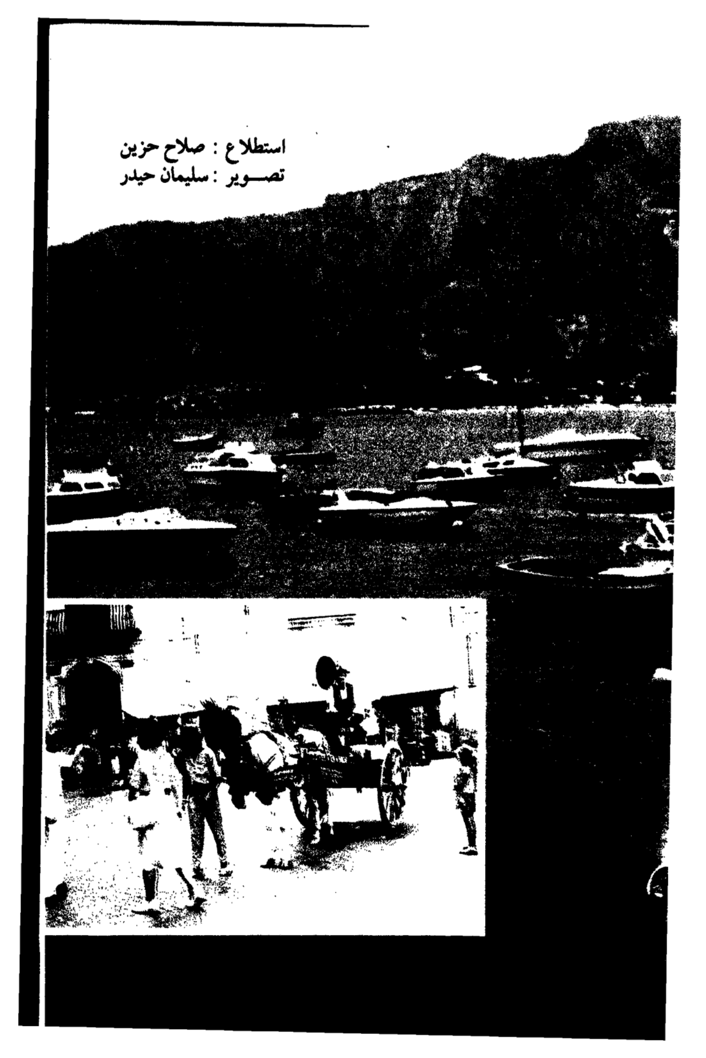
فأجابه فورا : اقطعني لحيتي .



العربي - العدد ٣٧٥ - فبراير ١٩٩٠ م

العربي
عيونك
على العالم




استطلاع : صلاح حزين
تصـــوير : سليمان حيدر

على الرغم من أنها جزء من الكل الايطالي ، الممتد داخل البحر حتى وسط أوربا ، فإن من يتصدى للكتابة عنها يحتار من أين يبدأ ، من جغرافيتها ذات التنوع والثراء ، أو من تاريخها الذي لم يصبح ايطالياً قبل عام ١٨٦٠ ، أو من تاريخها العربي الذي امتد مدة تزيد على قرنين من الزمان ، ترك خلالها بصمات مازالت ماثلة في مدن الجزيرة العديدة ، أو من ارتباط اسمها بعصابات المافيا الشهيرة .

لكن الحيرة لم تطل . كما يحدث كثيرا في صقلية ، فقد حسمت المافيا الأمر ، فأصبح لزاما علينا أن نبدأ بها .

حين وصلنا إلى جزيرة صقلية كنا مسكونين بصورة عصابات المافيا . لم يكن ذلك خوفا ، وإن كان هناك شيء منه ، بل كان إحساسا خلقته أحداث اليوم السابق ، ونحن لم نزل في العاصمة الايطالية روما ، كانت المافيا قد أقدمت على قتل ضابط كبير في الشرطة الايطالية . وهو عمل كما علمنا من أصدقائنا في روما يتجاوز الحدود التي تصل إليها تلك العصابات في حربها ضد الحكومة ، فهناك حدود ضمنية ، وهناك مايشبه القوانين التي تنظم العلاقة الدامية بين تلك العصابات والحكومة . فقد تقتل واشياً أو مخبرا أو شرطيا صغيرا على سبيل الإرهاب أو التحذير ، لكن قتل ضابط بهذه الرتبة يعني فتحا لمعركة قد يسقط فيها ضحايا كثيرة . وقد يراق دم أبرياء . وفكرت في أننا قد نكون الأبرياء الذين يراق دمهم في تلك الجزيرة المرعبة ، بل لقد خطر ببالي خاطر طريف ، هو أننا قد نكون الأبرياء الوحيدين هناك .

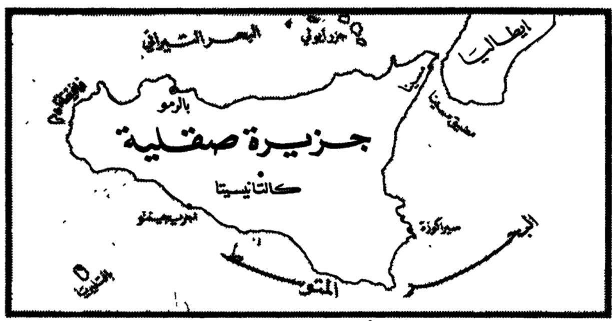
ولم يكن المشهد الأول لباليرمو ، عاصمة الجزيرة ، مساعدا على إبعاد تلك الهواجس عنا . جبل واحد ، هائل الضخامة ، بلونه الذي يجمع بين الأخضر الداكن والبني ، يقف مثل نصب عملاق ، ملقيا ظله على المدينة التي امتدت على الشاطيء المحاذي له ببناياتها التي غلب عليها الانخفاض ، وإن برزت من بينها عمارات مرتفعة ، فرسمت تنويعا على صفحة المدينة .

عندما هبطت بنا الطائرة في المطار القريب من الجبل الرهيب خيل إلينا أن أحد جناحيها لابد أن يصطدم بإحدى نتوءات الجبل الصخري ، لكن شيئا من هذا لم يحدث . ودلفنا الى المدينة من الشارع الذي تلوى مع سفح الجبل ، حتى وصلنا فندقنا في شارع ليبرتا ، بوسط المدينة التي أعلنت عن جمال لم نكن نتوقعه . ومن هناك بدأنا جولتنا في الجزيرة الكبيرة .

صقلية ليست باليرمو فقط ، إنها أيضا سيراكيوزا أو سرقسطة كما كان يسميها العرب أيام حكمهم هناك . وهي كاتانيا ومسينا وتاورمينا واجريجنتو ومرسالا وتراباني وكالتانيسيتا ، وعدد آخر من المدن الكبيرة ، مما جعل صقلية أكثر المناطق كثافة في السكان في إيطاليا كلها . ففي هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها ٧٥,٧٠٨ كيلومترات مربعة يعيش نحو سبعة ملايين نسمة .

الجزيرة القارة

وصقلية ليست جزيرة واحدة فقط ، إنها الجزيرة التي اتخذت شكل مثلث ، بالإضافة الى عدد من الجزر الصغيرة التي تناثرت عند زوايا المثلث ، أهمها جزر : بانتليريا ، وسترومبولي ، وسالينا ، وباناريا ، وليباري ، وفولكانو ، وجزيرة اوستيكا التي اعتزلت في نقطة قصية قبالة مدينة باليرمو ، وبسبب شكلها الذي يشبه مثلثا



● صقلية ، حيث أقرب نقطة إلى ايطاليا ، لا تزيد على ٣ كم .

أطلق عليها قديما اسم ترينا كريا (أي المثلث) . والطريف أن كلا من هذه المدن وهذه الجزر لها طبيعة خاصة ، وشهرة مختلفة عما عداها . وما بين المدن تعددت أشكال جمال الطبيعة وتنوعت التضاريس ، سهول شاسعة ، وحقول عظيمة ، وجبال بعضها وعر شديد الانحدار ، وبعضها الآخر مكسو بالأشجار ، وغيرها تحتوي قممها على فوهات للبراكين الخامدة ، لكنها بين حين وآخر تذكر السكان بأنها هناك .

وبسبب الطبيعة المتنوعة ، وأشكال الجمال المختلفة ، وتغير المشهد مع كل خطوة تخطوها فوق الجزيرة ، فقد قيل قديما : إن صقلية أشبه بقارة .

وعلى طول ساحل الجزيرة ، ذات الشكل المثلث ، امتدت شواطيء للسباحة ، وشواطيء صخرية ، صنع التقاء الحجر مع الرمل والماء فيها أشكالا جميلة ، جذبت السائحين ، وشواطيء وعرة وجبلية أخرى لاتصلح للسباحة والسياحة ، فتحولت إلى ملاذ لسمكة السيف التي يشكل اصطيادها أحد الموارد الرئيسة للسكان قرب مضائق مسينا ، بالإضافة إلى أسماك أخرى كالسردين والتونة والحنكليس وغيرها التي يتم اصطيادها في شواطيء أخرى من الجزيرة .

بعد يوم من وجودك في باليرمو تشعر بأن هذه المدينة حميمة بشكل خاص ، وتتبدد مشاعر الرهبة التي قد تعتريك - مثلنا - قبل الوصول إليها والانهماك في التعرف على الحياة فيها بجوانبها المختلفة ، ويحل محلها شعور بالارتياح من أناسها الذين يتميزون بطبيعة وتلقائية ومرح يبدو لك عندما تتعامل مع سائق سيارة أو بائع أو موظف بمكتب سياحة أو بأحد الجالسين على مقاعد في الحدائق العامة الكثيرة المنتشرة في المدينة . قد يفاجئك الصوت العالي للناس عندما يتحدثون عن بعد ، أو يقابل بعضهم بعضا في أماكن أو أزمنة غير متوقعة . وقد تضحكك كثرة استعمالهم للإشارة التي لايستخدمون فيها الأيدي فقط،بل الرأس والكتفين والجسم كله أحيانا ، لكن هذا كله يمنح القادم من أقطارنا العربية شعورا بالألفة . أليس هذا ما نفعله نحن العرب أيضا ؟ ها هي صقلية ، وها هم أناسها الطيبون ، فأين المافيا إذن ؟ وضحكنا ولكن إلى حين .

في أسواق باليرمو

وخرجنا إلى المدينة عبر شارع ليبرتا الرئيس العريض ، تحف به من الجانبين البنايات المتناسقة بشرفاتها التي أطلت على وسط المدينة ، وفي نقطة داخل حديقة جيوسيبي فيردي التي تتوسط المدينة بدأنا بالتقاط الصور لما حولنا من خضرة وبشر وسيارات وعربات تجرها الخيول .

ومن بين البنايات جميعها مسرح ماسيمو ببنائه الشبيه بالمعابد اليونانية ، وقد تقدمت المسرح نفسه والذي يعد ثالث أكبر مسرح في أوربا بعد داري أوبرا باريس وأوبرا هاوزن بألمانيا . أما الأثر اليوناني الذي شاهدناه في أماكن أخرى بعد ذلك فمن خلال الاغريق الذين حكموا الجزيرة قبل الصياقلة الذين أعطوا الجزيرة اسمها .



● النخيل في شوارع صقلية يذكرنا بتاريخها العربي .

وكانوا بذلك أول من غزا الجزيرة بسكانها الأصليين الذين كانوا مزيجا من الايبريين والليبيين كما تقول مراجع التاريخ الصقلي .

وواصلنا جولتنا قاصدين أن نرى كنيسة مارتورانو الشهيرة . لكننا مررنا ببناء متجهم ، أشار لنا السائق قائلا : إنه سجن ، مما أعاد إلى أذهاننا صورة المافيا مرة أخرى .

ولم يزل هذا الخاطر عنا عندما وصلنا الكنيسة فشاهدنا حفلا للزواج ، حيث وقف العروسان يتلقيان التهاني قبل دخولهما إلى الكنيسة ليعقدا القران . ونثر أصدقاؤهما الورود فوق رأسيهما . وطافت بذهني مشاهد من كتب قرأتها وأفلام سينمائية شاهدتها عن حفلات زفاف رجال المافيا ، حيث العريس يحتضن عروسه بحنان ، بينما رجاله القساة يقومون بمذبحة يقتلون خلالها خصومه الذين لايقلون قسوة عنهم .

واكتفينا بمشاهدة الكنيسة من الخارج ، وتركنا العروسين لمصيرهما المشترك ومضينا ، ولكن إلى الأحياء الشعبية القديمة هذه المرة ، في منطقة الأسواق يزول عنك شعور الغربة ، ويحل محله شعور بالألفة . فعلى أطراف السوق جلس بعض الكهول والعجائز يلعبون « الداما » و « النرد » أمام جمع قليل من المتفرجين الذين انهمكوا بين آن وآخر في حديث جانبي هامس غير مبالين بالصراخ الذي ارتفع بالقرب منهم على ألسنة البائعين أو من أصوات اصطدام النرد بالطاولات الخشبية . وبعد أن حذرنا سائقنا من اللصوص وأوصانا بأن نحرص على ما معنا ، خاصة آلات التصوير ، بدأنا رحلتنا المضنية داخل الأسواق المكتظة بكل شيء ، بعربات البيع والباعة الراحلين وباعة الخضار والفواكه ثم الأسماك واللحوم وبالشارين من كل صنف ولون . ازدحام كبير وأصوات عالية مختلفة النغمات ،



● البوابة العربية
في باليرمو

وصخب وضجيج من بعض العنيدين ، ممن أصروا على الدخول بدراجاتهم النارية وسط هذا الازدحام الخانق .

وخلال هذه الجولة الصعبة أمكننا ملاحظة الشبه بين أسواق الخضار العربية وبين هذا السوق . المعمار القديم الذي طمسته الحياة العملية للسوق والمظلات التي تحمي البائع والخضار من حر الشمس ومطر الشتاء .

وفي سوق السمك ، وقف بائع خلف طاولة صغيرة ، يبيع وجبات سريعة من لحم الأخطبوط ، إنهم يأكلون الأخطبوط إذن .

ألسنا في بلاد المافيا ؟ ومع ذلك فإنك تشعر بالألفة .

العرب والمافيا

ربما كان الشعور بالألفة الذي يلازمك وأنت في باليرمو هو أنها مدينة بناها العرب ، فقد أقامها القرطاجيون مستوطنة لهم على الوادي الفسيح الواقع تحت جبل بليغرينو العملاق الذي كادت طائرتنا أن تصطدم به ، أو هكذا خيل إلينا في أثناء هبوطها في المطار القريب . وفي عام ٢٥٤ قبل الميلاد وقعت تحت سيطرة الرومان الذين أطلقوا عليها اسم (بانورموس) ، ويعني حرفيا (جميعها ميناء) ، لكنها أهملت حتى جاءها العرب فاتحين عام ٨٣١ بقيادة أسد بن الفرات ، فأحيوا المدينة لتصبح عاصمة للجزيرة التي حكموها نحو ٢٣٣ عاما ، وأطلقوا عليها اسم (بالرمة) ، وهو كما نلاحظ تحريف للإسم اللاتيني . وحتى بعد أن دخلها النورمان ، وأقصوا العرب عن الحكم فيها ، فقد بقوا هناك عمادا للحضارة والتجارة والعلوم ، حتى طردوا منها بشكل مهين ونهائي على يد فردريك الثاني ، ومن بعده شارل دانجو الذي قضى على آخرهم عام ١٣٠٠ . وخرج العرب وبقيت لهم بعض الآثار التي فشلت جميع محاولات الطمس في إزالتها ، وظلت حتى اليوم تذكر بعصر الجزيرة



الذهبي . وعندما بدأنا في التحرك في أرجاء باليرمو كانت الأحياء والآثار العربية من بين ماقصدنا أن نراه ، لكننا اكتشفنا أن الآثار العربية موجودة على قارعة الطريق ، موجودة في أشجار النخيل والليمون والبرتقال والبطيخ وقصب السكر الذي أدخلوه الى الجزيرة ، وخرجوا لتبقى



● النخيل نراه في معظم ساحات المدن الصقلية

تشكيلا جماليا يضاف الى المدينة الرائعة ، وأريجا يعطي الجو المائل للرطوبة عبقا بدأ مع بداية تاريخنا العربي ، وظل بعد العرب يذكر بهم بعد أن أصبحوا تاريخا يروى ، وبقيت حائرة بين التاريخ والجغرافيا موجودة في النقوش والزخارف والكتابات التي مازال يوجد منها الكثير على

جدران أعمدة الكنائس القديمة والقصور وأسوار الحدائق وما بقى من مساجد كانت يوما عامرة بالمصلين

موجودة في البنايات التي أقامها العرب أحياء وقصورا ومساجد ومباني وبوابات وشوارع ومواني، مازال بعضها يحمل الاسم العربي محرفا

حتى اليوم ، بل إن هناك من يقول : إن كلمة المافيا نفسها تحريف عربي لكلمة « معفى » غير أن رأيا آخر يقول : إن المافيا مأخوذة من كلمة « مافيا » وتعني ابنتي ، وأن الاسم اشتق من صوت امرأة كانت تولول فوق جثة ابنتها المقتولة وتصرخ : « مافيا » ، أي : « ابنتي » . لكن أحدا لايعرف الحقيقة حول هذه العصابة التي يلف الغموض كل شيء حولها ، بما في ذلك اسمها الذي صعب عليهم تفسيره ، فردوه إلى لغتنا العربية الجميلة .

جولة بين الجثث

في ذات صباح بدأنا مساومة مع سائق يتحدث الانكليزية بلكنة صقلية ثقيلة جدا ، عرفنا أن اسمه باولو ، وأنه عاش فترة في الولايات المتحدة ، قبل أن يعود ليشتري سيارة أجرة يعمل عليها . وتساءلنا : لماذا تكون أسماء قادة



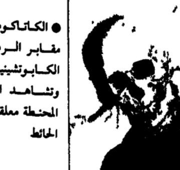
● بقايا حقن المخدرات ملقاة فوق سطح منزل مهجور . المافيا مرت من هنا

السيارات في بلدان العالم المختلفة هي الأسماء النموذجية في تلك البلدان ؟ وتساءلنا بحذر إن كانت لباولو علاقة ما بالمافيا ، فمن المعروف أن رجال العصابة يتنقلون بين صقلية والولايات المتحدة . وحتى نتخلص من السائق المريب خفضنا السعر الى درجة قدرنا معها أنه لن يقبل ، لكنه قبل ، مما زاد شكوكنا ، لكننا وبسبب الشكوك نفسها لم نجرؤ على الرفض . وأسلمنا أمرنا للسائق الضخم ذي اللكنة الثقيلة باولو ليبدأ بنا الرحلة .

وسألنا باولو عن المكان الذي سنبدأ بزيارته فأجاب : الكاتاكومب . وفوجئت بالكلمة التي تعي بالايطالية القبور ، وعبست قليلا . ولكن كان لابد من ركوب السيارة ، وهذا ماكان . وران الصمت علينا نحن الثلاثة ، السائق وزميلي المصور وأنا ، حتى وصلنا إلى القبور .

وقفت بنا السيارة في مكان لم تبد فيه آثار لموتى أو قبور ، ساحة صغيرة بين بنايات ارتفعت وتركت بناية لايزيد ارتفاعها عن طابق واحد . وقد فتح بابها الذي بدا مثل باب مرآب لسيارة خاصة ، وقد جلس على منضدة صغيرة أمامه راهب يبيع الشموع للداخلين . كان ذلك هو الباب المؤدي إلى (الكاتاكومب) أو القبور ، ومن هناك دلفنا بضع درجات إلى الأسفل لتتسلل إلى أنوفنا رائحة نفاذة ، صحبتها برودة ، أدخلت القشعريرة إلى أجسادنا . وكانت تلك على مايبدو تهيئة ضرورية للمشهد المقبل . وعند وصولنا الدرجة الأخيرة من السلم النازل ، وجدنا أنفسنا وجها لوجه أمام عشرات الجثث ، وقد صُفّت بكامل ملابسها وأناقتها على جانبي الحائط الذي امتد أمامنا كسرداب يفضي إلى سرداب آخر فآخر وهكذا . وعلى جانبي كل سرداب منها ثبتت جثث لرجال ونساء شبان وعجائز وأولاد وأطفال ، على الجانبين في الأعلى وفي الأسفل صُفّتَ التوابيت المفتوحة خلف جدران من زجاج أو من شبك ، وقد استلقى فيها الموتى

المحنطون ، بعضهم تآكل وجهه ، فبانت الجمجمة بأسنانها الضاحكة ضحكة الموت ، بينما احتفظ آخرون بهيئتهم وعيون وجوههم الذي دعمته أناقة ملابسهم التي تعود الى القرن الماضي وبدايات القرن الحالي وتحولنا بين الجثث المعروضة ، نتأمل هذا المشهد بمزيج من مشاعر الرعب والدهشة وفي أحد الأركان شاهدنا جمعا من المتفرجين يلتفون لمشاهدة إحدى الجثث ، ودفعنا لنزاحم الأحياء على مشاهدة الأموات ، واستولت علينا الدهشة ونحن نشاهد جثة فتاة صغيرة ، وقد استلقت في تابوتها الصغير ، وبان وجهها المغمض العينين في صفحة وجه يفيض براءة وجمالا لا أثر للموت على الوجه الصغير





● الكاتاكومب - مقابر الرهبان الكابوتشينيين - وتشاهد الجثث المحنطة معلقة على الحائط

الجميل . وقرأنا تاريخ وفاة الطفلة الذي يعود إلى بدايات القرن الحالي ، وعلمنا أن هذه الفتاة واحدة من أكثر الجثث شعبية ، وأن كثيرا من الناس يأتون لزيارة الطفلة التي يطلقون عليها اسم « الحسناء النائمة » .

لقد كانت هذه المقابر ديرا لرهبان يعودون إلى طائفة اسمها (الكابوتشينو) . وقد أقاموا هذه المقابر في أواسط القرن الماضي ، حيث كانوا يحنطون الجثث ويحفظونها في توابيت أو على الجدران ، وظل هؤلاء يستقبلون الجثث لتحنيطها حتى العشرينيات من القرن الحالي ،



● مراسيم زفاف في باليرمو على الطريقة التقليدية .

حين اتخذ قرار بمنع التحنيط ، فتحولت المقبرة الدير إلى متحف للجثث يدعى (الكاتاكومب) ؛ أي المقابر .

وخرجنا إلى النور ، حيث كان بانتظارنا سائقنا الذي لم نثن عليه كثيرا لاختياره الأول عندما سألنا وابتسامة تلوح على شفتيه :

هل أعجبكم ذلك ؟

في فم الصقر

لم نجب عن سؤاله مباشرة ، وإن أفهمناه ضمنا أننا نريد شيئا أكثر بهجة ، فقال : حسناً لنذهب إذن إلى مونديلو ، لكن الذهاب إلى هناك يحتاج إلى مسير طويل بالسيارة ، لنؤجل ذلك إلى الغد ، ولنذهب الآن إلى مونريالي .

ودخل بنا باولو أحياء وشوارع مكتظة بالناس والعربات والسيارات ، إلى أن خرجنا إلى منطقة اتسعت فيها الشوارع ، وتباعدت المسافة فيها بين السيارات . ولاحظنا أن سائقنا يكاد يعرف كل سائقي السيارات الأخرى العامة منها والخصوصية ، وكلما التقينا سيارة أخرى أخرج يده وصاح بأعلى صوته محييا ، وأحيانا دخل في حوار ضاحك مع زميل يحاذينا بسيارته قبل أن نتجاوزه أو يتجاوزنا . ووصلنا أخيرا إلى الشارع الذي يصعد بنا إلى كنيسة مونريالي . وأشار إلى نهاية الشارع الذي التقى بمجموعة من الأبنية صعدت مع سفح الجبل ، وقال : إن هذه المنطقة تدعى « فم الصقر » . وفي الطريق إلى فم الصقر ثم الجبل شاهدنا جزءا من الحياة الشعبية اليومية يعرض أمامنا ، أطفالا يتسابقون على عجلات أمام المنازل في الشوارع الخلفية ، أولادا وبنات يركضون بعضهم خلف بعض وقد تصاعدت ضحكاتهم . ربات بيوت أنهين أعمالهن المنزلية فقصدن محلات البقالة ليتبضعن ، أو ذهبن في زيارة يتناولن مع صديقاتهن وجاراتهن شاي الصباح ، ويفتحن معهن حديث الصباح .

أحد بائعي الخضار لم ينتظر زبائنه ليأتوا إليه



● ثلاثة مشاهد للحياة اليومية في الجزيرة سوق الخضار الذي امتدت في أعلاه المظلات على الطريقة العربية وسوق السمك في الأسفل وفي الوسط بائع خضار اختار أن يذهب بنفسه للمنازل لبيع بضاعته



● كنيسة القديس يوحنا ، بنيت فوق مسجد مازالت آثاره ماثلة

فأتى هو إليهم بشاحنته الصغيرة ، وأخذ ينادي على بضاعته بصوت قوي أشبه بأصوات مغنيي الأوبـرا المشهورين ، ليصـل من خـلال مكبـر صـوت « ميكـروفـون » إلى ربـات البيـوت في منازلهن ، أما التوصيل فيقوم به رفيق له استعد للأمر ، فارتدى أقل ما يمكن من الملابس حتى لاتعيقـه في أثنـاء عمله المتعب . الـطريق إلى مونريالي يستحق أن يوصف ، فهو يصعد ملتويا ليصل إلى قمة جبل كابوتو ، تاركا المدينة تسبح في غلالة من الغبش والضباب الذي فشـل نور الشمس في اختراقه فظل المشهد هناك مزيجا من الخضرة التي اخترقت البنايات ، ثم ابتعدت عنها متسلقـة الجبـل أسفـل الـطريق ، حتى تصـل كاتدرائية مونريالي في قمة الجبل .

عنـدما بنيت الكـاتدرائيـة عام ١١٧٤ كـان العرب قد أقصوا عن الحكم ، لكنهم بقوا هناك متعاونين مع حكامهم الجدد من النورمان الذين اعتمـدوا عليهم في كثـير من شؤون الحيـاة والدولة ، حتى أن اللغة العربية بقيت لغة معترفا بها إلى جانب اللاتينية والاغريقية ، إلى أن قضي على العرب نهائيا كما ذكرنا . لذا فإن التأثيرات العربية في البناء المعماري للكـاتدرائيـة ماتـزال ماثلة بالأعمـدة والأقواس التي تحيط بـالحديقـة الداخلية ، بل إنها موجـودة في صورة عمـلاقة للسيد المسيح توسطت جدار الكنيسة الخلفي . وقـد بدت مـلامحه شـرقية تمـاما بشعـره الأسود وبشرته الحنطية وعينيه النافذتين . وقد توسطت الصـورة مسـاحـة هـائلة من الـزخـارف الفسيفسائية ، امتدت على ٦٠٠٠ متر مربع . لكن الأثر العربي في الهندسة المعمـارية في هـذه الكاتدرائية ليس استثناء ، فالعرب موجودون فنيا في كثير من البنايـات ، سواء أكـانت كنائس أم قصوراً أم حدائق أم أنظمة ري .

موجودون في البناء الضخم الذي يدعى قصر النورمان ، وهو اليوم مقر برلمان إقليم صقلية ، وهو بزوايـاه الحادة وحجـارته الملسـاء المتجهمة والأقـواس التي علت نوافـذه وأبوابه وبوابـاتـه يعكس تاريخ الجزيرة التي تعاقبت على غـزوها أمم كثيرة ، لكن هذا البناء كان في الأساس قلعة عربية ، تم بناؤ ها في القرن التاسع الميلادي ، إلا أنها هدمت وأعيد بناؤ ها أكثر من مرة ، حتى تحولت إلى قصر بناه النورمان ، وبقي يحتفظ بهذا الاسم على الرغم من أصله العربي والتأثير العربي الواضح في هندسته .

أما الأثر العربي الأكبر ففي كنيسـة القديس يوحنا ، ذات القباب الصغيرة الحمراء التي تعلو سقف الكنيسة والبرج . وقد بنيت هذه الكنيسة أيضـا في عصـر الملك روجـر الثـاني ، ملك النورمان ، وكان العرب مايزالون هناك . غير أن زيارة الكنيسة تزيل الشكوك حول الأثـر العربي الذي تكتشف أنه أكبر مما كنت تتوقع بكثـير ، فهناك أشجار النخيل التي انبثقت في الحديقة التي



● ديـر القـديسـة روسالينا .

تتوسط ساحة الكنيسة التي انبثقت في أرجائها روائح الياسمين والنارنج والبرتقال . وهناك القنوات وبعض النقوش والزخارف العربية ، وصف طويل من الأقواس الإسلامية الشكل والهوية . والمرجح أن هذه الكنيسة أقيمت فوق مسجد بناه العرب في أثناء حكمهم . ولكن وكما يحدث عندما تتصارع الحضارات المختلفة تحاول كل منها طمس معالم الحضارة السابقة عليها . والخاسر في النهاية هي الحضارة الإنسانية كلها . لكن هذا هو الإنسان صانع أعظم الحضارات ومدمرها في الوقت نفسه .



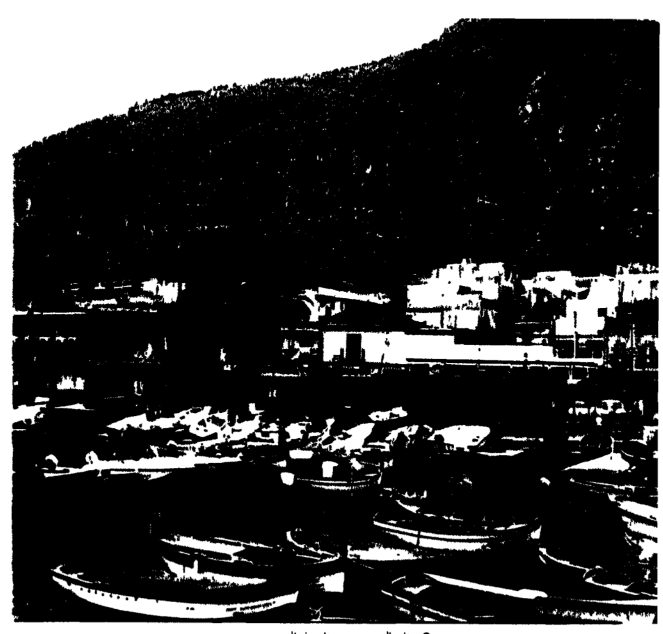
● بنايات ، وزخارف وتماثيل في عمارات وسط باليرمو

الشاطيء والقصر الصيني

في الصباح الباكر من اليوم الأخير لنا في صقلية كنا على موعد مع سائقنا باولو . ركبنا السيارة وبدأنا المسير نحو مونديلو الواقعة إلى الغرب من باليرمو . ومونديلو هي أشهر شواطيء الجزيرة ، حيث يتقاطر الناس للسباحة وأخذ حمامات الشمس قرب المياه الداكنة الزرقة . وفي الداخل من البحر الأزرق الهاديء تناثرت القوارب الملونة وقد اعتلاها المجدفون . وتقع البلدة التي اخترقت شوارعها السوداء المعبدة غابات من الخضرة التي امتدت بين جبلي بيليغرينو وغالو وبين هذه المساحات الخضراء برزت السقوف القرميدية للبلدة التي قامت على مقربة منها أطلال قلعة مونديلو القديمة . لم نصر على السباحة في شاطيء مونديلو ، فقد كانت هناك مسافات طويلة وصعبة يجب أن نقطعها عائدين إلى باليرمو عبر جبل بيليغرينو الداكن المشرف على المدينة من الشرق .

غادرنا موندليلو عبر الطريق المتعرجة التي تخترق جبل غالو لنصعد بعد ذلك الجبل الآخر ، جبل بيليغرينو ، ولكن كان علينا عند ذلك أن نمر بدير القديسة روساليا الذي أقيم على منحدرات جبل بيليغرينو . وهو بناء ضخم ينبثق من بين صخور الجبل الضخم بجدرانه الصفراء المتجهمة ، وبواباته الخضراء المفتوحة للزائرين . ويعود بناء هذا الدير إلى عام ١٦٢٥ . والقديسة روساليا هي في الواقع ابنة شقيقة وليام الثاني ، ملك صقلية ، وقد توفيت عام ١١٦٦ . وعندما حل الطاعون بمدينة باليرمو بعد سنوات طويلة كانت جثتها التي عثر عليها هي الحرز الذي أنقذ المدينة وأهلك الطاعون . واليوم يقدس مقامها لأنها القديسة الحامية للمدينة .

بعد مسافة قصيرة من الدير نصل إلى إحدى قمم جبل بيليغرينو . ومن هناك يمكن مشاهدة بلدة مونديلو الساكنة بين الجبلين ، وهي ترقد



● ميناء باليرمو ، من هنا دخل العرب

بدعة وسلام على الشاطيء الرملي ، وتأخذ ماتشاء من الصور حتى تخلد اللحظة الساحرة داخل إطار الصورة ، لأنك لاتستطيع تخليدها داخل نفسك الممتلئة . ومن هناك بدأنا رحلة أخرى نزولا إلى باليرمو من ناحية البحر .

كان الطريق الصعب المتعرج يمنحنا فرصة لمشاهدة المدينة الممتدة أسفلنا من عدة زوايا مشهد الشاطيء يغص بالسائحين الذين استحالوا نقاطا كالنحل فوق الرمال . ومشهد الأحياء الراقية البعيدة من المدينة التي احتلت مربعات من الخضرة حددها سواد القار في الشوارع .

وفي أحد المستطيلات التي اختلطت فيها الخضرة بالسواد باللون الرمادي قام قصر غريب البناء والهدسة ، بلونه الوردي الذي لم يصمد أمام حر الجزيرة ورطوبتها ، وبهدسته العجيبة التي تجمع بين قصور الأثرياء الأوربيين وبين المعمار الصيني بزواياه الحادة وزخارفه التي لاتخطئها العين .

إنه القصر الصيني الذي أخذ اسمه من الهندسة المعمارية الصينية التي امتزجت مع المعمار الايطالي الشهير ، فكونت هذا المزيج الفريد . ولكي نزوره كان علينا المرور بالميناء الذي أعلى عن نهاية الشاطيء الرملي وبداية





الأحياء السكنية الشعبية . وكان علينا أن نمر عبر بوابة ، لفت نظرنا طرازها الشرقي الواضح ، وصور أسرى يقودهم جنود منتصرون . قال باولو : « لابورتا آرابا » ، أي البوابة العربية . من هنا إذن خرج العرب ، وخرج تاريخهم ، ليتحول إلى قطع متناثرة فوق الجزيرة .

وصلنا الميناء . من هنا دخل العرب باليرمو عام ٨٣١ ميلادية . وكانت ثاني مدينة يفتحها المسلمون بعد (مازارا) التي فتحوها عام ٨٢٨ . وبعد فتح باليرمو توالى سقوط مدن الجزيرة في أيديهم ، فسقطت مسينا عام ٨٤٣ ، و (سيراكيوزا) ، أو سرقسطة ، عام ٨٧٨ ، وتاورمينا عام ٩٠٢ ، وهكذا .

لم يبق من آثار العرب غير برج قديم ، انتصب يشكو الزمان الذي تجاوزه ، فتهدمت بعض حجارته ، ونبت العشب بينها ، وضاع في زحام الحي الشعبي المطل على البحر ، والذي مازال يحمل اسما يذكّر بالعرب وزمنهم . إنه حي « الكالسا » ، والاسم ، كما هو واضح ، تحريف لكلمة الخالصة العربية .

ميناء مثل كل الموانىء التي تشاهدها في المدن البحرية ، لكن ما يميز هذا الميناء تلك الصفوف غير المنتظمة من القوارب ذات الألوان الفاقعة ، وردية،حمراء ، زرقاء أو خضراء ، أو مزيج من هذه الألوان كلها . وبينها كانت جموع من الأولاد تمارس ألعابا خشنة داخل الماء الذي عرفوه وأتقنوا الغوص فيه .

وعلى الشاطىء الرملي الذي امتد طويلا منعطفا بانعطاف الشاطىء تناثرت الأجساد في مجموعات صغيرة أو كبيرة ، اختلط فيها الأطفال بالنساء والرجال الذين التفوا حول طاولة للبحر ، أو تحت مظلة تحميهم من حر الشمس الشديدة .

وفي نهاية شاطىء السباحة نهض جبل بليغرينو المتجهم ، ليحتضن المشهد الصيفي الزاهي الألوان .



● المدينة ، البحر والجبل ، ثلاثة مشاهد للجمال في صقلية .


● القصـــر الصيني بمعماره الفريد .

المافيا مرت من هنا

وصلنا إلى القصر الصيني ، فأدهشنا حجمه الكبير الذي لم نكن نتوقعه ، لذا كان لابد لنا من الابتعـاد عنـه لكي يلتقط زميـلي صـورا لــه . وابتعدنا حتى وصلنا منزلا بدا مهجورا ، وقبل أن يعتلي سطح المنزل ذي الطابقين خرج شاب من بـاب المنزل المفتـوح وكأنـه سقط من الأعـلى ، وتبادلنا النظرات مع الشاب الذي أرخى شعره المستـرسل عـلى كتفيه . نحن مـدهوشـون من خروجه المفاجيء ، وهو مدهوش من فضولنا .

اختفى الشاب وصعدنا عبر السلم الـداخلي إلى السطح لالتقاط الصور .

وفوجئنا فـوق السطح وعـلى درجات السلم بكميات كبيرة من الحقن المستعملة التي تناثرت في كل مكان ! .

واستنتجنـا بعـون بـاولـو الـذي بـدا عليـه الامتعاض والأسف أن المدمنين على المخـدرات يلجـأون إلى هذا المنـزل المهجور لكي يتعـاطوا الحقن المخدرة ، وأن هذه آثارهم تدل عليهم . وأشار إلى الشاب الذي كان على وشك الاختفاء داخل حرش من أشجـار ، وقال : وهـذا أحد الضحايا .

وتوجهت إليه أسأله إن كانت هناك علاقة بين تجارة المخدرات وبين . . . فقاطعني وقال :

المافيا ، نعم .

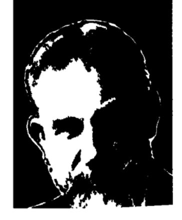
وأضـاف : إن الكـل يعـرفـون ، والنـاس يعرفون ، وبعض أطراف الحكومـة يعرفـون ، ورجال المال والأعمال يعرفون . وسألته إن كانت المافيا تشكل أو شكلت أي تهديد له شخصيا ، عند ذلك ضحك وقال بلغتـه الانكليزيـة ذات اللكنة الثقيلة : إن المافيا لديها ما هـو أهم مني بكثير . ما نحن بالنسبة للمافيا ؟ ! إنها جماعات منـظمة تنـظيما جيـدا ، لها مصـالح وأعمـال ، يحميها سياسيون ورجال مال وأعمال . وأعيـاه الكلام بانكليزيته الثقيلة فاختتم :

إنها . . شيء كبير . .

وغادرنا صقلية ، ومرة أخرى خيل إلينـا أن الطائرة ستصطدم بالجبـل ، وارتفعت بنا فـوق الجزيرة ذات الشكل المثلث .

وفي روما كانت الأخبار تتحدث عن إحـدى الأزمات الوزارية المستعصية في ايطاليا ، وترجم لي صـديق تعليقـا سـاخرا بـإحـدى الصحف الايطالية عددته مكمـلا لحديث بـاولو . يقـول التعليق : إن الجهاز الوحيد المنظم المتماسك هو ليس الجيش ولا الحكـومـة ولا الكنيســة ولا الأحزاب ، إنه المافيا . □

حتى لايعترف بالإخفاق !



● سأل أحد الصحفيين جورج برناردشو قائلا : أترغب في حياة ثانية بعد هذه ؟ فأجاب شو : كلا ، لأن في ذلك اعترافا بإخفاقي في حياتي الأولى .



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

عند حضن التمثال

بقلم : سامي محمد الصالح*

بعض المشاهد تنطبع في الذهن أحيانا ، ولا تود مفارقته ، وتسيطر على الحواس ، وتشل التفكير في ما عداها ، وتبقى حاضرة كجرح ، أو كوشم .

هكذا حدث معي عندما شاهدت المجازر المروعة التي حدثت لعشرات الشهداء من سكان صبرا وشاتيلا الفلسطينيين أثناء الغزو الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ .

بشاعة لاتوصف ، وفظاعات ، ومناظر تدل على الإجرام والخسة والغدر والحقد .

أطراف أطفال هنا ، بقايا نساء مسنات هناك ، جثث شبان وشابات مكومة في هذا الجانب أو في ذلك الجانب ، أي فظاعة تلك ؟!

لم يكن مع الجثث أو بالقرب منها أي أسلحة ، مع ذلك فإن جريمة الغدر قد حدثت ، وتم ارتكاب حفلة مجنونة للقتل ، لقد كانت مجزرة حقيقية .

فكيف لهذه المشاهد التي توالى عرضها في وسائل الاعلام أن تبرح الذهن ؟ كيف لها أن لاتترك في الضمير الفردي والإنساني حضورها وخدوشها وجروحها وشروخها !

يومئذ خنقتني العبرات ، وارتفع التوتر داخلي إلى أعلى مراحله ، وغزاني القلق ، وصدم الإنسان داخلي .

---

* فنان تشكيلي من دولة الكويت

عايشت الأرق أياما ، ولم تفارق ذهني مشاهد الجثث المكومة ، وبقي التوتر مسيطرا على نفسي ساعات النهار والليل ، ولم أجد أمامي إلا خامة الصلصال أودع فيها كل ما انطبع في ذهني من الام الضحايا ، ومقاومتهم ، وتوقهم للخروج من مصير الموت ، وشبكة الحصار حصرت الصور ، وتجسدت ، وأخذت تتلبس الصلصال ، نظرت إليها وتمعنت بعد أن قطعت شوطا في العمل ، فلم أرض عنها ، ولم أجد أنها هي التي في بالي ومخيلتي ، فتوقفت عن العمل ، ثم عدت إليه ثانية وثالثة ، ثم تمعنت فيه ، فلم أجد فيه ما بنفسي أيضا

وبعد ذلك لم أجد نفسي إلا مندفعا لتحطيم التمثال وتفتيته ، ومغادرة المكان بأقصى سرعة توجهت إلى شاطيء البحر فافترشت الرمل وسرح ذهني واشتغل بالموج وزرقة المياه ، والمدى البعيد البعيد ، ورصدت حركة طيور النورس وتمارحها فوق المياه ، وأخذت أقلب الأفكار ، وأعيد ترتيب شكل التمثال وهيئته في ذهني

في اليوم التالي كنت في قمة نشاطي واندفاعي للعمل ، وتعاملت مع الصلصال من جديد ، فأودعته كثافة أحاسيسي ورؤاي الفنية مضت عدة أيام وأنا أعالج التمثال ، وأتصارع معه ومع أفكاري

وكلما كان يمضي يوم آخر ، كان الصراع داخلي يزداد بين رغبتي في إنهاء العمل ، وبين إصراري على تطويع المادة لتأتي متوافقة مع تصوراتي لكن بعد مضي شهرين من العمل المضني ، والأرق والتوتر المستمرين بدأت بتحويل العمل من كتلة صلصال إلى خامة من البرونز ، وقد أنجزت عملين في هذا المجال ، أطلقت عليهما اسمين صبرا وشاتيلا (١) و (٢) وقد حزت على الميدالية الفضية للنحت في المهرجان العالمي للفنون ببغداد سنة ١٩٨٨

على منحوتتي رقم (١)

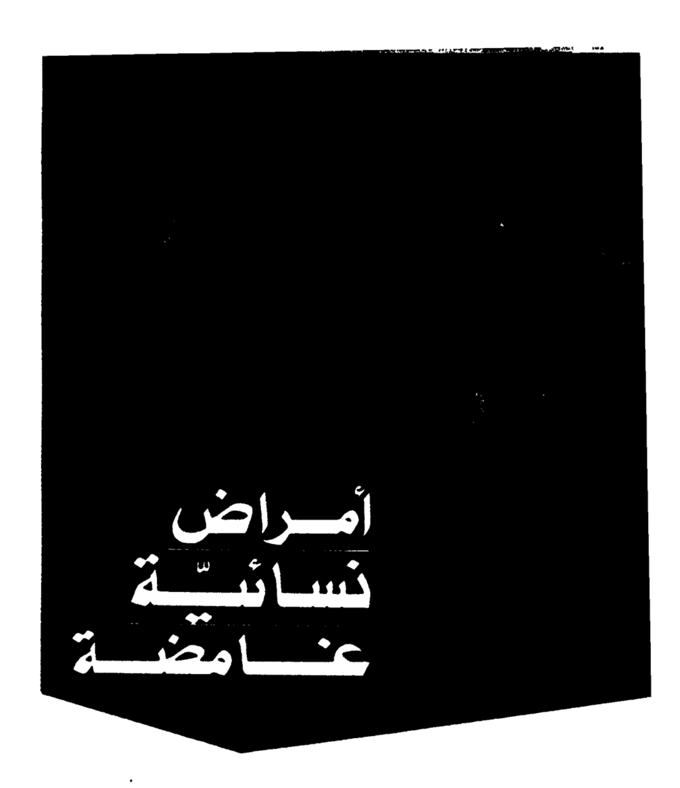
تسألني أخيرا هل خفّ توترك ؟ وهل فارقت صور المجزرة مخيلتك ؟

فأجيب لاشك أن التوتر قد خف ، لكن صور المجزرة ما زالت تسكن ذهني ، وتطفو على مخيلتي في بعض الأحيان ، إلى درجة تجعلني لا أسمع ولا أرى ولا أحس بما حولي من أصوات وأشياء وأمكنة !

وليس غريبا أني كرّست معظم أعمالي بعد ذلك لتصوير الإنسان وهو يصارع كل ما يحد حريته ، أو يحاول اضطهاده

صحيح أني قد بدأت هذا الاتجاه في أوائل السبعينيات ، عندما جسدت صراع الإنسان مع البحر وحيواناته لانتزاع لقمته والفوز بحياته ، لكن هذا الاتجاه تكرّس وأصبح سمة غالبة على مجمل أعمالي في الثمانينيات ، خصوصا بعد حدوث مجزرتي صبرا وشاتيلا □





بقلم : الدكتور علي مبارك*

حالة العقم عند النساء لها آثار نفسية واجتماعية، مسببة للألم في غالب الأحيان، تعددت تفسيرات الباحثين والأطباء واحتمالاتهم لأسبابها.

طبيبان ألمانيان أرجعاها إلى خلل في إفراز الهرمونات عند بعض النساء، فلماذا يحدث هذا الخلل ؟ وهل هناك علاج ؟.

* استشاري رعاية الأمومة ـ منطقة الأميري الصحية ـ الكويت .

قبل نصف قرن وصف الطبيبان الألمانيان «شتاين» و «ليفنثال» ، ظاهرة لها علاقة بالعقم عند النساء، عُرفت بظاهرة «شتاين ليفنثال»، وقد شرحا الظاهرة تفصيلا، وتتميز بصفات منها :

١ ـ يكون عمر المريضة في العشرينيات .

٢ ـ استطالة الدورة الطمثية لشهرين أو أكثر .

٣ ـ عقم أولي أو ثانوي .

٤ ـ سمنة أو زيادة في الوزن .

٥ ـ زيادة في نمو الشعر في أماكن غير طبيعية بالنسبة للمرأة .

٦ ـ ظهور بعض حبيبات تشبه حبيبات الشباب على الوجه والظهر .

٧ ـ تضخم المبيضين واختلافهما عن المبيضين الطبيعيين باحتوائهما على غلاف نسيجي سميك ، مع زيادة في الأنسجة الليفية بباطنهما . ثم الخاصية التي سميت الظاهرة أخيرا بها ، وهي وجود عدة تكيّسات وحويصلات مائية ، تتراوح أقطار كل منها بين ٥, ـ ١,٥ سنتمتر ، منتشرة حول المبيض تحت القشرة الخارجية مباشرة . ولم تتوافر آنذاك لديهما أسباب مباشرة لهذه الظاهرة التي أطلق عليها مؤخراً اسم «متلازمة المبايض متعددة التكيّسات». وقد أجرى هذان الطبيبان سلسلة من الفحوص المعملية على طبيعة الهرمونات في أجسام المريضات، فوجدا بعض اختلال في مستوى الهرمونات لديهن، ليس مماثلا مالدى المرأة الطبيعية. واستمرا في بحوثهما للوقوف على الأسباب المباشرة، وكيفية علاجها، وإعادة المرأة المريضة إلى طبيعتها في الحمل والإنجاب، فنجحا مع بعضهن، ممن كانت الحالة عندهن خفيفة، وأخفقا مع الأخريات، وماتزال هذه المتلازمة منتشرة بين النساء، ولا تخلو عيادة للأمراض النسائية والعقم والهرمونات من واحدة أو أكثر منها يوميا. فما ملابسات هذه الظاهرة؟

النساء غير المتزوجات يراجعن عيادة الأمراض النسائية لعلاج اختلال الدورة الطمثية، واستطالتها الى أكثر من شهرين، بل حتى إلى ستة شهور أحيانا، بينما يراجع بعضهن الآخر عيادات الغدد الصماء أو بعض اختصاصيي الأمراض الجلدية للعلاج من نمو الشعر غير الطبيعي على الوجه والبطن والصدر، وهي أماكن لا تتميز بوجود شعر فيها عند المرأة الطبيعية. أما النساء المتزوجات فتكون أسباب مراجعتهن لعيادات العقم والأمراض النسائية هى التأخر في الحمل والإنجاب، إضافة الى اختلال الدورة الطمثية وبعض الأعراض الأخرى .

شكوى المريضات :

ولفهم أسباب الخلل هذه، لابد من استعراض الحالة الطبيعية عند المرأة أولا ، فالمبيضان عبارة عن غدتين، كل منهما بحجم بيضة الحمامة الصغيرة، ويقع كل واحد منهما على جانب من الرحم، مثبت بأربطة نسيجية قوية. والمبيض مغلف بقشرة نسيجية، أما داخله فيتكون من نسيج مختلف، يحتوي على أنواع عديدة من الخلايا التي لها واجبات مختلفة أيضا. فقسم منها يكون مسؤولا عن تكوين البويضة وتطورها ونموها، وعندما تنضج هذه البويضة تكون محاطة بسائل شفاف وتسمى



● رسم تخطيطي لسيدة مع نمو غير طبيعي للشعر على الوجه والصدر.

«حويصلة جراف». وهذه الحويصلة تكبر وتنضج وتنفجر دوريا في منتصف الدورة الطمثية تقريبا، حيث يحدث التبويض الذي هو عبارة عن انطلاق البويضة إلى خارج المبيض خلال قشرته. والقسم الآخر من هذه الخلايا يكون مسؤولا عن تكوين الهرمونات الأنثوية وافرازها خلال الدورة الطمثية، ومنها هرمون «الاستروجين» الذي يزداد إفرازه بعد الحيض مباشرة، وحتى منتصف الدورة حين يحدث التبويض المذكور آنفا، فيبدأ حينئذ هرمون آخر اسمه «البروجستيرون» بالانفراز من بقايا الخلايا المحيطة بالبويضة المتحررة. المهم هنا هو التوازن



● رسم تخطيطي لمقطعين طوليين لمبيض متعدد التكيسات.

الدقيق في مراحل هذا النظام، وفي كميات الهرمونات المتكونة والمفروزة من المبيضين. وهذه تعمل ضمن نظام هرموني متكامل متوازن مع بقية الهرمونات التي تفرزها بقية الغدد الصماء، وبخاصة الغدة النخامية الموجودة في قاعدة المخ. معنى ذلك أن أي خلل في هذا التوازن بين الهرمونات كلها ثم بين هرمونات الغدة النخامية وهرمونات المبيضين بصورة خاصة يؤدي إلى أنواع مختلفة من الخلل في الأداء الوظيفي لهذه الهرمونات، لينتج عنه أعراض مرضية متنوعة. ومن هذه الأعراض ظاهرة «شتاين وليفنثال» أو «متلازمة المبايض متعددة التكيّسات».

خلل الهرمونات:

الميزة الأساسية لهذه المتلازمة هي أن زيادة ملحوظة قد تحدث في معدل تكوين هرمون «الاستروجين» وافرازه، وهذه الزيادة عن المستوى المتوازن الطبيعي تؤثر على تكوين الهرمون المسؤول عن نمو «حويصلة جراف» في المبيض وإفرازه، فتقلل من إفرازه من الغدة النخامية، مما يؤدي إلى عدم نمو الحويصلة، فعدم حدوث التبويض، ومن ثم التأخر في حدوث الحمل. كذلك تحدث زيادة غير متوازنة في هرمون آخر من الغدة النخامية، له علاقة أيضا بالتبويض، مما يؤدي إلى تحريض إفراز هرمونات ذات صفة ذكرية من بعض خلايا المبيضين، وهذه الزيادة في الهرمونات الذكرية تؤدي إلى ظاهرة زيادة نمو الشعر عند المرأة وظهوره في أماكن غير طبيعية في جسمها، أو ظهور بعض حبيبات تشبه حبوب الشباب على الوجه والظهر. كما أن عدم حدوث التبويض شهريا يؤدي إلى بقاء هذه الحويصلات والتكيسات منتشرة تحت قشرة الغلاف الخارجي حول المبيضين، مما يؤدي إلى زيادة حجم المبيض الواحد إلى الضعف، وأحيانا إلى ضعفي حجمه الطبيعي.

بقي أن نضيف أنّ مسلسل الأحداث بهذا التبسيط يعني أن السبب في حدوث المتلازمة، هو زيادة هرمون معين أو نقصه، بل إن الظاهرة ماتزال غامضة مجهولة الأسباب الأساسية في كيفية حدوثها. وبعض الباحثين يعتقد أن السمنة قد تكون هي البداية، حيث تشارك، إلى حد ما، في حدوث خلل بتوازن الهرمونات، لكن السمنة ليست صفة أساسية في هذه المتلازمة، إلا أن آخر البحوث بهذا الصدد أشار إلى أن السمنة لها علاقة بحدوث اختلال توازن تركيز هرمون «الأنسولين» في الدم، نتيجة للتغير في حساسية الأنسجة لمفعوله، كما وجد أن غدتي المبيضين تحتويان على مراكز حساسة، تتأثر باختلال هرمون «الأنسولين» هذا بدرجات مختلفة، مما يؤثر فيما بعد على توازن هرمونات الغدة النخامية. وقبل هذا نسبت دراسات وتجارب، قام بها نفر من الباحثين في أمريكا عام ١٩٨١، إلى أن السبب المباشر هو اختلال وظيفي في غدة تحت المهاد (الهايبوثالاموس)،

وهي الغدة المسؤولة عن التنظيم الدقيق لإفرازات الهرمونات في الجسم، بينما ذهب آخرون عام ١٩٨٨، إلى أن اختلال الغدة فوق الكليتين (الغدة الكظرية) هو المسؤول عن الاختلالات التالية في المبيضين، ومن ثم في نظام إفراز الهرمونات، وهذا يكون عادة مصحوبا بنمو غير طبيعي للشعر، وبزيادة في الوزن الأقرب إلى السمنة، تعود بنا مرة أخرى إلى أن لهذه السمنة علاقة بحدوث الظاهرة المذكورة.

وهكذا قد نخرج بنتيجة أخرى هي أنه على الرغم من أن تسمية المتلازمة مرتبطة بالمبيضين إلا أنها ليست بالضرورة حالة مرضية خاصة بهما، بل قد تكون مصاحبة لأمراض أخرى ليست لها علاقة بهما.

تشخيص الحالة:

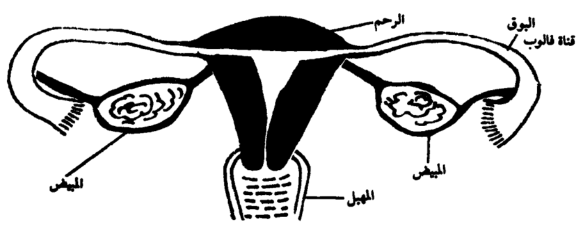
قد تبدأ خطوات التشخيص في عيادة الأمراض النسائية عندما تراجع المريضة للشكوى من اختلال الدورة الطمثية، أو - إذا كانت متزوجة - من تأخر الحمل. وكلتا الحالتين تتطلبان عمل فحوص معملية تفصيلية لمستوى الهرمونات التي لها علاقة. ولا يخفى التشخيص على الطبيب الاختصاصي من مجرد النظر إلى تقرير المعمل عن مستوى الهرمونات في الدم. وقد يلجأ إلى طلب كشف آخر بجهاز الموجات فوق الصوتية (السونار)، والأشعة المقطعية لرسم صورة للمبيضين، وهنا أيضا يعطي هذا الكشف دليلاً آخر، حيث يؤكد تضخم حجم المبيضين مع وجود تكيّسات تحت القشرة.

وقد تبدأ خطوات التشخيص في عيادة الأمراض الجلدية، عندما تراجع المريضة للاستشارة، وطلب العلاج من زيادة نمو الشعر غير الطبيعي على أنحاء مختلفة من جسمها.

كما قد تكون أولى الخطوات في عيادة الأمراض الباطنية للعلاج من السمنة، إلا أن هذه العيادات كلها تلتقي في مختبر الهرمونات، حيث توضح الصورة والتشخيص، ومن ثم الطريق إلى العلاج حسب طبيعة الشكوى.

ولندخل هنا مع المريضة، صاحبة الشكوى، لكل من هذه العيادات، فحين تكون الشكوى الأساسية هي السمنة، وما يصاحبها من اختلال في الدورة الطمثية، فالنصيحة الأولى هي أن تبادر السيدة إلى إنقاص وزنها إلى المعدل الطبيعي المناسب. وإنقاص الوزن هذا مهم جدا في الإقلال من زيادة تخزين هرمون «الاستروجين» في الطبقات الشحمية، ومن ثم إلى انتظام الدورة الطمثية. هذا بالإضافة إلى الحد من تأثير هرمون «الأنسولين» على المبيضين.

بعض النساء لا ينظرن بعين الاهتمام لهذه الناحية، وقد تقارن إحداهن حالتها ببعض السيدات البدينات اللواتي لا يشكين من مثل هذه الظاهرة، والرد على هذه المقارنة أن هؤلاء



● رسم تخطيطي يبين علاقة المبيضين بالرحم وقناتي فالوب (البوقين)

النساء قد لا يعانين من اختلال في فرز الهرمونات بشكل عام، أو اختلال في وظائف المبيضين بشكل خاص.

ومن ناحية أخرى قد لا تكون المريضة صاحبة الشكوى بدينة، بل يكون وزنها طبيعيا، إلا أنها تشكو من زيادة نمو الشعر فقط، هنا يكون الاتجاه في العلاج مختلفا نوعا، فالقصد هو الإقلال من فرز الهرمونات ذات الصفة الذكرية، وهذه الحالات تحتاج إلى إعادة موازنة فرز الهرمونات، سواء بإعطاء المريضة مركبات تثبط من زيادة تكوينها وإفرازها، أو تعادل تأثيرها على أنسجة الجسم. وكل حالة تعالج حسب العوامل المسببة لها.

بقي أن نركز على حالات السيدات المتزوجات اللواتي يتأخر عندهن الحمل والإنجاب. فكما مر في البداية تكون الأسباب المباشرة عدم نضوج «حويصلات جراف» التي تحتوي على البويضات، فطبيعي أن لا يوجد تبويض أيضا، ومن ثم لا يحدث الحمل. هنا يتركز العمل على موازنة فرز الهرمونات من الغدة النخامية التي من أهمها الهرمون المغذي «لحويصلة جراف»، والهرمون الآخر الذي يساعد على انفجارها بعملية التبويض في منتصف الدورة الطمثية تقريبا. ويتم ذلك بإعطاء المريضة نوعا خاصا من العقاقير بمعرفة الطبيب المعالج، ومتابعة الحالة بالكشف عن مستوى الهرمونات، وكذلك باستعمال جهاز (السونار) لمراقبة نضوج «حويصلة جراف»، وتوقيت حدوث التبويض. وطبيعي أن يضبط الطبيب المعالج عيار هذه العقاقير حسب الاستجابة كل شهر إلى أن يحدث الحمل.

للعقاقير مخاطر:

البحوث العلمية في هذا الصدد تشعبت، وأدى هذا التشعب إلى اكتشاف طرق عديدة لاستعمال مثل هذه العقاقير. كما أن أسماء بعض هذه العقاقير قد أصبح مألوفا لدى غالبية النساء المثقفات اللواتي مضى عليهن وقت طويل تحت العلاج. والخطورة في مثل هذه الحالات أن كثيرا منهن يبادرن إلى شراء هذه العقاقير من الصيدليات، واستعمالها بعيدا عن إشراف الأطباء المتخصصين ونصحهم، مما يؤدي إلى مضاعفات أخرى هن في غنى عنها.

ولا يُنكر أن بعض الأطباء يقوم بوصف هذه العقاقير لبعض المريضات قبل عمل استقصاء معملي لمستوى الهرمونات، للتأكد من جدوى استعمال هذه العقاقير في مثل حالتهن، وهذا التصرف يكون مساويا أيضا للخطأ الذي ترتكبه المريضة بشراء العقاقير مباشرة دون رأي الطبيب المختص.

وهناك إجراء جراحي ابتدأه الطبيبان «شتاين وليفنثال»، منذ أن اكتشفا هذه الظاهرة، وهذا الإجراء الجراحي يتم بفتح البطن تحت التخدير العام، واستخراج المبيضين، ثم استئصال جزء مقطعي من كل منهما، ورتق مكان المقطع المزال، وإعادتهما إلى وضعهما الطبيعي. وتفسير ذلك أن إزالة جزء من كلا المبيضين المتكيّسين قد يقلل من مستوى الهرمونات التي يكونانها، فينبه هذا النقص المفاجيء الغدة النخامية التي تستجيب لهذا النقص المفاجيء، بإفراز كميات أكبر من هرموناتها الخاصة المؤثرة على المبيضين، حيث يتوقع أن تحدث شبه موازنة، تشبه تلك التي تحدث من إعطاء المريضة عقاقير طبية.

وقد يؤدي تفهم المشكلة بشكل مبسط إلى تهدئة خواطر النساء اللواتي ابتلين بمثل هذه الظاهرة. والمهم أن لا خطورة على حياتهن، ولا خوف على صحتهن من حصول مضاعفات أخرى. والاستشارة المبكرة في مثل هذه الحالات قد تشفي الكثير، وتعود بالنساء إلى المسار الطبيعي. □

فكأنا ألف حازم

● قيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجل وفينا حازم واحد، ونحن نشاوره فكأنا ألف حازم.







المهندس/ سعد شعبان ○ رؤوف وصفي

- أهمُّ وسيلة لنشرِ الوعي العِلمي هي تطعيمُ المناهجِ الدراسيّة بالحقائق العلميّة.
- القُدرةُ على التبسيط موهِبةٌ يَهبُها اللهُ لبعضِ النّاسِ.
- إلى المعارضين تعريبَ العلومِ أوجّهُ سؤالاً كيفَ يتعلّم اليابانيّون والصّينيون الطِبَّ والهندسة ؟
- لا أعتقدُ بِصحّة ما يُقالُ عن عدمِ وُجودِ مُقابلٍ في اللغةِ العربيّة للمصطلحاتِ العلميّة.
- تسبّبَ الحاسوبُ في تقصيرِ مُدّةِ تجديدِ التقنيةِ لنفسِها إلى أقلَّ مِن عشرِ سنواتٍ.
- الأمّةُ العربيّةُ لديها جامِعةٌ مفتوحةٌ على الهواءِ ، لكنّها مُعطّلةٌ .

حصل عام ١٩٨٦ على جائزة الدولة التشجيعية بالقاهرة لتقديمه ٢٨ مؤلفا علميا ، بأسلوب تميز بالسلاسة والوضوح على الرغم من أن أغلبها يبحث في واحد من أدق علوم عصرنا ، وهو « الطيران والفضاء » .

وعلى مدى ربع قرن مضى توالى ظهور كتبه ، مثل : صواريخ العصر ، وأعماق الكون ، والطريق إلى القمر ، والأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، والطريق إلى الكواكب ، والملاحة الكونية ، وأحدث الطائرات ، وعصر الفضاء ، وأسرار الفضاء ، وغيرها .

وقد أجرى الحوار معه رؤوف وصفي ، وهو كاتب عربي تخصص في الإعلام العلمي ، كما أنه أحد المشتغلين بأدب الخيال العلمي .

* في ضوء تجربتك في تأليف الكتب العلمية ، نود أن تحدثنا عن مكان الكتاب العلمي بالمكتبة العربية في الوقت الحاضر ومكانته .

- بعض الحقائق المعروفة لدى دور النشر في الوطن العربي تقرر أن أكثر الكتب توزيعا هو الكتاب الديني ، يليه الكتاب الأدبي ، وبخاصة القصص الغرامية أو الكتب التي تعالج الجنس ، وهما يمثلان ٨٠٪ من نسبة التوزيع . والنسبة الباقية ٢٠٪ تشمل كل ضروب المعرفة والثقافات الأخرى ، بما فيها العلوم الاجتماعية ، والكتاب العلمي الذي أعتقد أنه أقلها نسبة . وأنا لا أجد غرابة في ذلك ، لأن انتشار الأمية في الوطن العربي بنسبة تزيد عن ٩٠٪ يجعل هذه المكانة غير مستغربة ، كما أن انصراف أغلب الناس إلى التسلية من خلال التلفاز ، وبخاصة مع انتشار أجهزة الفيديو ، يجعل الإقبال على القراءة بعامة والكتب العلمية بخاصة أمرا غير شائع . وللتدليل على ذلك ، يمكن أن ننظر إلى ما تشير إليه إحصائية للإذاعة المصرية في السنوات الأخيرة ، حيث دلت عينة للرأي العام على أن نسبة المستمعين للبرنامج الثاني الذي يعنى بنشر الثقافة العلمية والفن الرفيع قليلة جداً .

* لمن توجه كتبك العلمية ؟ هل هي للقارىء العادي أو للباحث أو للمتخصص ؟ وهل تتأثر لغة الرسالة العلمية بمن توجه إليه ؟

- حنكة الكاتب تتركز في انتقاء شريحة قرائه ، ولا أدعي أنني أخاطب المتخصصين من القراء ، فهؤلاء لهم مراجعهم . وسر انتقائي للقارىء أو المثقف العام ، أنه يمثل الشريحة الوسطى من جمهور المهتمين بالقراءة ، وهي الأكثر عددا والأكثر تأثيرا في المجتمع . وإذا أردت مخاطبة القارىء المتخصص فسيكون لزاما عليّ استخدام المعادلات الرياضية والحسابات ، وهذه غالبا ما تنفر حتى بعض المتخصصين . ولا أكتمك سرا أنني عندما حاولت ذلك وجدت أن أغلب المطابع ليس لديها الإمكانيات الفنية لطباعة الرموز الرياضية (الفا ، وبيتا ، وجاما وثيتا وسيجما . . . الخ) والحقيقة التي يجب أن تكون واضحة ، أن مخاطبة المتخصصين محلها الجامعات ومراكز البحوث ، وأنا عندما وجدت أن البشرية بدأت تعيش عصر الفضاء ، منذ عام ١٩٥٧ ، عمدت إلى تعريف مثقفي الوطن العربي بحقائق عصرهم ، لكي يواكبوا بفكرهم الإنجازات المبهرة للفضاء ، ولكن تسارع أحداث الفضاء بسرعة عالية لا يمكن ملاحقتها

بالكتب ، فعمدت إلى المقالات في الصحف والمجلات ، وهذه تتعامل مع الناس كافة ، متخصصين وغير متخصصين . ولا أكتمك السر بأنني عندما كنت أحاضر في أوساط المتخصصين في بعض النوادي . وهم يمثلون شريحة خاصة في المجتمع ، كنت أجدهم يعجبون لأبسط الحقائق عن الفضاء ، وليس لديهم أدنى فكرة عنها .

المناهج والمادة العلمية

*** ما أهم الوسائل التي تقترحها لنشر الوعي العلمي بين الأطفال والشباب ؟**

ـ لا شك أن أهم وسيلة لنشر الوعي العلمي لدى الشباب والأطفال ، هي تطعيم المناهج التعليمية في المدارس والجامعات بالحقائق العلمية التي نريدها ، لكي تستقر في وعي النشء منذ الصغر ، مع ركائز التعليم الأساسية . والذي لا شك فيه أن هناك وسائل تربوية معروفة ، تجعل ذلك محببا ، وبخاصة لدى الأطفال منذ نعومة أظفارهم مثل : مسائل الحساب ، والصور الملونة ، واللعب المتداولة بين الأطفال ، والمجلات المخصصة للأطفال . وأعتقد أن على رأس هذه الوسائل جميعها ، يقف الكتاب العلمي المبسط ، والكتيب الرخيص ، الغني برسوم وصور توضيحية ، لكي تغني عن كثير من الكلام .

وهنا تبرز قضية التبسيط لتطل برأسها ، كأخطر ما في الموضوع ، فالقدرة على التبسيط ملكة أو موهبة ، لم يهبها الله لكل الناس ، فأغلب المتخصصين لا يملكون هذه الموهبة ، بل قد لا يحبون التبسيط ، وقد لا يحترمونه أيضا ، وغير المتخصصين يجهلونه . وهي كما قلت موهبة ، تحتاج دربة ووقتا لصقلها .

وهناك وسيلة مفتقدة تماما في الوطن العربي ، هي المتاحف . ويحضرني في هذا المقام ذكريات ما رأيت في مدينة بوسطن ، في متحف العلوم . لقد مكثت بين بعض قاعاته ثماني ساعات في انبهار ، وخرجت لأقول لنفسي : لو دخل هذا المتحف حصان فسيخرج فاهما لحقائق علمية كثيرة !

ونحن نعيش حاليا عصرا يتسم بسرعة نقل المعلومات ، وأصبح الحاسوب فيه عملاقا من العمالقة . ولا شك في أن إدخال الثقافة العلمية من خلال شبكات المعلومات العالمية والقومية يمكن أن يغير كثيرا من المفاهيم ، ويساعد على نشر العلم بأسلوب لم تدركه الأجيال السابقة .

ضرورة تعريب الطب والعلوم

*** ما رأيك في قضية تعريب العلوم في التعليم الجامعي ؟ وما أفضل السبل لتوحيد تعريب المصطلحات العلمية في الوطن العربي ؟**

ـ ثارت في الصحف المصرية في الشهور الأخيرة معركة ، كثر حولها الجدل ، عن تعريب الطب في الجامعات ، وأغلب المعارضين للتعريب هم الدارسون في الجامعات الغربية . وإلى هؤلاء أوجه سؤالا : كيف يتعلم اليابانيون والصينيون الهندسة والطب وباقي العلوم ؟ الأمر لا يحتاج لكل هذا الجدل ، إذ يجب أن نعرب العلم ، لكي ينتشر في قاعدة عريضة ، وفي الوقت نفسه يجب أن ننشر تعلم اللغات ، حتى نلاحق العلم ، ليس في الغرب وحده ، ولكن في كل دول العالم . فالطبيب الذي درس الطب في روسيا مثلا ، إذا عرب ما درسه ، فهو يخدم بني وطنه ، وعليه أن يتابع ما يستجد في فنه ، لأنه يلم باللغة الروسية ، وفي خط متواز مع ذلك علينا ألا نغفل تعليم اللغات للأجيال الصاعدة ، حتى يلاحقوا أحداث العالم ، وحتى لا تزداد هوة التخلف بين الوطن العربي والدول المتقدمة . والاتجاه المحمود الذي بدأته دولة الكويت بتعريب واحدة من أعقد المجلات

العلمية وأعمقها ، وهي مجلة العلم Sience أمر يدعو للتقدير . ولا شك أن أولى الخطوات اللازمة لتوحيد التعريب في الوطن العربي هي العناية بقواميس « المصطلحات العلمية » . وفي هذا المجال لي تجربة بسيطة ، لكنها مؤثرة . ففي عام ١٩٦٥ وضعت مؤلفا فلكيا تحت اسم « أعماق الكون » ، وقد انتشر توزيعه ، وطبع في الكويت أربع مرات ، لأنني وضعت في آخره معجما للمصطلحات الفلكية .

وهناك جهد محمود للجان متخصصة في الجامعات العربية في الستينيات ، جمعت كل المصطلحات العلمية المدنية والعسكرية وعربتها في قاموس واحد . ولا أعتقد في ما يشير إليه المتشدقون بأن اللغة العربية ليست غنية بالألفاظ التي يمكن أن تكون مقابلا للمصطلحات العلمية ، فهذه أعذار واهية .

البحث العلمي والجوائز

* حصلت على عدة جوائز ، منها جائزة الدولة التشجيعية في تبسيط العلوم ، (مصر) عام ١٩٨٦ ، كما أنك قد حصلت على جائزة كالينجا العالمية من قبل اليونسكو . في رأيك هل نظام الجوائز الحالي كاف لتنشيط البحث العلمي في الأقطار العربية ؟

- نظام الجوائز له أثر في قليل من الناس ، وأعتقد أنه فعال بقدر ضئيل ، أولا لأن قيمة هذه الجوائز تكاد تكون رمزية ، فهي جوائز أدبية أكثر منها مادية ، ولا يمكن أن ينشط البحث العلمي إلا على خطط قومية راسخة ، قد يستغرق وضعها سنين طوالا . وللأسف فإن العلم في أغلب الأقطار العربية ما زال يعامل على أنه ترف في الحياة . ولا توجد مراكز متخصصة للبحث العلمي ، في أغلب المجالات الحيوية ، بل وفي بعض الأقطار لا توجد وزارة متخصصة تعنى بالبحث العلمي .

انظر إلى دولة نامية كالهند ، وهيّ بين دول العالم الثالث ، ترزح تحت وطأة كثير من مشاكل المجتمعات الكثيرة السكان ، ويهد كيانها الفقر والمرض ، ولكن لها خطتها العلمية القومية التي أولتها أهمية كبرى ، وجعلتها في مقدمة خططها الاستراتيجية ، لقد أصبح للهند طائراتها وصواريخها وأقمارها ، وبحوثها الذرية المتقدمة ، على الرغم من أنها دولة تنوء بمشاكل ألف مليون نسمة ، لهم أكثر من سبعين دينا ، وعشرات اللغات ومئات اللهجات .

التعليم على الهواء

* هل سيؤدي إنشاء جامعة مفتوحة إلى تنشيط الوعي العلمي بين الشباب العربي ؟

- عندما كنت أدرس للماجستير في الاتحاد السوفيتي في الستينيات ، كان تعداد الدارسين في الجامعة المفتوحة بنظام المراسلة البريدية أكثر من ٢٤ مليونا ، وكان نتاج ذلك أن كل صاحب مؤهل متوسط يجد أمامه السبيل لكي يستزيد من العلم ، وهو يزاول عمله ، دون ضرورة للانخراط في الدراسة بجامعة أو معهد ، ودون حاجة للانتقال إلى مقر الجامعة .

وفي انجلترا بهرت بالبرامج العلمية التي يذيعها التلفاز على إحدى قنواته ، ولقد تسمرت أمام الشاشة الصغيرة ساعات طوالا ، رأيت فيها العجب العجاب ، مثل استخراج اليورانيوم من المناجم ، وأدق أسرار الذرة ، وإجهاض السحب فوق الأراضي القاحلة ، في أفلام مبسطة ومشوقة ، ومن المعروف أن التقنية تجدد نفسها كل ١٥ عاما تقريبا ، لكن انتشار استخدام الحاسوب قصّر هذه المدة إلى أقل من عشر سنوات ، وأصبح المواطن العربي ، حتى الحاصل على التعليم العالي ، عاجزا عن ملاحقة أحداث عصره ، لأنها في تغير مستمر . ومن هنا يبرز دور الثقافة العلمية في تحقيق هذه

الملاحقة من خلال وسائل الإعلام ، وبواسطة الكتاب المبسط . فمثلا ونحن نلهث وراء منجزات الحاسوب الذي دخل كل بيت ، وكل مصلحة وكل مصرف وكل مدرسة وكل شركة في الدول المتقدمة ، يطل علينا « عالم الروبوت » برأسه ونحن ما زلنا في وقفة انبهار كأننا خشب مسندة .

وللأسف لدى الوطن العربي جامعة معطلة ، يمكن أن تمحو أمية السواد الأعظم من سكانه ، وهي القناة الجماعية في القمرين العربيين « عربسات ـ ١ ، ٢ » وهي قناة ذات إرسال مباشر ، يمكن أن تخاطب الشعوب مباشرة ، دون حاجة إلى المرور عبر محطات الإذاعات الإقليمية . فماذا لو خصصنا هذه القناة لمحو الأمية ، أو جعلناها جامعة على الهواء ينهل منها الذين يريدون العلم ما يشاءون . لقد تسببت الفرقة السياسية بين الأقطار العربية في تعطيل هذه القناة ، ولا يحتاج استعمالها إلا لوجود هوائي طبقي صغير يضعه المستخدم فوق سطح منزله أو في حديقته . فلا استفدنا منها في محو أمية السواد الأعظم ، ولا جعلناها قناة إخبارية أو ثقافية أو جامعة على الهواء .

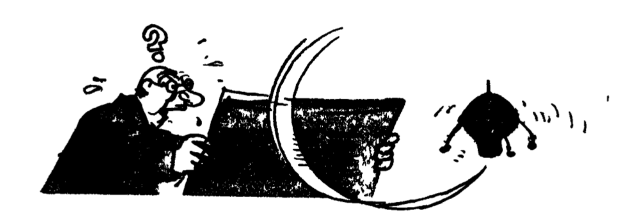
صحافتنا خبرية

* بم تبرر عدم وجود صفحات علمية متخصصة بصحافتنا العربية ؟

ـ الصحافة في أغلب دول العالم ، تسعى وراء الإثارة ، ويكفي أن نتأمل في ما يتعلمه الصحفيون المبتدئون « إنه لو عض كلب انسانا فهذا ليس خبرا ، ولو عض إنسان كلبا فهذا هو الخبر » . إن أغلب ما تهتم به الصحافة هو ما يتعامل مع شغف الجماهير ويثير فضولهم . ولذلك فالرائج في الصحافة هو صفحات الرياضة ، والفن . والحوادث ، وقليل من السياسة ، وقليل من الأدب ، بينما العلم ضائع ليس له مكان وسط هذا الكم من المتغيرات ، وإن وجد ، فليس له أكثر من ركن أو زاوية أو عمود . وأعتقد أن ذلك مرجعه إلى عدم وجود الصحفي العلمي المتخصص في دور الصحف العربية .

ولقد حضرت مؤتمرا دوليا للصحافة العلمية . فوجدت أن أغلب المحررين العلميين في الصحف الأجنبية من حاملي درجة الدكتوراة ، ويكفي أن ترى في صحافتنا العربية الخلط الواضح بين المسميات والمصطلحات العلمية ، لافتقاد وجود المحرر العلمي المتخصص ، فالكوكب والنجم سواء ، والأقمار الصناعية والصواريخ لا فرق بينها ، وعندما

* وما السبل الكفيلة بإيجاد مثل هذه الصفحات العلمية ؟



تكون هناك حاجة لموضوع علمي جديد فإن أغلب الصحف العربية تلجأ إلى بعض المتخصصين لالتقاط آرائهم ، لذلك هم يضعون السؤال وجوابه ، ويملون المقالات كأنها مواضيع انشاء .

وعندما تعمد سكرتاريات التحرير إلى اختصار هذه الآراء فإنها تشوهها ، وكثيرا ما تكون عاجزة عن خدمتها بالصورة أو الرسم الموضح ، لأنها تعتقد أن هذا ليس من رسالتها . ولذلك نجد أن العلم في صحافتنا خبريا وليس موضوعيا . فلا تعنى إلا بنقل قشور الأخبار عن الأحداث العلمية ، دون تعرض لتفاصيلها ، ويكفي أن يشار أن هذا العالم سافر لحضور مؤتمر ، وأنه سيقدم بحثا عن كذا وكذا . ولا بد من الإشارة الى أن اسلوب عشق التهويل ، جعلنا نستعمل « أفعل » التفضيل بصفة مستمرة . فإذا قدم أحدهم بحثا فهو « أول » بحث في هذا المجال ، واذا نال جائزة فهو « أول » من حصل عليها ، وإذا اخترع آلة أو صمم جهازا فهو « أول » جهاز « وأهم » اختراع !

• من النادر وجود الكاتب العلمي العربي المتخصص القادر على تبسيط العلوم ، كيف يمكن إعداد جيل من الكتاب العلميين العرب ؟

ـ لقد افتقدت الصحف العربية ، الصحفي العلمي المتخصص ، ففي الوقت الذي يوجد فيه محرر سياسي وآخر اقتصادي لا مكان للمحرر العلمي ، ولا حل لذلك إلا أن تكون هناك شعبة جديدة في كليات الإعلام ، للثقافة العلمية الصحفية . فكليات الإعلام تعنى حاليا بالتعليم التلفازي ، والإذاعي والصحفي وأفراد العلاقات العامة ، فلماذا لا تكون هناك شعبة جديدة للدراسات الصحفية العلمية .

ويمكن أن تكون هناك اهتمامات على المستوى الجماهيري تشجع نشر الثقافة العلمية ، من خلال وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ، بزيادة شريحة الثقافة العلمية بها . فهي حاليا في مصر مثلا لا تتجاوز ٥٪ من جملة خريطة البرامج ، وهذا بلا شك سيخلق جيلا من الكتاب العلميين ، ويزيد عدد المجلات العلمية المترجمة . □

من شعر محمد العيد خليفة



شاعر الجزائر محمد العيد خليفة
١٩٠٤ ـ ١٩٧٩

تحنُّ إلى نيلِ الحقوقِ نفوسُنا
وتَأبىَ علينا نَيْلَها قوةُ الغشمِ

وتُقصىَ عن الفُصحىَ ، ونلهى بغيرِها
وليس سوى الفُصحىَ لسانٌ لنا رَسْمِي

وما نحن إلاّ من سلالةِ (يعرب)
فمن رامَ عنها فَصْلَنَا باءَ بالرغمِ



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير ١٩٩٠م

الوعي والفن

دراسات في تاريخ الصورة الفنية

تأليف : غيورغي غاتشف
ترجمة : د. نوفل نيوف
مراجعة : د. سعد مصلوح



الكتاب ١٤٦

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص . ب : ٢٣٩٩٦ الكويت



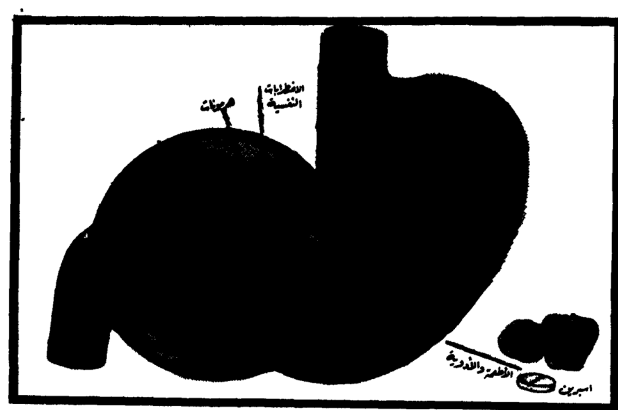
الغذاء والأعشاب علاج لقرحة المعدة والاثنى عشر

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

نتيجة للتعقيد الذي تتسم به حياتنا المعاصرة فقد انتشرت مجموعة من الأمراض ، يطلق عليها اسم أمراض العصر ، منها قرحة المعدة والاثنى عشر اللتين تعددت أسباب الإصابة بهما ، وإن كان في مقدمتها الإجهاد والتوتر ، كما أن الغذاء قد يكون سبباً ، فهل يمكن أن يكون علاجاً ؟ وهل تصلح الأعشاب علاجا لهذا المرض ؟

القرحة هي تآكل موضعي في الغشاء المخاطي للمعدة ، أو الاثنى عشر ، أو في الطرف الأسفل من المريء . ويؤدي الافراز المتزايد والمستمر لعصارة المعدة الحمضية إلى اتساع القرحة وزيادة حجمها . والأسباب التي تؤدي إلى الإصابة بالقرحة كثيرة منها ، الوراثة : ويمكن معرفتها عن طريق دراسة التاريخ المرضي لأسرة المريض وأقاربه . والإجهاد الذهني والعصبي : حيث يلاحظ أن أعراض القرحة تزيد دائما خلال فترات الإجهاد الذهني والقلق العاطفي .

كما تزداد أعراض القرحة خلال موسم الشتاء والخريف ، وإن كانت زيادة هذه الأعراض تلاحظ أكثر مع قرحة الاثنى عشر . والأفراد



● الأسباب الرئيسية التي تنجم عنها أمراض القرحة كما يوضحها الرسم .

دوو الفصيلة الدموية «O» أكثر عرضة للإصابة بالقرحة والنزيف . ومن أسباب القرحة أيضا زيادة الافراز المعدي من العصارة الحمضية للمصابين بقرحة الاثنى عشر ، وذلك نتيجة زيادة الخلايا الجدارية فى المعدة ، وهي الخلايا التي تفرز حمض الهيدروكلوريك ، وعصارة « الببسين » الهاضمة . ويكون هذا الإفراز حتى في حالة خلو المعدة من الطعام ، وهذا في حد ذاته يعد عاملا مهماً في استمرار الإصابة بالقرحة . وهناك عوامل تساعد على زيادة افراز العصارة المعدية الحمضية ، منها : التوابل ، والتدخين ، والشاي والقهوة الثقيلان ، والخمور ، والتوتر والاجهاد ، وشوربة (حساء) اللحم . ويزيد من احتمالات الاصابة بالقرحة عدم تناول وجبات غذائية كافية في عددها .

أعراض وإحصائيات

وأعراض الإصابة بقرحة المعدة تبدأ بشعور المريض بنوبات من عسر الهضم والألم ، عقب تناول الطعام ، مع فقدان الشهية ، نتيجة الخوف من الألم الذي يسببه تناول الطعام ، ومع تقدم المرض ، يعقب هذا الألم قيء ، ويكون هذا القيء دمويا ، ولكنه مصبوغ بلون القهوة ، وغالبا ما يزول الألم بعد هذا القيء . والمريض غالبا يحس بألم سطحي على جدار البطن تحت الضلوع من الجهة اليمنى . أما قرحة الاثني عشر فهي تشبه في أعراضها قرحة المعدة ، إلا أن المصاب بقرحة الاثنى عشر يحس بالراحة بعد الأكل ، ويزداد ألمه وهو جوعان ، بعكس المصاب بقرحة المعدة الذي يزداد ألمه بعد الأكل ويحس بالراحة وهو جوعان .

وقد أظهرت إحصائيات كثيرة ، أن الإصابة بقرحة المعدة ، أو الاثنى عشر تنتشر بصورة كبيرة عند المشتغلين بالمسائل الفكرية ، مثل : المفكرين ، والمحامين ، والأطباء ، ومديري المصارف ، والأدباء . وهؤلاء جميعا تتسم طبيعة عملهم بالقلق ، والعصبية ، والإجهاد الذي يؤدي بدوره إلى زيادة الحموضة في

المعدة . كما أظهرت هذه الإحصائيات أن النساء أقل من الرجال في الإصابة بقرحة المعدة ، أو الاثنى عشر ، وتصل هذه النسبة إلى ١ : ٥ ، وهذا - يعود - بالطبع إلى طبيعة تعامل كل من الرجل والمرأة مع المشاكل والأحداث . لكننا سوف نحزن حقا عندما نعرف أن مرض القرحة ليس مرضا محدودا ، بل إن الإحصائيات تؤكد أن ما يقرب من ١٠٪ من البالغين - بين سن الخامسة والعشرين والخامسة والأربعين - مصابين بالمرض ، أي أن في كل مائة شخص من الأشخاص في هذا العمر (٢٥ - ٤٥) عشرة أشخاص مصابين بقرحة المعدة أو الاثنى عشر .

دور الغذاء في العلاج

وبينما تقوم الأدوية والعقاقير التي تعالج القرحة على تسكين الألم فقط ، نجد أن الغذاء يمنح سبيلا حقيقيا للشفاء من هذا الداء ، حيث يفضل أن يتناول المريض البروتين الموجود في الحليب ، وأن يتجنب اللحوم وحساءها ، لأن حساء اللحوم يزيد إفراز العصارة المعدية ، ويعد تناول حساء اللحوم قبل الأكل بساعة أو ساعتين ذا ضرر بالغ بمريض القرحة .

وتعد الدهون (القشدة والزبد وزيت الزيتون) مفيدة جدا لمرضى القرحة ، لأنها تؤخر تفريغ محتويات المعدة وتصريفها إلى الأمعاء الدقيقة ، كما أن نواتج هضمها في الأمعاء الدقيقة يؤدي إلى إيقاف إفراز العصارة المعدية ، في الوقت نفسه يجب البعد عن الأطعمة المقلية ، لأنها أصعب هضما ، وعادة فهي تؤدي إلى تزايد شدة الأعراض .

ويُنصح بتناول الخضراوات الجيدة الطهي ، والبطاطس ، ومنتجات القمح ، مع تجنب الخضراوات النيئة .

كما يجب الامتناع تماما عن اضافة التوابل ، والبهارات ، « والصلصات » الحارة إلى أطعمة مرضى القرحة .

وتقليل تناول الشاي والقهوة بما لا يزيد عن



كوبين في اليوم يحسب المريض القرحة ومضاعفاتها ، ذلك لأن مادة « الكافايين » الموجودة في الشاي والقهوة تعمل على زيادة إفراز العصارة المعدية . كما يجب الامتناع - ماأمكن - عن تناول المشروبات الحمضية مثل : عصير الليمون ، والبرتقال ، والمشروبات الغازية ، خاصة في الحالات الحادة من قرحة المعدة . وكذلك الامتناع عن الكحوليات مثل الخمور والبيرة ، لأنها تزيد من أعراض القرحة .

ويفيد المريض أيضا تجنب المشروبات الشديدة البرودة والشديدة السخونة .

ومن الضروري تناول أي طعام كل ساعتين أو ثلاث ساعات على الأكثر ، وذلك حتى لا تفرز العصارات الحمضية على معدة خاوية . أما « الاسبرين » ، ومركبات « الكورتيزون » ومركبات « البيوتازوليدون » فيجب الامتناع عن تناولها في هذه الحالة ، ويستعاض عنها بتناول مسكنات أخرى ، مثل « النوفالجين » و « الباراسيتامول » . والحقيقة أن مركبات الاسبرين و« الكورتيزون » تعمل على زيادة نشاط قرحة المعدة ، كما أن هذه الأدوية تسبب نزفا من القرحة عن طريق الإثارة الموضعية لجدار المعدة ، وتغيير طبيعة الإفراز المخاطي له . وعند الضرورة يمكن تناول « الاسبرين » مع كوب من الحليب .

كما يجب أن يكون طهي الطعام بسيطا ، وأن يمضغ جيداً ، على أن يبتعد مريض القرحة - ما أمكن - عن الأطعمة ذات البهارات والمقلية والمحمرة ، وأن يعمد إلى الراحة قليلا بعد الوجبات الأساسية .

وصفات من الطب الشعبي

على الرغم من أن القرحة لم تكن من الأمراض الشائعة بين الأقدمين ، إلاّ أنهم أفردوا لها طرقا للعلاج ، تعتمد على الأعشاب والنباتات . من هذه الوصفات استعمال : ـ

مسحوق العرقسوس لمعالجة المعدة ، وذلك بتناول ملعقة صغيرة من المسحوق ثلاث مرات يوميا .

وعصير البطاطس من أنجح العلاجات إذا داوم المصاب بقرحة المعده على شربه باستمرار

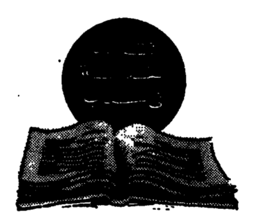
يطحن قشر الرمان ثم يضاف إليه عسل النحل ، ويتناوله المصاب بقرحة المعدة

وتناول ٣٠ غراماً من عسل النحل يوميا ، أو شرب ملعقة منه في كوب ماء دافىء يفيد في العلاج .

وأثبتت تجارب قام بها العلماء البريطانيون أن أكل ورق زهر البنفسج الجاف ، أو عمل مغلي منه وشربه يفيد في علاج القرحة .

أما بذور الخروب فتحمص كمية منها وتطحن كالبن ، ثم يضاف ثلاث ملاعق صغيرة منه إلى كوب مملوء بالماء ، لتغلى معه مثل القهوة ، ويترك حتى يبرد ، ثم يؤخذ منه كوب كل يوم ـ نهارا ـ على عدة جرعات ، مدة أسبوع ، ويرتاح المريض أسبوعاً ، ثم يؤخذ العلاج أسبوعا آخر ، وهكذا ، أسبوعا بعد أسبوع ، حتى يشفى المريض .

ويستخدم مستحلب زهر البابونج لمعالجة قرحة المعدة والاثنى عشر ولكن يجب الامتناع عن شرب القهوة والشاي والتدخين وقت العلاج ، ويحضر المستحلب بغلي نصف ملعقة من أزهار البابونج لكل فنجان من الماء الساخن ، ويترك مدة ٥ دقائق ، ثم يصفى ، ويترك ليبرد ، ثم يشرب بجرعات باردة طوال اليوم . ومع استخدام هذه الطريقة في العلاج يلزم الاعتماد على السوائل في الغذاء ، وتناول الحليب بكثرة ، وتهيئة الراحة النفسية للمريض بقدر الإمكان . □



«النيل ، الطعم والرائحة»

رواية من تأليف إسماعيل فهد إسماعيل

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

أتوقع أن يظفر قارىء هذه الرواية ببعض الجوائز الثمينة ، الجائزة الأولى فورية ، إذ سيجد نفسه منذ أول صفحة مأخوذاً بمتعة المتابعة لسلسلة من المواقف والشخصيات والأحداث ، تتسم بالإثارة النفسية والفكرية ، وتتحرك في بناء يجمع بين دقة الإحكام وروعة التلقائية ، بين نبضات قوية من الفكر والشعور تومض هنا وهناك ، وبين حبكة القصة « البوليسية » التي تتنوع خيوطها ، لكنها في النهاية تلتقي عند نقطة تجمع بين كل الخيوط .

قارىء هذه الرواية يتابع ، منذ البداية ، شخصية الراوي (البطل) الذي ينزل بأحد الفنادق الكبرى ، في مدينة القاهرة ، بجوار النيل ، وفي خطته أن يقوم باغتيال شخصية سياسية بعد ثلاثة أيام من وصوله ، في حفل بالفندق نفسه ، يقام تحت رعاية الشخصية السياسية . وتقع أحداث الرواية كلها في هذه الأيام الثلاثة ، حيث يضع القدر في طريقه امرأة ، تعمل نادلة في مقهى الفندق ، فتنشأ بينهما علاقة غير تقليدية ، في ظرف غير عادي ، ومن خلال تطور هذه العلاقة في هذه الأيام الثلاثة يتعرف القارىء على شخصية الرجل والمرأة ، ولأن الرواية مقدمة على لسان الراوي ، فإن القارىء يبدأ في التعرف على مساحات أكبر من شخصيته ، بينما يتعرف على حاضر المرأة وماضيها معا ، من خلال حضورها المباشر ، ويكاد جزء من سحر القراءة الأولى يتمثل في أمرين :

الأمر الأول : هو الطريقة التي يتعرف بها القارىء على ملامح من خلفية البطل ، فالماضي لا يقدم كنوع من التداعي الذي يثيره موقف في الحاضر ، ولكنه يجيء كرد فعل على هذا الموقف ، وكعنصر فاعل فيه ، يجاوره في الظاهر أو في الباطن ، ويصبح جزءاً منه ، ومن هنا

يتكرر استدعاء شخصيات الماضي ، مع تطور مواقف الحاضر وحالاته ، فتظهر الشخصية في كل مرة معبرة ـ وفق احتياج الموقف ـ عن ملمح جديد من ملامحها ، أو معمقة لبعض اتجاهاتها أو جوانبها ، يستدعيها التناقض أو التناظر ، أو أي درجة من درجات الاختلاف ، ويلعب توقيت ظهور هذا الجانب أو ذاك دوراً مهماً في تطور أحداث الرواية ، أو الكشف عن جوانب من شخصياتها ، ومن هنا فإن شخصيات الرواية كلها ، سواء من الحاضر أو من الماضي ، تتمتع بوهج ذلك الحضور المتميز ، محققة في بناء هذه الرواية ذلك المزج الرائع بين التلقائية والقصد !

الأمر الثاني : في تكوين سحر القراءة الأولى هو ذلك التناقض الحاد بين زمن الرجل وزمن المرأة ، فزمن الرجل جزء من شخصيته في هذه الفترة ، متوتر حذر ، لاهث ، ولا نهائي في وقت واحد ، عجول ومتريث وفضولي ، مكترث وغير عابىء ، إنساني وكوني ، فهو زمن إنسان يتسكع على ضفاف الموت !

وزمن المرأة التي ظلت لا تعرف شيئاً عن طبيعة مهمة الرجل ، هادىء تلقائي ، متطلع ، متدفق ، مبهور بتناقضات زمن الرجل ، بقدر ما هو خائف منه ، وقلق بسببه ، وحريص على حل ألغازه !

وهكذا فإن تجربة الحاضر في هذه الأيام الثلاثة تقوم في الرواية بدور مزدوج ، فهي من ناحية تسهم في تفجير جوانب من ماضي كل منهما ، تفسر سلوك الحاضر ، وهي في الوقت نفسه تمتحن رؤية البطل لنفسه ، وللمهمة التي جاء من أجلها ، بل تمتحن الكثير من الثوابت والاقتناعات الأساسية في حياته كلها . إن سلسلة من الزلازل الصغيرة تحدث في داخل الراوي ، إثر هذه العلاقة في الحاضر ، وتبدو هذه السلسلة من الهزات في داخله ، وكأنها تدخل في سباق مع مهمة الاغتيال التي اكتسبت قوة دفعها الذاتي من قرار فردي ، اتخذ في الماضي ، إن هذا السباق أيضاً جزء من السحر الخاص الذي تثيره القراءة الأولى للرواية ، فأنت حتى اللحظة الأخيرة لا تكاد تقطع بمن الذي يفوز في هذا السباق ، هل هو إنجاز مهمة الاغتيال أو المتغيرات التي أحدثتها زلازل العلاقة الجديدة في هذه الأيام الثلاثة ؟

في لحظة الحسم في نهاية الأيام الثلاثة ينجح بطل الرواية في إنجاز المهمة التي جاء من أجلها ، بطريقة شبه آلية ، تفصح عن التغيير الذي حدث في داخله ، وتكاد تحيل مشروع الاغتيال السياسي في وجدان القارىء ، بل وفي وجدان البطل ، إلى حادث قتل عادي ، حيث يبدو وكأن المهمة التي تم الإعداد لها منذ وقت طويل هي التي نفذت نفسها بواسطة البطل ، بل يبدو أن البطل الحقيقي هنا هو الزمن الماضي بقصوره الذاتي ، وأن الذي قتل حقاً ، ليس هو الشخصية السياسية التي تلقت الرصاصات ، بل هو الحب الوليد الذي عمره ثلاثة أيام ، وما كشف عنه من إمكانات ورؤى لم تأخذ فرصة للحياة .

القرار والشخصية :

في هذه الرواية يتحدث القرار كثيراً عن الشخصية ، كما تحكم الشخصية مصير القرار ، فالرواية كلها مقدمة من خلال شخصية الراوي (البطل) الذي يحمل اسم « سليمان الحلبي » ، مع أنه فلسطيني من غزة ، وربما كانت هذه التسمية هي التي حفزته عندما كبر إلى البحث في تاريخ سميه « سليمان الحلبي » قاتل كليبر ، فيقرأ ما كتبه عنه الجبرتي ، ثم ما كتب عنه من أعمال معاصرة ، مثل مسرحية ألفريد فرج ، وربما من خلال هذا البحث تكون في داخله المهاد الشعوري لفكرة الاغتيال السياسي التي تقوم حولها هذه الرواية ، وهو ما يبعد هذه الفكرة من أن تكون اختياراً حراً ، ويقترب بها

نوعاً من معنى القدر ، ولا يبتعد ظل القدر كثيراً خلال رحلة حياة البطل التي تنضج من خلالها هذه الفكرة ، وتملأ عليه أقطار نفسه ، حتى لتبدو له في النهاية وكأنها الخلاص لسلسلة الاخفاقات التي يمر بها ، وتمر بها قضية وطنه فلسطين ، وكأنها رده الوحيد الممكن على هذه الإخفاقات ، وتأكيد معنى وجوده وهويته !

من الإخفاق كانت البداية :

ربما كانت طريقة زواج البطل من « سلوى » ، المرأة الأولى في حياته تحمل بذور الإخفاقات التالية ، سواء في علاقاته بالمرأة أو في موقفه من قضايا الوطن !

رأى سلوى في بيت أحد الأصدقاء ، وهو طالب بالسنة النهائية بالكلية بجامعة القاهرة ، فبهره جمالها وذكاؤها . تقول له زوجة الصديق : أخطبها لك ، وتقول له سلوى : لن أفكر في الزواج قبل إكمال دراستي ! ينسحب وهو يلعق جراحه ، حيث يخبره صديقه ، بعد فترة قصيرة ، أن سلوى رفضت خطيباً آخر تقدم إليها من أجله ، يعجز عن إخفاء سعادته ، وحين تبرر له سلوى رفضها الأول بأنها كانت تخافه ، يسألها بين الخشية والرجاء : والآن ؟

تقول له : ما زلت أخافك ، لكن

* لكن ماذا ؟

ـ أحبك .

وهكذا كان « أول زواج » يعلن عما في شخصية البطل من بوادر العجز؛فقراره لم يكن في يده ، ولم يكن غريباً أن يأتي منها بعد فترة وجيزة قرار الانفصال ، وكانت دهشته وتلبيته لطلبها الانفصال دليلاً على ما ينطوي عليه من نبل وهشاشة في وقت واحد . وكان قد بدأ يعيش حياته في بيروت كفلسطيني يبحث لنفسه عن دور ومكان بين التنظيمات والأحزاب السياسية والنضالية . وهناك عرف « إقبال » ، المرأة الثانية في حياته ، وعلاقته بإقبال هي التي تلقي أضواء قوية على معنى نبله وهشاشته ، فقد كانت رفيقة نضال ، عاشت معه أزمة انفصاله عن سلوى ، وهي التي قالت له بحسم : لو كانت تحبك ما طلبت الطلاق منك . وحين لمحت بقايا حزنه وتردده قالت له : لو كنت تحبها ما تركتها تضيع منك . وهكذا كان ما يزال حتى هذه اللحظة قراره في يد غيره ، وربما كانت نقاط ضعفه هذه هي التي جعلت « إقبال » تنجذب إليه ، فقد كانت تقول عنه : إنه مشروعها الخاص المتعب والممتع . كأنها تتحدى بذلك شيئاً ما ، في حياتها ، فقد كانت بشخصيتها القوية وعقيدتها السياسية الواضحة الحاسمة تقف منه في المسافة المشتركة بين الأم والرفيقة والحبيبة . وكانت تعرف أنه حرم من حنان أمه ، ولم تكن له شقيقة ، قالت له يوم أن وقفت معه فوق الروشة ، وحدثها عن نداء يصله من البحر : فيك شيء غير طبيعي ، أنت لا تترك وحدك .

ولعلها بهذه العبارة كانت تضع اصبعها على عمق الجرح في شخصيته في تلك المرحلة من حياته ، لعله كان في حاجة الى حب غير مشروط ، أما هي فقد كانت تحبه بشروط المناضلة ، لا تتردد في أن تقول له : حماسك السياسي يسبق فهمك المادي للمتغيرات السياسية .

ولعلها كانت تلمح المستقبل حين قالت له يوماً : من يعجز عن اتخاذ قرارات يومية هادئة ومتزنة ، يندفع في الغالب إلى قرارات كبيرة متهورة .

كان هو نوعاً من الفنان (الذي جعل من حياته نفسها مشروع فنه) تضنيه المسافة الشاسعة بين نقاء المثل الأعلى ، وغابة التفاصيل في العمل اليومي .

وكان عجزه عن استيعاب التناقض بين حب « إقبال » له ، وبين رفضها لما تسميه « نهجك المتردد باتخاذ القرار ، مزاجيتك المتحكمة في سلوكك » هو الوجه الآخر لعجزه عن هضم

التناقضات والتحولات في سياسة الأنظمة والأحزاب التي تعمل على الساحة في ظروف لبنان .

ولم يكن غريباً أن تقول له « إقبال » يوماً ، إثر مناقشة عاصفة :

* تدري أننا لا نؤمن بالاغتيال ولا نمارسه !

ـ التصفيات التي تطال ما حولنا الآن ستدور دائرتها لتطالنا في الغد !

* أنت تقول هذا ؟

ـ الوقائع تقوله !

* ما دمت مقتنعاً بآرائك هذه ، مفروض بك أن تترك الحزب .

وكان هذا الموقف بداية النهاية في موقفه من الحزب ، وفي موقف إقبال منه . كانت هي التخلي الثاني بعد سلوى ، واكتملت دائرة الإخفاق مع « الآخر » .

زمن التخلي :

من هنا بدأ شعوره بالعجز عن التعامل مع الآخر « فرداً » كان أو « حزباً » ، يدفعه إلى



● غلاف الكتاب

البحث عن مشروعه الخاص ، يفكر فيه وحده ، ينجزه وحده ، يؤكد به للآخرين أنه قادر على تحقيق التوازن بين الفكر والفعل ، وهو ما كانت « إقبال » تعيّره به !

يخاطب نفسه في هذه المرحلة قائلاً :

« وحدك » الإنسان والفعل والنتيجة ، فكانت أن عانقت حلم صباك « سليمان الحلبي » ، تنهي حياتك بإضاءة باهرة ، ليجيء ألفريد فرج آخر أو جبرتي آخر فيكتب عنك .

(لاحظ أنه هنا يفتش عن « الآخر » الذي لم يجده في زمن التخلي ، يفتش عنه في زمن قادم) .

ثم يواصل مخاطبة الذات :

« أن تعيش لنصف قرن قادم غير مواطن لأيما وطن ، مطروداً في كل عواصمك العربية ، مشبوهاً في كل الأنظمة ، منفياً في العصر ، ثقيلاً على ضمير هذه الأمة ، متطفلاً على ضمير العالم » .

تستجدي : هوية « لله يا محسنين » .

ولا يتردد البطل هنا بدوره أن يستجدي التنظير لمشروع اغتياله من سميه « سليمان الحلبي » كما كتبه ألفريد فرج . ولكن هل كان هو حقاً مثل « سليمان الحلبي » بطل ألفريد فرج ؟

يقول سليمان الحلبي ، بطل هذه الرواية ، وهو يخاطب نفسه ، وكأنه يخاطب شخصاً آخر :

للمرة الأولى ـ منذ اتخاذك قرارك ـ تحسك عاجزاً عن أن تسأل نفسك عن جدوى التنفيذ بناء على الآثار المترتبة عليه !

نحن إذن أمام « سليمان حلبي » آخر ، تكتمل ملامح صورته حين يلتقي « شيرين » في الأيام الأخيرة ، فمن هي شيرين ؟

شيرين :

هي إنسان آخر غير « سلوى » و « إقبال » ، مع أنها من مصر ، إلا أنها عاشت في قلب بلدها الذي لم تغادره نفياً ، لا يقل قسوة عن مناخ

البلدة التي قدم منها سليمان الحلبي ، تزوجت لأسبوع من زميل دراسة خليجي ، حين علم أهله بالقصة جاءوا وأخذوه ، ليتم دراسته في أمريكا ، ثم جاءوا بعد تسعة أشهر ليأخذوا ابنه ، ليتربى في مدارس لندن ، ودخلت هي مستشفى للأمراض النفسية ، لتخرج إلى الدنيا وهي تعامل كنزيلة سابقة لمصحة نفسية ، امرأة تبحث عن الاعتراف دون معرفة ، والأمان ، لا أكثر ، ولم يكن لديها ما تقدمه سوى الحب بلا شروط ، والفهم دون تعال ، ولحظة الحاضر دون أثقال الماضي . أكانت هي كل ما يحتاجه سليمان الحلبي في زمن آخر ، وفي زمنه ذاك الأخير . إن الطريقة التي تتطور بها العلاقة بين سليمان الحلبي في أيامه الثلاثة الأخيرة وبين « شيرين » هي الإنجاز الأكبر حقاً في بناء هذه الرواية !

من إنجازات البناء في الرواية :

سوف يظفر بجوائز جديدة من يعيد قراءة هذه الرواية مرة أو مرات ، من يتأمل أسرار بنائها الفني ، وكيف تم فيه توظيف كل العناصر في الرواية ؛ الشخصيات ، المكان ، الزمان ، بما يحقق درجات عالية من الإحكام والقصد ، وكيف كان هذا التوظيف نفسه يطلق طاقات هذه العناصر ، ويحررها ، لتكتسب وجوداً متميزاً خاصاً ، ودلالات خاصة ، بالإضافة إلى دورها في الرواية ككل ، وسوف يتأمل القارىء دلالة النيل ودوره في بث الشعور بالاستمرار والتجدد والعطاء والأمان ، وكيف يتردد في كل أزمنة الرواية وأمكنتها الشعور بالخوف من التخلي .

سوف يلاحظ القارىء - كما أشرنا - أن الرواية كلها مقدمة من خلال صوت الراوي (الضمير الأول) ، وأن الراوي حتى حين كان يتحدث عن نفسه أو إليها كان يخاطب ذاته كما لو كانت شخصاً آخر !

ولا شك أن هذه التقنية كانت تجسد جو العزلة التي يعيش فيها بطل الرواية ، بعد أن عجز عن التفاعل الإيجابي مع الآخر ، وكان من الطبيعي في هذا الإطار أن يخرج من ذاته « آخر » يتحدث إليه ، ويحاوره « آخر » على مقاسه ، ليزحزح جدران العزلة التي يعيش فيها ، كما أن هذه التقنية كانت تتيح له أن يعلق على أقوال الآخرين ومواقفهم ، كما كان يعلق في زمن الرواية الأخير على أقواله هو نفسه في الماضي ومواقفه ، مما يفسح المجال للكشف عن غوامض ذاته وهواجسها ، وتطورها في الوقت نفسه !

أتاحت تقنية البناء القائمة على الاستدعاء المتقطع كجزء من الموقف في الحاضر ، أن تبدو شخصيات الماضي ، وكأنها تتحرك بحريتها ، تقدم نفسها بنفسها ، تروح وتجيء ، تتمتع باستقلال كامل ، مع أنها جزء من عالم البطل الداخلي .

ما يتسم به سلوك البطل في بداية الأيام الثلاثة من حذر وانطوائية مشوبة بالبساطة والتلقائية ، هو سلوك طبيعي بالنسبة لظروفه ، وهو ما يجتذب « شيرين » إليه . وتلقائية « شيرين » نفسها هي ما تجعل « سليمان الحلبي » يطمئن إليها على الرغم من حذره !

حين يظهر الجانب الملتبس في شخصية « شيرين » يكون الارتباط بين « سليمان الحلبي » وبينها قد أصبح قوياً ، وتسهم الطريقة التي يزول بها هذا الالتباس في الكشف عن جوانب عديدة في شخصية « سليمان الحلبي » ، تقربه أكثر من « شيرين » ، وتكاد تختصر عامل الزمن المطلوب لأي تقارب حقيقي .

* النزعة العملية عند « سلوى » ، وعقلانية « إقبال » ، تبرزان تلقائية « شيرين » وقيمة عطائها غير المشروط .

*الدور القاسي للمجتمع في حياة « شيرين » يناظر ويحاور الدور القاسي لتمزق المجتمع وفقدان الهوية في حياة « سليمان الحلبي » .

* حين تتخلف الشخصية السياسية عن موعدها المحدد ، ويبدو أن العملية سوف تلغى

أو تتأجل لسبب خارجي يفضح الموقف الطارىء مشاعر البطل التي كان يكبتها طوال الوقت ، فإذا ظهر بعد لحظات أن التأخير طارىء ، وتجيء الشخصية ويتم الاغتيال ، يكون قد أصبح واضحاً أن الذي تم ليس هو إنجاز الحلم القديم ، وأن الذي تم اغتياله حقاً هو الحب الوليد في الأيام الثلاثة الأخيرة !

من سلبيات البناء في الرواية :

حين تكون قضية الاغتيال السياسي هي المحور الأساس في رواية ما ، فإن مثل هذا المحور يفرض بداهة أمرين : الأمر الأول هو البحث عن دوافع الاغتيال في ذات البطل ، ومكونات شخصيته الفردية . والأمر الثاني هو البحث عن هذه الدوافع في إطار القوى الاجتماعية (الأحزاب أو المنظمات السياسية) التي يكون عجزها عن القيام بمهام الحركة الوطنية هو في الغالب من أهم دوافع ظهور الاتجاه إلى الاغتيال السياسي الفردي تعبيراً عن اليأس من قيام هذه الأحزاب بدورها .

ولقد سمح بناء هذه الرواية الذي يقوم على تقديم أحداث الرواية كلها ، من خلال صوت الراوي ، بالكشف عن دوافع الاغتيال في أعماق شخصية البطل ، وشتى ظروفه الخاصة ، لكنه لم يكشف في الوقت نفسه وبالقدر نفسه عن هذه الدوافع في إطار الظروف الاجتماعية العامة ، وفي إطار التمزق الذي ساد عمل الأحزاب والمنظمات السياسية في ظروف « بيروت » بخاصة ، وفي ظروف الأمة العربية بعامة !

وبالتأكيد فإن اختيار الكاتب لهذا البناء القائم على عرض الرواية ، من خلال صوت الراوي وحده ، كان واحداً من أهم أسباب هذا الاختلال في التوازن ، المطلوب في عرض دوافع الاغتيال ، في جانبيها الفردي والاجتماعي ! □



من يتذكّر مملكة "الزولو"..؟

بقلم : يوسف شلب الشام *

ما يزال تاريخ أفريقيا في عمومه مجهولاً لنا ، على الرغم من وجود الروابط المشتركة بيننا وبين شعوبه ، وهذه تجربة قادها أفريقي متميز ، في مطلع القرن التاسع عشر ، عندما كوّن « تشاكا » مملكة الزولو في جنوب أفريقيا .

فمن يتذكر مملكة « الزولو » هذه .. ؟ !

قدمت قبائل « البانتو » في هجرات متوالية من الشمال إلى الشرق والوسط من أفريقيا ، بدءاً من القرن الأول للميلاد ، وربما قبل ذلك بعدة قرون . وطردت أمامها قبائل الأقزام من « البوشمن » و « الهوتنتوت » الذين كانوا يسكنون هذه المناطق من قبل ، حتى أجبرتهم على اللجوء إلى الجنوب من نهر « ليمبوبو » ، والانتشار في أصقاع أفريقيا الجنوبية . وأتى هؤلاء « البانتو » ومعهم صناعة الحديد ، فأضافوا بذلك مرحلة جديدة على حضارة أفريقيا الشرقية والوسطى ، وأقاموا فيها مجتمعات مستقرة جديدة ، عرفت درجة متقدمة

* كاتب من القطر العربي السوري .



من التنظيم ، وأقامت القرى والحكومات ، وعقدت صلات تجارية عبر ساحل المحيط الهندي مع الشعوب المحيطة ، فأثرت وتأثرت بها ، وأقامت ممالك كان من جملتها مملكة « مونوموتابا » التي ازدهرت إلى الجنوب من نهر الزامبيزي . وكان لهذه المملكة شأن في بناء الحضارة الزنجية ، حتى قضى عليها التدخل الأوربي في نهاية القرن التاسع عشر ، بعد عهد طويل من البناء والعطاء .

بداية الاقتحام الأوربي :

وبقيت شعوب البانتو قابعة في الشمال من نهر « ليمبوبو » لا تبرحه حتى مطلع القرن الخامس عشر ، حيث بدأت باجتيازه والانتشار حول الجنوب .

فطردت أمامها من جديد قبائل الأقزام من « البوشمن » و « الهوتنتوت » ، ففر الأولون إلى صحراء « كالاهاري » في الغرب ، بينما لجأ الأخيرون إلى أقاصي أفريقيا الجنوبية ، حيث وجدهم البرتغاليون هناك عندما داروا حول رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن ، كما كانوا ما يزالون هناك عندما وصل الهولنديون في منتصف القرن السابع عشر ، بعد أن انتزعوا من البرتغاليين امبراطوريتهم ، ومن جملتها جزر « الصوند » .

وقد هاجر إلى جنوبي أفريقيا بعض الهولنديين ، فعملوا بالزراعة ، وتلاهم فرنسيون من « البروتستانت » ، في أعقاب الاضطهادات الدينية التي جرت في بلادهم . فتألف من هذا الخليط شعب من المزارعين الأوربيين ، أطلق عليهم اسم « البوير » ، تغلب عليهم اللغة الهولندية ، ويعتنقون المذهب البروتستانتي .

قبائل شتى

لم تكن قبائل « البانتو » التي انتشرت جنوبي نهر « ليمبوبو » تحمل اسما واحداً ، كما أنها لم تكن تحت سلطة زعيم واحد ، فإلى الجنوب من النهر مباشرة كان يسكن شعب « السوازي » ، ويليه في الجنوب شعب « النغوني » ، ثم « البوندو » وأخيراً « الكسوزا » الذين كانوا يواجهون « البوير » عبر نهر « فيش » . وكانت مواطن هذه الشعوب كلها محصورة بين ساحل المحيط الهندي وبين سلسلة جبال « دراكنزبرغ » الصعبة المسالك ، الغنية بالينابيع . أما إلى الغرب من هذه الجبال فكانت تمتد هضاب خصيبة ، وصلتها قبائل أخرى من « البانتو » ، أشهرها « السوتو » و « البتشوانا » .

كانت الحياة الاقتصادية « للبانتو » تعتمد على الزراعة ، فهم يزرعون الذرة والدخن منذ عهد

طويل . وقد أدخلوا زراعات آسيوية من أنواع الأشجار المثمرة .

وتقدمت لديهم صناعة الفخار المزخرف ، إضافة إلى ما أتوا به من الصناعات المعدنية . وقد بنوا البيوت والقرى المحصنة ، وأوجدوا نظماً إدارية متقدمة ، وعرفوا فنون القتال بأسلحتهم التقليدية ، وعبدوا مظاهر الطبيعة التي كانوا يرون في كل منها إلهاً ، كما عبدوا ملوكهم ، وعدّوهم صورة للآلهة على الأرض ، وقدسوا فيهم السلطة ، وأعانوهم بطاعتهم على حفظ النظام .

ولم يكن الملك في أغلب الأحيان يحكم كل شعبه حكماً مباشرا ، وإنما عن طريق أمراء ، يحكم كل منهم في أمور عشيرته . وكذلك كان شعب « النغوني » ، أحد شعوب « البانتو » ، إذ كان ملكه الأعلى يحكم عن طريق الأمراء ، وكان أحد هؤلاء الأمراء هو « سينزا نفاكونا » .

نجم أفريقي يبزغ

لم يكن « لسينزا نفاكونا » ولد ذكر يخلفه في الإمارة ، فزوجاته الثلاث لم يلدن له إلا الإناث . وفي ليلة شاهد « نانـدي » الجميلة ، وترصدها حتى أوقع بها وحملت منه ، وعند ذلك لم يجد بدا من أن يعقد عليها ، فولدت له ولداً ذكراً سماه تشاكا ، وأصبح من المنتظر أن يكون خليفته في الحكم . لكن « ناندي » لم تكن من بيت عريق ، وحتى أنهم اتهموها بأنها كانت راقصة . وشاء سوء حظها أن تلد نساء الأمير الأخريات أولاداً ذكوراً أغنوه عن ابنها . واضطر هو تحت ضغط نسائه أن يطردها مع ابنها ، واضطر الذي كان مقدراً له أن يكون ولياً للعهد أن يعمل في أحط الأعمال وأصعبها حتى يكسب لقمة العيش .

لكن حياة الشقاء التي عاشها علمته كيف يكون صلب العود ، فمارس كل أنواع القتال ، وساعده شعوره بالظلم من إخوته وأبيه على أن يكون قوي الشكيمة ، وساعدته قناعته بأنه أمير على أن يكون قائداً لأقرانه ، يجمعهم ويوجههم حيث يشاء . وكان قوي البنية حتى أن الأخبار روت عنه أنه قادر على التغلب على الأسود ، وأنه أنقذ مرة فتاة من بين براثن ضبع ، حتى عمت قصص بطولته الآفاق ، واستدعاه ملك « النغوني » ليكون في خدمته ، وما لبث أن أصبح مساعداً له .

ولما توفي « سينزا نفاكونا » خلفه « تشاكا » في إمارة عشيرته بمساعدة من ولي نعمته ملك « النغوني » ، وانتقم من إخوته لأبيه ، ومن نسائه اللواتي كن سبباً في شقاء أمه وإذلالها وموتها . وأنشأ قوة مقاتلة من أقرانه ، ليكونوا في مساعدته عند الحاجة ، ثم عاد إلى قصر الملك ليضع نفسه في خدمته من جديد .

في غياب « تشاكا » كان عرش المملكة قد تعرض للضياع ، إذ أن الملك في بعض حملاته التوسعية نسي أن يأخذ الحذر بعد عودته ففاجأه الأعداء في عقر داره وقتلوه ، وركزوا رأسه على رمح في الساحة العامة ، حيث وجده « تشاكا » على هذه الحال عندما عاد من رحلته ، فسارع لملاحقة الأعداء حتى قضى عليهم ، ثم عاد ليهتف له الشعب بالملك ، بعد أن تزوج أخت الملك المقتول ، وبذلك بدأت سيرته في مملكة « الزولو » .

كان « تشاكا » واسع المطامع ، فأراد أن يجمع كل شعوب « البانتو » في أفريقيا الجنوبية في مملكة واحدة ، يكون هو على رأسها ، لتتمكن من الوقوف في وجه الأخطار التوسعية التي كان يمثلها « البوير » في الجنوب ، وأراد ألا تكون هذه المملكة مؤسسة سياسية عابرة ، تزول بزواله ، بل أن يجعل من « البانتو » أمة بالمعنى القومي للكلمة ، سواء كان ذلك عن قصد منه أو عن غير قصد . وكان يعتقد أن الطريق إلى ذلك يتم عن طريق إذابة اللغات المحلية لهذه الشعوب في لغة واحدة ، هي لغة النغوني ، لتكون المؤشر الثقافي

والقومي لهذه الأمة في المستقبل ، وقد عمل طول حياته لتحقيق ذلك .

بدأ « تشاكا » بتغيير اسم شعبه ، فقد كان لفظ نغوني يعني الصغير في لغة « البانتو » ، فأطلق عليهم « زولو » ، أي رجال السماء . ثم قام بتنظيمهم تنظيماً عسكرياً واجتماعياً ، لم يكن له مثيل بين الشعوب الأفريقية .

الإعداد لتكوين مملكة

أقام « تشاكا » عاصمة له ، سماها « أومغونغوند لوفو » ، أي القوية كالفيل ، وجعلها في مكان حصين ، عند التقاء عدة أنهار . وكان يحيط بها سور ضخم ، ويجتازها شارعان رئيسان متعامدان عريضان ، يلتقيان في ساحة واسعة ، كانت تجري فيها التدريبات



● مملكة الزولو في أقصى اتساع لها

العسكرية . وبالقرب منها تقع المساكن الملكية ، ودار القضاء ، ومساكن الوجهاء .

أما المجتمع فأصبح كله في خدمة الحرب ، وأصبح الرجال من سن البلوغ حتى سن الشيخوخة مجندين في الجيش ، يقضون وقتهم في القتال أو التدريب . وحتى الختان الذي كان شائعاً في مجتمع « البانتو » لم يعد له متسع من الوقت لما كان يقتضيه من طقوس . ولم يعد الذكور وحدهم يطلبون للخدمة العسكرية ، بل صار يطلب لها الإناث أيضاً ، حيث شكلت منهن فرق عسكرية ، لم تكن تقتصر مهماتها على الخدمات اللازمة للجيش ، بل كان يطلب منها أن تشترك في القتال عند الضرورة وتتدرب عليه . ولم يعد الزواج خاضعاً لرغبة الرجال ، بل أصبح ضرورة اجتماعية تمليها ضرورات الحرب . والأسرة لم تبق كما كانت في الماضي ، خلية صغيرة من خلايا المجتمع ، يسأل عن إعالتها رب البيت ، بل أصبحت مسئولية المجتمع بأسره . وقد قضى « تشاكا » ألا يتم زواج الرجال إلا في سن متأخرة ، وبعد أن يكونوا قد خاضوا عدداً كبيراً من المعارك ، وأبلوا فيها البلاء الحسن . فيكون الزواج عند ذلك مكافأة لهم على شجاعتهم ، ولا يكون الزواج فردياً ، بل جماعياً ، حيث تقوم فرقة من الذكور بالتزاوج مع فرقة من الإناث ، يحددها لها القائد الأعلى « تشاكا » . ويكون الأولاد في رعاية المجتمع ، ذلك لأن الأسرة تلهي عن الحرب والحنين إلى الزوجة والأولاد ظاهرة من ظواهر الضعف التي يجب أن يتخلى عنها ـ في رأيه ـ المجتمع المحارب .

القوة والعنف

وخلال إعداد لهذه القوى الكبيرة لم يكن « تشاكا » يكف عن التوسع ، وكان توسعه الرئيسي بالجاهين : أولهما نحو الجنوب من أراضي « الزولو » ، حيث كانت تعيش شعوب

« البونـدو » و « الكسـوزا » . فـأحـرز عليهم الانتصارات المتوالية ، حتى ضم بلادهم إليه . ووصلت فتوحاتـه حتى نهر فيش . والثاني كـان نحـو الغرب ، وكـانت جبـال « دراكنـزبـرغ » تشكـل حاجـزاً طبيعيـاً صعب المسـالـك أمـام طموحاته ، وهي التي حصرت شعب « الزولو » أمداً طويـلاً بينها وبـين المحيط الهندي . ولكن جيش « تشـاكا » الـذي اعتـاد أن يتغلب عـلى الصعاب تمكن من التغلب عليها ، وانـطلق في الهضـاب الغربيـة المعتدلـة المنـاخ التي تسكنهـا شعـوب « الهوثـو » و « البتشوانـا » المقـاتلة ، فتغلب عليهـا بعـد معـارك طـويلة داميـة ، وأصبحت امبراطوريته تمتد الى أطراف صحراء « كـالاهاري » ، وتشمـل ما يسمى اليـوم بلاد « التزانسفال » و « البتشواناالاند » الى الغرب من جبال « دراكنزبرغ » . وكان « تشاكا » قبل ذلك قـد ضم إليه بـلاد « السوازي » في الشمـال ، فأوصل حدوده بذلك إلى وادي « ليمبوبو » وأتم توحيد قسم كبير من شعوب « البانتو » في تنظيم سيـاسي كبير كـان يمكن أن يكـون لـه أثـره في الـوقوف أمـام الأطماع الأوروبيـة لو قـدر له أن يستمر .

أخطاء تقود إلى الانهيار

كان « تشاكا » منشيء هذه الوحدة السياسية الكبيرة دموياً وقاسياً على أعدائه المنهزمين . ومن هنا جاءت كبرى خطيئاته ، فقد كان يوسع القتل بمن يدخل بلادهم إلا الشباب والصبايا الـذين يشترون حياتهم بالانخراط في جيش « تشاكا » ، ويتخـلون عن لـغتهم ويتكـلمـون لغـة « الـزولو » ، ويقـدمون « لتشـاكـا » التقـديس الإلهي الذي يقدمه له شعبه . وكان لهذه السياسة وجهـان : أولهـما إيجـابي ، لأنـه وحـد شعـوب « البـانتـو » في ظـل لغـة واحـدة ، هي لغـة « الزولو » ، لتكون أساساً لوحدة قومية مقبلة . والثـاني سلبي ، لأن القسوة التي عـامـل بهـا الشعوب المغلوبة جعلتها تفر أمامه طالبة النجاة ، حتى أصبحت مملكة « الزولو » مركز نبذ شـديد للشعوب ، تنطلق منها نحو الجنوب والشمال ، مما أدى إلى اضطراب ديمغرافي كبير شهدته أفريقيا الجنوبية والشرقية ، خلال القرن التاسع عشر ، أمـا الخطيئـة الكبـرى الثـانيـة التي ارتكبهـا « تشاكا » فكانت قسوته على جنوده ، ومغالاته في خوض الحروب التوسعية .

هذه الإمبراطورية الاسبارطية البالغة التنظيم لم تهزمها قـوات خارجيـة ، ولكنها تفككت من الداخل . وقد بدأ الأمر عندمـا فرت فـرقة من الشباب مع فرقة من الإنـاث للزواج بعيداً عن متناول يد الطاغية . ثم بدأ التمرد العلني .

وهكـذا انهارت هـذه الامبراطوريـة الواسعـة التي لعب فيها شعب « الزولو » دور القائد الموحد المنـظم . وتعرضت أراضيهـا لغزو « البـويـر » الآتين من الجنوب . ومـا لبثت شيئاً فشيئـا أن ابتلعتها أفريقيا الجنوبيـة . □

أحسن ما رأته

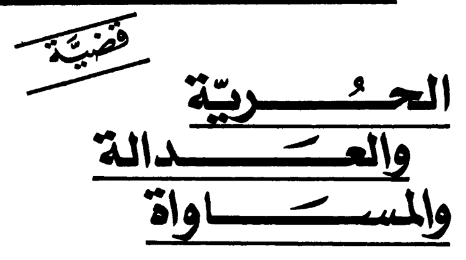


● سار أحد الشبان بخطيبته إلى دار التمثيل ، ومثلت في تلك الليلة مسرحية جميلة ، فلما خرج الخطيبان قال الخطيب :

ما أحسن شيء رأيته في المسرحية ؟

فقالت : العقد الذي كان في عنق الممثلة .





قضية

الحرية والعدالة والمساواة

بقلم : الدكتور يوسف الشين*

تظل القيم المطلقة مطلقة المعنى والدلالة ، ما لم يضع الإنسان حدوداً وتصوراً لهذه القيم وكيفية سيادتها . وعبر مسيرة الإنسان ، منذ فجر التاريخ ، استطاع أن يصنع توليفاً بين المطلق وبين الممكن والمتاح . عن أحلام الحرية والعدل والمساواة يستعرض الكاتب مسيرة الإنسان ونجاحه حيناً وإخفاقه حيناً آخر ، وهو باستعراضه ينقد حيناً ، ويطرح تساؤلات حيناً آخر ، لعل النقاش العام حول القضية يزيدها ثراء ومعرفة .

الحرية حاجة ضرورية لكل كائن حي ، وهي مطلب أساس لكل إنسان ، والمساواة في الإنسانية أمر لا خلاف عليه ، فلم يعد يقبل العقل البشري تلك الصورة البشعة التي تلهب فيها سياط السادة ظهور العبيد ، ولا تلك المعاناة الحرجة التي يعيشها أجير كادح ، يتقاضى جزءا ضئيلا مما يعادل جهده ، ولا تلك الملاحم التاريخية الساخرة التي تتمتع فيها العقول بحرية مطلقة في المفاضلة بين المعاناة والموت .

ومع ذلك إذا أردنا أن نشير إلى ثلاثة متناقضات ، لا يمكن التوفيق بينها ، فعلينا أن نستشهد بالحرية والعدالة والمساواة . ولسوء الحظ أن الإنسان ينشد سعادته في هذه المعادلة الصعبة .

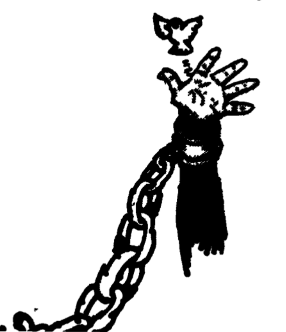
* د . يوسف حامد الشين ، أستاذ الفلسفة بجامعة قار يونس (الجماهيرية الليبية) .

أسس التعايش الاجتماعي

إن الحرية المطلقة استبداد مطلق ، وهذا الأمر مبني على المنطق الجدلي من ناحية ، وعلى مسلمة أخرى ، فحواها أن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده من ناحية أخرى . غير أن الإنسان بفضل تطوره العقلي استطاع الوصول إلى مركب من النقيضين ، إنه تعايش الأفراد بالاتفاق في ما بينهم على حقوق وواجبات عامة ومحدودة ، يستوى فيها الجميع . هذه المرحلة من النضج العقلي هي التي أخرجت الإنسان من حياة الهمجية إلى حياة تتسم بنسبة من الاستقرار . لكن هذا الخروج فوّت على الإنسان في الوقت نفسه الحياة الآنية التي تخلو من همّ التفكير في الماضي والمستقبل ، ليدخل في مرحلة القلق وشقاء الضمير . وبذلك دفع الإنسان لهذا التعايش الاجتماعي جزءا لا يستهان به من حريته . غير أن فكرة المساواة في الحقوق والواجبات تعني حقوقا وواجبات عامة ومحدودة . ومن الواجبات العامة التي يجب أن يتساوى فيها الجميع واجب الدفاع عن الوطن الذي يعد التهرب منه خيانة ، مهما كان أو تحت أي ذريعة . أما الحقوق الجوهرية العامة التي يجب على المجتمع أن يوفرها للفرد ، كحد أدنى ، مقابل ما تنازل عنه من حرية ، فهي تتمثل في تشريع قوانين ثابتة ، مقدسة من الجميع ، تكفل له الشعور بالأمان ، بحيث لا يتوقع الفرد الضربة عند كل منعطف في حياته . وهذا شرط أساس ، بدونه تكون المقايضة السالفة الذكر ، صفقة خاسرة بالنسبة للفرد .

إن الشعور بفقدان الأمان عند الفرد ، في كثير من بقاع العالم ، جعله يتراجع عن هذه الصفقة ، ويجنح لاسترداد ما سلب منه بدون مقابل . وهذا الجنوح يتمثل في الثورات السياسية التي تتفجر من حين لآخر ، معلنة الاحتجاج على ممارسات استبدادية . ويظهر أيضا في ثورة الفرد ، لأخذ ما يرى أنه قد سلب منه بغير وجه حق ، في ظل قوانين ظالمة .

إن الأمان بالنسبة للفرد يعني الشعور بالطمأنينة ، تحت مظلة القانون الراسخ الذي يصنعه الجميع ، وينحنون أمامه بدون استثناء . كما يعني أيضا الركون إلى حياة هادئة ، لا تنغصها قوانين ظالمة ، أو يهددها حكم جائر . وبدون هذا الشعور عند الفرد ، يسقط كل ادعاء بالحرية ، مهما كثرت شعاراته ، أو ملأت الدنيا ترانيمه . لكن مشكلة الإنسان المستعصية ، منذ أن بدأ حياة الجماعة ، تكمن في علاقة القوانين والتشريعات الدستورية بحقوقه الخاصة . فالأمان يعني بالنسبة للفرد ، من هذه الزاوية ، القدرة سياسيا على الرفض ، والقدرة اقتصاديا على اقتناء ما يعادل جهده . ومن هنا ظهرت التشريعات السياسية والاقتصادية التي تنظم أسلوب الحكم ، وتحدد حصة الفرد من ثروة المجتمع والإنتاج العام . غير أن هذه التشريعات بقيت مشكلة المشاكل بالنسبة للفرد ، فقد فشلت في تحقيق المتناقضات الثلاثة التي ينشدها الإنسان ، أي : الحرية والعدالة والمساواة . إن هذا الفشل لا يرجع بالطبع لصعوبة الجمع بين هذه المستحيلات فحسب ، ولكنه يعود أيضا لكون هذه التشريعات صادرة عن جزء من المجتمع ، وبالتالي فهي تمثل مصالح هذا الجزء دون سواه .



المفهوم الشائع للمساواة :

المساواة قضية شائكة معقّدة ، لكنها تبدأ ـ عادة ـ بالتشريعات الوضعية التي تحدد أسلوب الحكم ، وتنظم الحياة الاقتصادية في المجتمع . ويبدو أن تباين هذه التشريعات جاء للإجابة عن تساؤلات مفادها : هل من العدل أن يتساوى أفراد المجتمع سياسيا واقتصاديا ، بغض النظر عن الجهد والقدرات ؟ وهل من العدل أن تتساوى آراء الجهلة والعلماء في تقويم الحياة العصرية ومعالجة مشاكلها ؟

إن معظم الذين يجيبون عن ذلك بالإثبات ، إما أن يكونوا من المثاليين ، وإما من الذين يجهلون تفاوت القدرات الفردية ، وإما أن يكونوا من الزعماء الذين يدعو معظمهم للمساواة نظريا ، ويخرجون أنفسهم من دائرتها عمليا . إنهم يخلدون أنفسهم في كتب التاريخ على حساب غيرهم ، كدعاة للحق وأئمة للفضيلة . وهذا في حدّ ذاته خروج عن العدل ومروق عن فكرة المساواة .

لكن الإجابة عن هذه التساؤلات جاءت مجانبة للصواب ، بسبب سوء فهم المعنى الحقيقي للمساواة التي أصبحت بمفهومها الشائع ظلما ، ونقيضا للعدل ، ومصدرا للمرارة عند البشر . إن المساواة الحقيقية التي يفرضها منطق التحضر هي « المساواة في التباين » ، أي المساواة بين من يتساوون في قدراتهم الفعالة من الناحية العقلية والعملية ، بينما يظل التباين قائما بينهم ، وفقا لاستجابة كل منهم لأداء الواجب . هنا يتوافق العدل مع المساواة ، ويصبح التباين بين الناس ثمرة حقيقية للاختلاف في النشاطات العقلية والعملية بينهم ، ويبرز الحافز عاملا فعالا ، في حثّ تلك القدرات وإثارتها .

بذلك يصبح النشاط المشروع للفرد علّة أساسية ، في ترقيه في سلم الحياة ، الماثل أمام الجميع . وهنا تتكافأ الفرص ، وتتسابق الجهود ، في إطار المفهوم الحقيقي للمساواة ، لتنال النفوس نصيبها من الدنيا ، وتقتنع بما تصل إليه في دنياها ، وفقا لجهدها الحقيقي ، فترتفع المعنويات ، وينمو المجتمع ، ويزدهر اقتصاديا واجتماعيا ، في رحاب العدالة الحقيقية ، ويختفي الحسد ، حيث لم يعد له من مبرر .

لكن العقول البسيطة والمبادىء الفجّة دأبت على توأمة العدالة والمساواة في نطاق القدرات الطبيعية ، والفروق الفردية ، على الرغم من الرفض المطلق لهذه الفكرة من جانب نواميس الطبيعة ، المتمثلة في قانون الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح ، وقديما قيل : إن المساواة في الظلم عدل . وهذه مقولة زائفة ، فعندما يتساوى الناس في الظلم ، لا بد أن يكون هناك ظالم واحد على الأقل ، خرج عن دائرة الظلم ، وكان سببا للمساواة فيه .

تجارب ونتائج :

لقد عجز النظامان التقليديان في العالم الحديث ـ الرأسمالية والاشتراكية ـ في مجالي الاقتصاد والقيم الخلقية ، عن التوفيق بين المعطيات الثلاثة الآنفة الذكر . فالرأسمالية قامت على الخلط بين احترام القدرات الفردية المشروعة ، والقدرة الفائقة على الاحتيال ، والتلاعب بالقيم العامة في كسب الثراء . وهي خصال يتحلى بها « السماسرة » ، وأغنياء الفرص غير المشروعة . هذا بجانب جشع كثيرين من أرباب العمل ، وملاك العقارات ، الذين كثيرا ما يستندون في جشعهم ، وثرائهم الفاحش ، على قوانين ظالمة ، لا تراعي مصلحة المجتمع ، ولا تعبأ بمستقبل الدولة . ولهذا السبب ، كثيرا ما يئن الفرد في ظل هذا النظام ، تحت وطأة عناء الحياة المفتعل ، ويظل في حالة من القلق المستمر ، وفقدان الطمأنينة ، نتيجة لضغوط الحياة العصرية ، ومتطلباتها من ناحية ، ومغرياتها الداعية للانحراف من ناحية أخرى .

وإذا كان من صفات المجتمع الرأسمالي الحرية الاجتماعية ، والخلق والإبداع والنمو الدءوب ، الناتج عن احترام الفروق الفردية المشروعة التي يرجع إليها الفضل في إيجابيات هذا النظام ، فإن من أسوأ صفاته تردي النفوس الفردية ، وجنوحها نحو الفساد ، واستغلال بعضها بعضا باسم القانون ، وبأبشع الطرق .

وعندما تفاقمت المعضلات في النظام الرأسمالي ، جاءت الاشتراكية التقليدية ، كردّة فعل متطرفة لها ، ومبشرة بالحرية والعدالة والمساواة بين الناس في كل شيء . كما طرحت نفسها سبيلاً للمحرومين والمظلومين ، فكان لها الفضل في قهر المجاعات المتفشية بين غالبية القوم ، في وقت يعم فيه الرخاء بين الأقلية المستغلة من أبنائه . فهبّ الكثيرون وآمنوا بمبادئها ، وبشروا بها . وهذا أمر طبيعي ، فعندما لا تجد الأفواه الجائعة من يطعمها ، تستسلم للقمة العيش تحت أي نظام يوفرها . ولكن ما إن يختفي شبح الجوع عن أعين الناس ، حتى تبدأ العقول في الطموح والترقي بفعل الفطرة ، وبفعل الفروقات الفردية بينها . وهنا تنتهي القناعة بالاشتراكية التقليدية من العقول . ولما كانت صحوة التطلعات عند الفرد تعقب لقمة العيش ، كان لزاما على كثير من النظم المستبدة ، أن تتعمد التقتير على مواطنيها ، حتى يظلوا بصورة مستمرة دون مستوى هذه الصحوة ، وبمنأى عن التفكير في أسلوب الحكم ومساوئه .

لقد كانت التجارب السيئة للنظم الاشتراكية التقليدية ، دعوة للتخوف من المساواة في الفقر بصورة سرمدية ، فقد يشقى الإنسان في البؤس والفقر ، لكنه يحتمله عندما يرى فيه مرحلة عابرة من حياته ، تزول بفعل قدراته الفردية ، وطموحاته المشروعة التي لا يعيقها عائق . لكن الإنسان السوي يرفض الفقر رفضا مطلقا ، عندما يرى فيه مرحلة أولى وأخيرة من حياته ، دون مبرر مقنع . ولا يُقنع الإنسان على الإطلاق ، الادّعاء بأن سعادته تكمن في قوة دولته الاشتراكية التي يحال إليها فائض جهده ، والتي قضت على جشع أرباب الأعمال لتحل محلهم في الاستيلاء على فائض القيمة ، والاستحواذ على ثروة المجتمع ، لتتصرف فيها كما تشاء . فقد سقط بالاشتراكية أرباب الأعمال و « سماسرة » الذمم ليظهر على مسرح المجتمع رب عمل واحد ، يطعم الأفواه الجائعة ، ويقول لهم : أنتم سواسية ، مهما تفاوتت قدراتكم في العطاء ، وأنتم مبشرون بالنعيم ، يوم تتكدس الثروة .

وعلى الرغم من قيام الدولة الاشتراكية الأولى منذ نيف وسبعين سنة فقد ظلّ مواطنوها يعيشون في معظمهم على الكفاف ، وظلّت مقتنياتها التقنية تعتمد في معظمها على ما يمكن أن يتسرب لها من ثمار القدرات الفردية في عالم ما قبل الاشتراكية . ولعل السبب الرئيس لهذا الركود الاجتماعي ، هو كون الدولة الاشتراكية ضربا سيئا من ضروب رأسمالية الدولة ، وكونها سيدة للإقطاع الصناعي بدون منازع . فهي تملك الأرض ومن عليها ، مقابل سدّ قوت الأفراد ، وبقائهم على قيد الحياة .

لقد أثبتت الأحداث التاريخية المعاصرة بواقعية حاسمة فجاجة التطرف ، والهشاشة اللامتناهية في تقييم المثل الأخلاقية ومعنويات المجتمعات ، عندما ذهل العالم برمته ، وفوجيء بأرتال من الجيش الأحمر الصيني تحارب جنبا إلى جنب مع زعيمة الاستعمار ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ضد رفاق العقيدة من أبناء الاتحاد السوفيتي . وكان ذلك في أنجولا سنة ١٩٧٥ .

كما عكست التطورات النهائية لتقييم أوضاع الاقتصاد الاشتراكي التقليدي ، التراجعات الجريئة التي انتهت إليها القيادات المعاصرة للاشتراكية التقليدية ، فهي تصحيح المسار ، وذلك بمغازلة اقتصاد « التشاركيات » ، والعودة إلى كرامة الإنسان ، واحترام حرية الفرد .

أما المجتمعات الرأسمالية الحديثة فإنها لم تتمكن حتى الآن من التخلص من عيوبها بشكل واضح على الرغم من استقرارها النسبي ، فما زالت مجتمعات أرباب الأعمال الذين في معظمهم لا يؤمنون إلا بأنفسهم ، والذين يطوعون قوانين المجتمع كلما سنحت لهم الفرصة بذلك ، لخدمة أهدافهم الفردية .

الفروق الفردية سلاح ذو حدّين :

وعلى الرغم من أن فكرة الفروق الفردية ، والحوافز والطموحات ، تفرض نفسها في تحديد العلاقة بين فكرتي العدل والمساواة ، فإن للحذر أهمية من سوء استغلال هذه الفكرة ، فقد تميزت الديمقراطية الحديثة باستغلال الفروق الفردية استغلالا يسيء لأهميتها ، وينذر من خطر الجنوح بها عن هدفها النبيل ، وهو خلق التوازن في تحقيق الانسجام بين أفراد المجتمع من ناحية ، وتحقيق الحضارة من ناحية أخرى . إن هذا النوع من الديمقراطية يفتح للأفراد باب الصراع على السلطة على مصراعيه ، حيث يبرز الجانب المظلم للفروق الفردية ، ويصعب تحقيق القوانين ، وذلك نتيجة للتطاحنات المتفاقمة في المصالح والآراء . فيختلط الحق بالباطل ، وتسخر مهن شريفة في كثير من الأحيان تحت تطلعات الشراء الفاحش ، لغير أهدافها ، فتتحول المحاماة مثلا في بعض الأحيان عن هدف ترسيخ الحق وإبطال الباطل ، لتصبح أداة للمتلاعبين ، وهيئة استشارية لتنفيذ عمليات النصب واغتصاب الأموال العامة والخاصة .

وهنا يصل المجتمع إلى ما وصل إليه نقيضه - مجتمع تجاهل الفروق الفردية - أي إلى فقدان الطمأنينة والأمان عند الفرد .

الحرية والعدالة والمساواة لآلىء ، تتحلى بها خطابات العظماء ، ولكنها تبقى مفاهيم متناقضة ، ينشدها الإنسان . فهل من هداية لنظام جديد ، يجعل من الحرية عدلا ، ومن العدل مساواة ؟ . . تلك هي فكرة الغد . □



محمد علي باشا وتشريح الإنسان

بقلم : إحسان جعفر

في مقال « تشريح الإنسان بعد الموت بين العلم والدين » المنشور في العدد (٣٧١ - اكتوبر ١٩٨٩) من العربي ، أرسى الدكتور سامي محمود علي قلمه على مسألة احتدم الخلاف بشأنها عهودا بطولها ، وتفجرت ذيولها في مطلع عصر النهضة العربية ، عندما ارتطم العلم الغربي بصخرة المعتقدات الشرقية ، ولقد أحببت أن أعقب على هذا الموضوع ، بإطلاع قراء مجلة « العربي » على الكيفية العملية التي عالج بها محمد علي باشا ، عزيز مصر المتنور ، هذه

الصعوبة العائقة التي داهمته عندما أسس في أبي زعبل ، أول مدرسة طبية عالية ، أنشئت على النمط الأوربي في الأقطار العربية وافريقيا وآسيا سنة ١٨٢٧ ، وعهد بإدارتها إلى الطبيب الفرنسي « كلوت بك » . إذ عندما اعترضته وقتذاك عقبة إضافة علم التشريح إلى مقررات التدريس ، كان عليه أن يقنع الأهالي بأن تشريح جسم الميت لايمنعه الدين . فبذل مافي وسعه لتذليل هذه العقبة بالحصول على فتوى العلماء بإباحة تشريح الجثث ، واستدراج الحكومة إلى إجازته بها ، وكانت تأبى ذلك تفاديا لاعتراضهم ، ولكنه جادلهم طويلا ، وأثبت لهم أن التشريح له مبررات قوية ، تخدم الانسان نفسه في مجالات عديدة ، وتقدم الفائدة للانسانية ، فأعطوه فتوى سرية بجواز التشريح ، بشرط رعاية الاحتياط والاحتراز فيه على قدر المستطاع وكان محمد علي نفسه يعضد « كلوت » في هذا الشأن الحيوي ، ولكنه أخذه بالتؤدة ، فلم يرخص بالتشريح ترخيصا صريحا ، ولكنه وعده بألا يعترضه أحد .

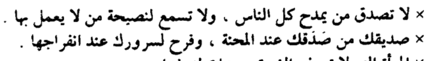
فلذلك ، رعاية لشروط الفقهاء ، كان « كلوت » يتكتم في بادىء الأمر على العمليات التشريحية ، بإجرائها في الخفاء ، ويقيم الحرس حول قاعة التشريح (الانفتياتر) . وبمرور الأيام أصبحت مسألة تشريح الإنسان بعد الموت مألوفة ، ولكن مع هذا كاد « كلوت » يرهق روحه ثمنا لإقدامه على تشريح جثث الموتى . عندما دنا منه أحد طلابه ـ وهو في قاعة التشريح ـ وطعنه في رأسه فلم يصبه ، فطعنه في جواربطنه فلم يصبه أيضا !!

وهكذا حل محمد علي هذه المسألة الشائكة ، بفتوى سرية وتدابير احترازية كان هو نفسه وراء اجراءاتها .

ولقد أغفل الدكتور سامي في تضاعيف مقاله ، دور مدرسة الاسكندرية القديمة في وضع أول تشريح بشري ، يستحق أن يسمى تشريحا ، بحيث جرؤ على إجراء العمليات الجراحية ، ولم يشر إلى أن أول من شرح الأجسام البشرية في القرن الثالث قبل الميلاد في مدرسة الاسكندرية وهما آرستراطس وايروفيل . والأول كان الابن الصغير لأرسطوطاليس . والثاني كان حكيما من قرطاجنة قدما إلى الاسكندرية لتعليم التشريح في مدرستها التي أسسها البطالمة . كذلك لم يشر إلى كتاب سلسوس اللاتيني ، المسمى « فن الطب » ، وهو المؤلف الجراحي الوحيد الذي بقي محفوظا بعد مجموعة ابقراط .

هذا ولم يجد العديد من الأطباء العرب القدامى غضاضة في تشريح الجثث البشرية . وكان ابن النفيس يمارس ذلك سرا ، بيد أنه لم يتوان عن التصريح بإجرائه في ثنايا بعض كتبه . ومن هؤلاء الأطباء عبداللطيف البغدادي الذي كان يدرس التشريح والتشريح المقارن لطلابه . وينتقل بهم إلى المقابر ، كما برع العرب في تشريح العيون وجراحتها . □

أقوال سديدة



× لا تصدق من يمدح كل الناس ، ولا تسمع لنصيحة من لا يعمل بها .
× صديقك من صَدَقك عند المحنة ، وفرح لسرورك عند انفراجها .
× المرأة التي لا تعرف الغيرة ، ربما تولد غدا .
× ما أفقر أولئك الذين لا يملكون أي قدر من الصبر
× لا يطفىء مصباح العقل ، غير عواصف النفس .





قصة بقلم : عبدالحكيم قاسم*

ذات عصر انحبست الرياح البحرية ، وزمتت الدنيا ، وتكدر ضوء النهار فيما بعد الظهر بمسحة من الغبار ، فتلونت الأشياء ، وتجهم أبي . وأنا كنت جالسا جنب الأب على مصطبة دارنا ، وقدامنا باحة تلعب فيها النسمات لعبة أسيفة ، تدوّم ، وما ترتفع قدر شبر حتى تهمد ، أتأملها ، وأرافق أبي ، وأرى جهامته ، وحبات مسبحته تتساقط من بين أصابعه فتصك الواحدة الحبة الأخرى صكة كهرمانية .

وجاء الرجل ، نراه يدرج نحونا ، وأنا فرحت به جدا ، طرت « ليمه » بأشواقي ، فرشت تحت أقدامه سجاجيد لهفتي وطيبي به ، وأبي يبتسم ، نظره متعلق بالرجل ، ورأسه يميل ميلا ، يترنم بنغمات رضاه ، حتى وقف الرجل قدامه فتصافحا ، وقبلا الكتفين ، وجلس متضائلا فائضا أدبا . وجئت بالشاي ، تناول كوبه محبورا وربت على ظهري ، وأخرج من جيبه حلوى فنفحني بها ، جلست أتلذذ بالحلو ، وقد صار الوقت حلوا ، انطلقت النسمات المصرية ، وراق .

هل يأتي هذا الرجل من الجهة البحرية خازن الريح تبرد من حر النهار ، أم يأتي من رطم حبات المسبحة فينعم به وجه أبي ؟ جاء الناس فرحين بالرجل يسلمون ويجلسون ، حتى ازدحمت المصطبة ، ففرشت الباحة حصرا ، وجلسوا ينصتون والرجل يحكي عن حبه لشيخه ، يكنس الروث من تحت بغلته وهو لابس زيه الرسمي . حتى كان ، وترك الخدمة في القوات المسلحة ، وتكبل بالحديد ، يسمعون صلصلة حديده يخفيه تحت ثيابه . وفي كل مرة عند هذا الحد من الحكاية يتنزل من السماء إيمان على قلوب الناس ويصلون على النبي ، وتضاء الأنوار .

صلوا المغرب جماعة في هذا « المطرح » ، وفرحوا بانقضاء الغرض . ضحكوا ، وجاء الطعام ، خرجت الصواني من كل دار صينية ، واجتمعوا على العشاء ، ضحكوا فرحانين ، حتى أنهم حين وقفوا لصلاة « العشوية » المتأخرة كان في أفواههم من بقايا ضحكهم . لكنهم لما

---

* كاتب روائي وقاص من القطر العربي المصري .



[illegible] للأوج ما يبيح به القلب .

ولما وقفوا للذكر ارتعبت ، «لبدت» في جنب أبي ، في مجلسه على المصطبة ، و«كبشت» في لحم فخذه . والذاكرون يقفون في صفين ، «جدعان» فتيان ، وعلى رأس الصفين مداحة سوداء ، بيضاء الأسنان ، في يدها دفها ، وهي امرأة شاخة ، وفيما بين الصفين يقف الرجل ناكس الرأس ، متحاضن اليدين . ولما يبدأ الذكر ، ويصل إلى أوجه احترت وتعبت فيما أريد أن أعرف ، أهي المرأة تقود الرحل وترقصه ، أم هو الدي يمسك رمامها ، وهو على صهوتها تتلعب لفارسها ؟ تعبت وأبي ساكت يقطّر حبات مسبحته حبة وراء الأخرى

الذكر ملع أوجه ، طارت «الطاقية» من على رأس الرحل ، وثار شعره خصلات طائرة مع حركته ، وجهه اقتم ، وفمه يفيص رغاء ، ودراعاه طائران ، وقدماه يدقان الأرض ، يحصحصان جسده في قدفات متتابعة ، خلع جلبابه ، وبان حديده ، وسلاسل تلفه كله ، «تشخلل» وتصلصل ،تصطك مع رقصه الحموي الرائع

[illegible] كالنهار ، [illegible] وتدفع رأسها إلى [illegible] ، والدق تباعا بيدها السوداء الماثلة على [illegible] . لا أدري أيصل تيارها الرجل ، أم يصلها الرجل بتياره ؟ وأبي صامت والشباب الذاكرون [illegible] جنون مكتوم الدق .

صرخ الرجل صرخة [illegible] طويلة ، وهو طويل ، يرفع يديه لأعلى مفروشة الأصابع . المرأة ترجع بالدف لحنا موصولا المقاطع والسحات «كظّت» ، و«الحيال» الذاكرون يحاوبوها بالدق و«خشيش» الصدور . إذ اتخذ الرحل من حديده «حريرا» طويلا ، ثم يديره على رؤوس الناس دورانا حاكما باهرا ، والذكر دائب مسقوف بالحديد ، لحظات أبدية وبدأت أرتجف ، أرنّ كما يكون إعوالا صممي أبي إليه ، وأسناني تصطك ، حتى سقط الرحل وهو يهتف «ألا إله إلا الله» ، وبهذا انتهى الذكر ، وأقبل الناس على الرحل يلثمون يديه ورحليه ويلتمسون البركه من حديده وأبي هدّأ من روعي وقال لى

- إنه واحد من أهل الله ! □

مقالات في كلمات



حوته

■ لا تتشاحر أبدا ، فليس هناك إنسان قرر أن يصنع من نفسه شيئا يستطيع أن يضيع وقته في مشاحنات شخصية ولا شك أنه من الأفضل لك أن تتخلى عن طريقك لكلب بدلا من أن تتركه يعقرك
ابراهام لنكولن

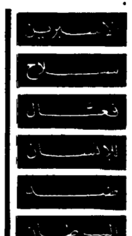
■ إن مأساة الحرب انها تستخدم أفضل ما في الانسان لاحداث أسوأ ما يصيب الانسان
إيمرسون

■ تعلمت أن أعمل في الصباح عندما أستطيع أن أنزع القشدة من وجه النهار وبعد ذلك استخدم الباقي في عمل الجبن
جوته

■ من النادر أن يستخدم الناس الحرية التى يمتلكونها فعلا كحرية التفكير مثلا ومن ثم فهم يطلبون بدلا من ذلك حرية الكلام كتعويض عنها
سارة برنار

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي



● تناولنا الحديث عن الاسبرين في هذا الباب أكثر من مرة، وذكرنا قدرة هذا العقار القديم المستخرج أصلا من لحاء شجر الصفصاف، قدرته على تنشيط عضلة القلب وتوسيع الشرايين، ثم ذكرنا خاصيته في اكساب المرء مناعة ضد تخثر الدم. هذا الى جانب فوائد الاسبرين في التغلب على الصداع، وفي تسكين آلام الروماتيزم، وهي التي تم تطوير العقار أصلا من أجل معالجتها. كان ذلك سنة ١٨٩٧ حين عكف العالم الكيماوي الالماني « فليكس هوفمان » على استحضار الأسبرين، بقصد التخفيف من أوجاع الروماتيزم التي عانى منها أبوه.

وكـان آخر ما ذكرناه من مزايا الاسبرين قدرته على الوقاية من النوبات القلبية، وذكرنا أن قرصا واحدا من الاسبرين (٣٢٥مليغراماً) كفيل بتحقيق هذه الوقاية، حتى لو أخذ هذا القرص يوما بعد يوم لا يوميا كما يظن الكثيرون.

ونعود اليوم الى الحديث عن الاسبرين ثانية، لنتناول ميزة أخرى له، اكتشفوها مؤخرا، وهي الدور الايجابي الذي يستطيع الإسهام به في الحرب التي يخوضها الإنسان ضد مرض السرطان الخبيث.

١ - الاسبرين وأمراض القلب :



كانت الدراسة التي أجراها العلماء في مستشفى (بريجهام) في بوسطن باشراف الدكتور شازلز هنكنز دراسة واسعة فريدة، وذلك بقصد تحري الفوائد التي يمكن أن يجنيها مرضى القلب من تعاطي الاسبرين. لقد بدؤوا هذه الدراسة قبل سبع سنوات، في سنة ١٩٨٢ على وجه التحديد، ولم يفرغوا منها إلا في الصيف الماضي، في منتصف شهر (يوليو) تموز ١٩٨٩، وتعرف هذه الدراسة باسم دراسة (صحة الأطباء Physicians' health) نظرا لأنها لم تجر إلا على الأطباء، فقد شملت ٢٢٠٧١ طبيبا، تراوحت أعمارهم بين ٤٠ - ٨٤ عاما.

وقسم العلماء هذا المجموع من الأطباء إلى نصفين على وجه التقريب، وأعطيت أقراص الاسبرين (٣٢٥ مليغراماً) لأفراد الفئة الأولى، يوما بعد يوم، وأعطيت الأقراص الوهمية المصنوعة من بودرة لا تضر ولا تفيد Placebo لأفراد الفئة الثانية، بالمعدل نفسه، قرص واحد كل ٤٨ ساعة.



٢ ـ الاسبرين والسرطان :

كانت الأخبار التي تليت على أعضاء مؤسسة الاسبرين الأوربية في اجتماعهم الأخير في بروكسل مثيرة مدهشة، فقد أثبتت التجارب العلمية التي أجراها الدكتور جول هاريس، أخصائي السرطان في كلية راش الطبية (في ولاية إيلينوي بأمريكا)، أثبتت أن الاسبرين يكسب أجهزة المناعة في مرضى السرطان مزيدا من القوة ومزيدا من القدرة على مقاومة هذا المرض الخبيث. وهو يضفي على المرضى تحسنا ملموسا في حالتهم الصحية العامة.

ذلك أن الاسبرين وأشقاءه تعمل على مضاعفة فئة معينة من خلايا أو كريات الدم البيضاء، وهي الفئة التي تعرف باسم (الخلايا القاتلة) والتي تلعب دورا مهما في الحرب ضد السرطان. هذا ما توصل اليه العلماء في تفسير قدرة الاسبرين على مقاومة الأورام الخبيثة. وقد تبين لهم أيضا أن الاسبرين ومشتقاته كفيل بتنشيط إنتاج مركب (الانترلوكن ـ ٢) وهو المركب الذي يلعب دورا رئيسا في مهاجمة السرطان، والذي تنتجه أجهزة المناعة في جسم الانسان.

ومضى العلماء الباحثون، وهم من الأطباء طبعا، في فحص أفراد الفئتين بانتظام، وراحوا يسجلون ما يهمهم من نتائج ذلك الفحص بدقة ووضوح، ومضت السنون، وتجمع لدى القائمين على الدراسة ملفات وملفات، ثم عكفوا على تحليل ما سجلوه من نتائج، فكان التقرير الوافي الذي تضمن شرح تلك النتائج، والتعليق عليها، وقد نشرته مجلة نيوانجلند الطبية في عددها الصادر في ١٩٨٩/٧/٢٠. وإليك فيما يلي موجزا بأهم ما جاء في ذلك التقرير:

الحد من احتمالات الإصابة بالنوبات القلبية :

بلغت في الذين تناولوا الاقراص الوهمية ضعف ما بلغت في الذين تناولوا أقراص الاسبرين، فقد بلغ عدد تلك الحالات التي تعرض لها أفراد فئة الأقراص الوهمية (٢٣٩) حالة، ولم تجاوز تلك الحالات من فئة أقراص الاسبرين (١٣٩) حالة، أما النوبات القاتلة فقد بلغ عددها (٢٦) نوبة، و(١٠) نوبات على التوالي، ومعنى هذا باللغة الإحصائية أن الذين يتناولون الاسبرين على نحو ما أسلفنا، يكونون أقل عرضة من سواهم للإصابة بالنوبات القلبية بنسبة ٤٤٪ .

دلت الدراسة على أن فوائد الأسبرين لا تقتصر على الذين تعرضوا للنوبات القلبية فيما مضى من حياتهم، فهي تشمل الذين لم يتعرضوا لها، فتكسبهم مناعة كاملة ضدها، أي أن تناول الاسبرين (عيار ٣٢٥ مليغراماً) يوما بعد يوم، يقيهم الإصابة من تلك النوبات. وأثبتت الدراسة أن فاعلية الاسبرين هذه كانت أبلغ أثرا وأكثر وضوحا فيمن تجاوزت أعمارهم الخمسين عاما. وكذلك فيمن يعانون من ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم، أما سر هذه الفاعلية فقد عزاه العلماء الباحثون الى خاصية الاسبرين الطبيعية في الحيلولة دون تجلط الدم. □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

أمريكا متهمة بسلوك مزدوج



● شهدت (تايبه) عاصمة تايوان ، مؤتمرا عالميا إقليميا ، استهدف البحث في التدخين ومضاره على صحة الإنسان ، واستغرق ثلاثة أيام . بدأ من ١٠ حزيران (يونيو) الماضي سنة ١٩٨٩ . وقد حضر هذا المؤتمر أطباء وموظفو صحة عامة من (٩) دول من شرق آسيا . وماكان هذا المؤتمر ليلفت النظر ويستوجب التنويه لولا الموقف الذى اتخذه من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على الأخص ، وقد ساده الشعور بالنقمة على شركات التبغ الأمريكية ، لحرصها البالغ على تصدير إنتاجها من السجاير إلى دول العالم الثالث ، ومن بينها دول شرق آسيا ، وعلى نشر العجز والموت والأمراض التي تحملها السجاير ، غير عابئة بذلك ، مادامت تجني الأرباح الطائلة التي تسعى إليها .

وانسحب ذلك الشعور بالنقمة على حكومة واشنطن بخاصة ، فقد سمحت لشركاتها في أسواق العالم الثالث ماحظرته عليها في الأسواق الأمريكية ، كارتفاع نسبة النيكوتين والقطران في السجاير ، والدعاية المضللة للتدخين ، والتشجيع على الإدمان . وقارن بعضهم بين حكومة واشنطن في هذه الأيام وحكومة لندن قبل نحو مائة عام ، حين فرضت على الصين استيراد الأفيون الذى كانت تصدره الشركات البريطانية ، وأصرت على الإبقاء على إدمان الأفيون بين أهل الصين ، حتى إذا حاولت حكومة بكين وقف ذلك الاستيراد والحد من هذا الإدمان ، تأكيدا لسيادتها وصونا لصالح مواطنيها ، أعلنت حكومة لندن عليها أبشع حروب الاستعمار في القرن التاسع عشر ، حرب الأفيون المعروفة .

ندد المؤتمرون بالأساليب التي تنتهجها شركات السجاير الأمريكية في الفلبين ، فهي تستأجر الفتيان الصغار ، من أهل الفلبين ، ليتجولوا في الشوارع ويبيعوا سجائرها ، مفردة لامعلبة . وينتشر هؤلاء الفتية عند مواقف السيارات ، حيث الإشارات الضوئية ، ويطوفون بالسيارات الواقفة ، بل بسائقيها وركابها ، ويعرضون أنفسهم للخطر ، لعلهم يبيعون سيجارة هنا وسيجارة هناك ، وتدفع الشركات الأمريكية ، بل ممثلوها الفلبينيون ، ٨٠ سنتا للواحد من أولئك الفتيان في اليوم الواحد ، أي أن الشركات اعتمدت لبيع سجائرها وترويجها في الفلبين على الأولاد الصغار ، عوضا عن آلات بيع السجائر الاوتوماتيكية ، فهذه الآلات لها ثمن لايستهان به ، وتتعرض للتلف من حين لآخر ، والأولاد بلا ثمن .





الدعاية للسجائر ممنوعة في أمريكا كما هو معروف ، ممنوعة في الشوارع والأماكن العامة ، وممنوعة عبر أجهزة الإعلام ، ولكن هذه الدعاية قائمة على قدم وساق ، نشطة جدا ، في شتى دول شرق آسيا ، والشركات هي التي تقوم بهذه الدعاية ، وتنفق عليها بسخاء ، دون أن تحرك حكومة واشنطن ساكنا ، وكأن الأمر لايعنيها مادامت هذه الدعاية تضمن الأرباح الطائلة لشركاتها ، ولاتعود بأي ضرر على أبنائها . بل لعل حكومة واشنطن تشارك الشركات مسؤوليتها عن الدعاية للسجائر الأمريكية ، وليس أدل على ذلك مما حدث في تايلاند في أثناء فصل الصيف الماضي ، فقد بادرت الحكومة التايلاندية إلى حظر دعاية السجائر في بلادها ، فسارع اتحاد تصدير السجائر الامريكية (يشمل هذا الاتحاد كل الشركات الأمريكية الكبرى تقريبا) إلى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بإلغاء ذلك الحظر ، وطالب مكتب الممثل التجارى الفيدرالي في واشنطن بتحمل مسؤولياته بالعمل على إصلاح الضرر المترتب على إقدام الحكومة التايلاندية على حظر الدعاية لسجائرها ، وطالب الاتحاد أيضا باتخاذ إجراءات زجرية ضد حكومة تايلاند ، باعتبار موقفها السلبي موقفا ضد المنتجات الامريكية (أي السجائر) ، ويستهدف عرقلة توزيع الصادرات الامريكية ، والغريب أن مكتب الممثل التجاري أمر بإجراء تحقيق في سياسة حكومة تايلاند ، على ضوء المظالم التي تقدمت بها شركات السجائر الامريكية ، بدلا من اتخاذ موقف منسجم وسياسة حكومة واشنطن إزاء الدعاية للسجائر .

ومهما يكن من أمر فقد حققت تلك الدعاية أغراضها على أكمل وجه ممكن في بنغلاديش وغيرها من دول شرق آسيا ، وقد تضاعفت نسبة المدخنين الرجال (٧٠٪) ، الأمر الذى حدا بالشركات الامريكية إلى توجيه دعايتها إلى النساء والأطفال .

والظاهر أن اليابان تمثل الجبهة المتقدمة جدا لنشاط شركات السجائر الامريكية ودعايتها ، وحسبك أن نكاسوني ، رئيس الوزراء السابق ، قال بالحرف الواحد : «لاخطر على الصحة من السجائر مادام التنبيه من ذلك الخطر يظهر بوضوح على كل علبة» . وعبارة التنبيه في اليابان هي : (من أجل الصحة دعنا نحرص على ألا نفرط في التدخين) .

لاعجب إذن أن وجه المؤتمرون إلى الرئيس بوش شخصيا خطابا (بتاريخ ١٩٨٩/٦/١٢) يلحون فيه على ضرورة تدخله ، لمنع الإجراءات والعقوبات التي ينوي الممثل التجاري اتخاذها ضد حكومة تايلاند . وقد ختموا خطابهم هذا بقولهم :

«إن موضوع السجائر ليس موضوع تجارة ، أو ميزان تجاري ، بقدر ماهو موضوع صحة وعافية . وصحة الإنسان ، ولعل صحة الإنسان الآسيوي لاتقل أهمية عن صحة الإنسان الأمريكي» . □

العربي - العدد ٣٧٥ - فبراير ١٩٩٠ م

اكتشافات أثرية



استطلاع : علي عثمان
تصوير : فهد الكوح

عن الزمن القديم تحكي الآثار ، وتكشف شواهدها الكثيرة عن الأسرار التي كانت ، ومعاناة الإنسان ، وانتصاراته . والوطن العربي يزخر بالكثير من الآثار المكتشفة ، ولكنها جزء من إبداعات حضارية ما يزال معظمها مطموراً في جوف الصخور ، أو بين طبقات الطين والرمال ، تتطلع لمن يكشفها ، لتبوح بأسرارها .

ولأهمية الاكتشافات الأثرية الجديدة التي تنشط عمليات البحث عنها في الأقطار العربية أوفدت « العربي » بعثتها إلى مصر ، لتتابع بعض هذه الاكتشافات ، فعادت بهذا الاستطلاع .

في ابريل عام ١٩٨٨ أعلنت هيئة الآثار المصرية أن إحدى بعثاتها التي تتعقب « طريق حورس الحربي » في سيناء الذي استخدمه فراعنة الدولة الحديثة ، في أثناء مطاردتهم للهكسوس شرقا ، وهم يفرون من مصر ، قد اكتشفت قلعة حربية في « تل حبوة » ، أو « تل حابو » الذي يقع في سهل الطينة ، شمال غرب سيناء ، بالقرب من قرية « بالوظة » التي كانت تعرف في العصور الفرعونية « بيلزيوم » .

وعقب هذا الإعلان دار جدل ساخن ، لمّا يحسم حتى الآن ، على صفحات الدوريات

البريطانية ، وبين علماء المصريات ، ولقد راحت قلة منهم تستند على هذا الاكتشاف في خلق استدلالات تاريخية ، تتوافق مع أهداف دينية وسياسية ، لها صبغة صهيونية وقطعوا ـ دون انتظار اكتمال الحفائر وظهور نتائجها النهائية ـ بأن هذه القلعة من بقايا « اواريس » ، عاصمة الهكسوس التي حكموا منها مصر ، في أثناء احتلالهم لها ، في ما بين (١٦٧٥ ـ ١٥٦٨ ق م) ، وأن رمسيس الثاني ، أحد فراعنة مصر العظام (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ ق م) ، قد أقام عاصمته ، « بررعمسيس » ، على أنقاضها

ولأن الهكسوس يهود ـ وفقا لاستنتاجاتهم ـ فقد ترتب على هذا الاكتشاف أن أصبح المكان الذي خرج منه موسى وقومه من مصر هو هذه المدينة « أواريس » في سيناء ، وليس من « قنتير » كما تفيد معظم الشواهد الأثرية المكتشفة حتى الآن ولقد كانت هذه النتيجة هدف عدد من علماء المصريات الأوروبيين ، خلال المائة والخمسين عاما الماضية ، عندما كرسوا جُلّ جهودهم البحثية في اكتشاف شواهد تاريخية ، تسند فرضياتهم وأحلامهم السياسية والدينية ، ولكن الدكتور علي حسن ، رئيس قطاع المصريات في الهيئة المصرية للآثار ، يؤكد بأنهم لم ينجحوا ، « لأن الهكسوس ليسوا هم اليهود ، لأنه استنادا إلى النصوص المسمارية والمصرية القديمة ، وحتى نصوص التوراة ، نخلص بأن العبرانيين والاسرائيليين شعبان مختلفان تماما ، ولا يجب الخلط بينهما »

إن المجمع عليه ـ حتى الآن ـ بين علماء المصريات ـ كما يقول الدكتور أحمد فخري في كتابه مصر الفرعونية ـ أن « بررعمسيس » عاصمة رمسيس الثاني ، يتراوح موقعها ، وفقا للشواهد التاريخية المكتشفة ، بين مدينة « صان الحجر » وبلدة « قنتير » اللتين تقعان حاليا بالقرب من مدينة « فاقوس » ، شرق الدلتا ، وأن « أواريس » ، عاصمة الهكسوس ، كانت



مقامة في « تل الضبعة » ، وهي قرية من « فاقوس » أيضا

اكتشافات تعيد الحياة لمدن دائرة

وكما أثارت الاكتشافات الجديدة في سيناء الحوار بين علماء المصريات ، ودارسي التاريخ المصري القديم ، فقد حدتنا لزيارة بعض مواقعها ، خاصة أن بعثات التنقيب تدافعت على

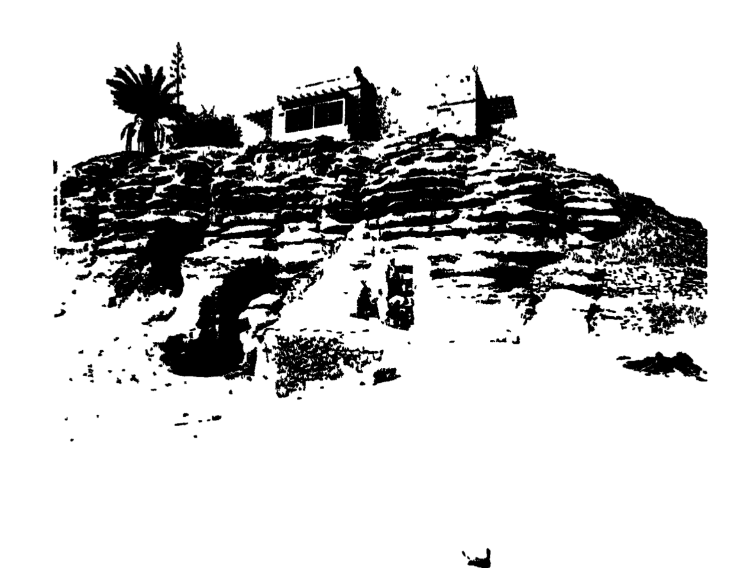


● مقبرة من « جبّانة » الموظفين في منطقة أهرام الجيزة يجري فتحها للزوار للمرة الأولى

أرضها ، منذ جلاء (الاسرائيليين) عنها ، بحثا عن الآثار المطمورة في ثراها التي خلفتها حركة البشر وصراعاتهم منذ فجر التاريخ حتى اليوم .

اتجهنا إلى « القنطرة شرق » ، أولى محطات طريق حورس الحربي ، فعبرنا « قناة السويس » من « القنطرة غرب » إليها . تجاوزناها مع دليلنا الى سهل الطينة الذي يقع على شاطيء البحر المتوسط في الشمال الغربي من سيناء ، على بعد بضعة كيلومترات منها .

وعبر الطريق إلى قرية « بالوظة » التي يوجد بالقرب منها تلال أثرية ، أهمها « تل الطينة » ، و « تل المخزن » ، و « تل الحير » ، ومدينة « الفرما » القديمة ، لم يغادرنا الإحساس بإيقاع حركة التاريخ فوق أرض سيناء الذي أثارته داخلنا معالم المكان ، ومخلفات الحرب المتناثرة على جانبي الطريق ، وتداعيات الذاكرة المتدفقة بصور متعاقبة من عصور التاريخ المختلفة . قبل الوصول الى القرية بقليل يدخل بنا الدليل

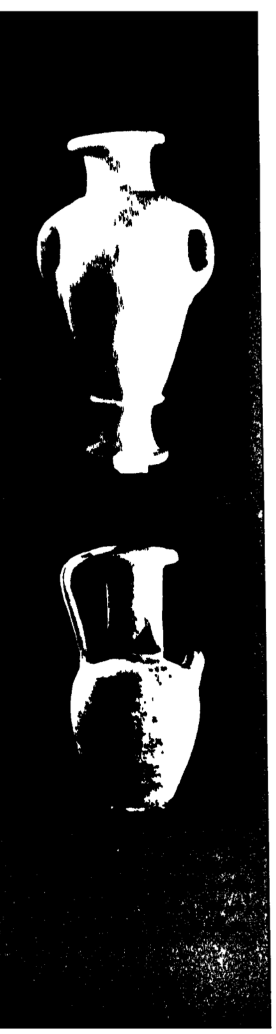


● عمال يغلقون مدخل « مقبرة القطط » في مغارة التي تقع تحت استراحة كبار الزوار

يسارا ، باتجاه البحر المتوسط ، الى أرض ملحة ، اجترناها سيرا على الأقدام حتى نصل الى « تل المخزن » ، جنوب « الفرما » ، وشاهدنا اثار قلعة قديمة ، قال لنا الأثري محمد عبد السميع ، المشرف على حفائر المنطقة ، بأنها تعود الى العصر الروماني ، وأشار الى آثار حمّام من العصر نفسه ، ملحق به طريقة مبتكرة للصرف الصحي ، تشبه عملية الصرف المغطى ، ويقول إن بعض الدارسين يؤكدون أن هذه الطريقة في الصرف استخدمت أول مرة في العالم هنا ثم يضيف إن بعثة مصرية تواصل البحث عن آثار مدينة « بيلريوم » القديمة التي حددت نصوص قديمة وجود منطقتها الدينية في هذا الموقع ، شرق المدينة القديمة

أما مدينة « الفرما » التي قامت مكان « بيلريوم » القديمة التي أطلق عليها العرب اسمها ذلك عند فتحهم مصر ، فقد أكسبها موقعها ، ونشاطها الاقتصادي أهميه استراتيجية ، حتى دثرت على يد الصليبيين في القرن الثاني عشر وفي مواسم الحفر الماضية اكتشفت قلعتها الضخمة ، المبنية من اللبن « الطوب » الأحمر ، ومساحتها ٨٠٠٠ متر مربع ، وعلى أسوارها ٣٦ برجا لحمايتها ، واكتشف خارجها حمامٌ كان يستخدمه سكانها

وفي « تل الطينة » الذي كان ضاحية من ضواحي « الفرما » اكتشف أكبر صهريج للمياه في مصر الإسلامية حتى الان ، كما يقول الأثري رفعت الطاهر ، المشرف على حفائر الاثار الإسلامية في المنطقة واكتشفت منطقة صناعية ظهرت فيها بعض أفران الفخار ، وعثر فيها على



عملات ، وكسرات خزف وفخار ، وأجزاء من أساور ، وحصن يقع في شمال الضاحية ، ويرجح انتساب هذه الآثار إلى العصر المملوكي .

تاريخ حافل

إن للاكتشافات الأثرية في مصر قصصا مثيرة ، تداخلت في فصولها المصادفه مع البحث الدءوب ، المغامرة مع الحلم بالثراء ، العالم مع التاجر واللص ، ولكنها جميعها أعطت للبشرية ، بالإضافة إلى المتعة والإثارة المتحصلة منها ، كنورا من الفن والمعارف الإسانية ، مايزال لها إبهارها المستمر .

فمنذ نجح الفرنسي « جان فرنسوا شامبليون » (١٧٩٠ - ١٨٣١) في فك رموز اللغة الهيروغليفية ، عندما فك رموز حجر رشيد عام ١٨٢٢ ، منذ ذلك الوقت ، تصاعدت عمليات الحفائر والتنقيب عن الاثار المصرية واتسعت ، وتدافع الأوربيون بجنسياتهم المختلفه على المعابد والمقابر ، وكذلك المساجد والقصور الإسلامية ، بعضهم يسعى للمعرفة العلمية ، ومحاولة فض أسرار هذه الحضارة الغامضة ، والمدهشة بالنسبة لهم ولغيرهم ، فقدموا بأعمالهم وكشوفهم أعظم الخدمات للإنسانية . وبعضهم الآخر جذبته مغامرة السرقة والنهب ، أو الرغبة في إعلاء شأن دولته ، بتكوين أكبر مجموعة من الآثار لها من هذه الكنوز المفتوحة بدون صاحب يحافظ عليها .

وعلى الرغم من عمليات النهب المتواصلة للآثار المصرية ، فإن ماباحت به المقابر والمعابد ، والأديرة ، والقصور الإسلامية والمساجد ، المكتشفة حتى الآن ، جعل مصر كلها متحفا مفتوحا ، ليس له نظير في العالم . فكما تشكلت تربتها الخصبة من طبقات متراكمة ، ترسبت على مر الأزمان ، فإن آثارها تضم طبقات حضارية

تلي طبقات ، تبدأ من فجر التاريخ ، فالعصر الفرعوني ، ثم اليوناني ، فالروماني ، فالبيزنطي ، ثم أخيرا الإسلامي .

فمصر تملك مايزيد على ثلث آثار العالم كله ، ومن الآثار الاسلامية يوجد فيها ثلث المتبقى منها في العالم الإسلامي . متاحف ، ومعابد ومخازن مكدسة بالآثار ، غير ما نهب منها ويملأ قاعات ضخمة من المتاحف الأوربية والأمريكية . ومع ذلك يرى علماء الآثار أنها لما تفصح بعد عن كل المخبوء في باطن أرضها .

ولذلك فإن عمليات التنقيب الدءوبة عن الآثار ماتزال تفيض كل عام بالعديد من الأدلة والشواهد التي تفيد في تفسير أسرار الحضارة المصرية التي مازال يشوب بعضها الغموض ، وهذه الشواهد تبدأ من حبات قمح ، أو قطعة من الفخار ، يستدل من مادتها ، وطريقة صنعها على زمنها ، أو مشكاة كانت معلقة في صحن مسجد أو إيوان قصر ، أو برديات تحمل وقائع أحداث تاريخية ، وتنتهي بمعبد ، أو بقايا مدينة طوتها الرمال في جوفها .

وفي السنوات القليلة الماضية ، أُعلن عن اكتشافات عديدة ، بعضها أظهرته الصدفة ، وكثير منها اكتشفته بعثات التنقيب المنتشرة في أنحاء مصر . مائة وخمسون بعثة أجنبية ، فضلا عن البعثات المصرية ، كما يقول رئيس هيئة الآثار المصرية .

وعن هذه الاكتشافات يقول الدكتور على حسن ، رئيس قطاع المصريات : « لقد تم اكتشاف آثار مدينة « بوتو » ، عاصمة مصر السفلى ، قبل توحيد القطرين ـ مصر السفلى ومصر العليا ـ على يد الملك « منا ـ نعرمر » ، في الألف الرابع قبل الميلاد ، في « تل الفراعين » ، بمحافظة كفر الشيخ ، شمال الدلتا ، ومعبد « إيزيس » في « بهبيت الحجارة » ، بوسط الدلتا ، وخبيئة معبد « الكرنك » في الأقصر التي ضمت خمسة تماثيل نادرة لبعض ملوك الفراعنة .

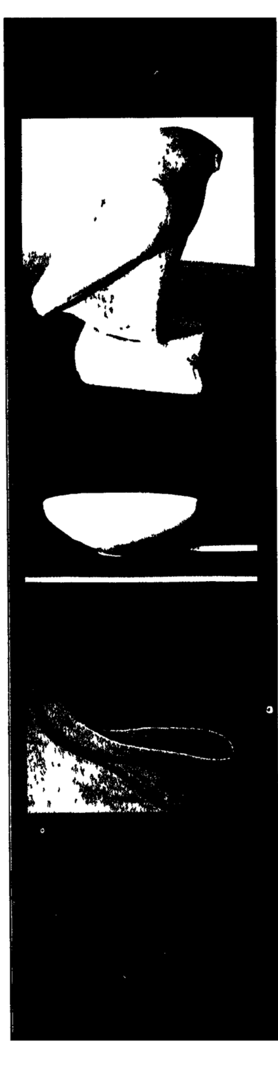
وفي سقارة تم اكتشاف عدد من الأهرام الصغيرة ، تعود الى زمن الدولة القديمة ، جنوب هرم « زوسر » المدرج ، بالإضافة الى عدد من المقابر ، أهمها مقبرة الوزير « عبريا » . وفي سيناء ، وضمن الحفريات التي تسعى لتتبع طريق « حورس الحربي » ، تم اكتشاف بعض النقاط ، منها : « تل حابوة » ، « وتل الحير » . وهناك اكتشافات مهمة ، في تل « بسطا » ، وصان الحجر ، بمحافظة الشرقية ، شرق الدلتا . هذا بالإضافة الى الاكتشافات العديدة في منطقة « طيبة » بالأقصر ، والمدينة العمالية بهضبة الأهرام بالجيزة .

وفي « الكوم الفخري » ، جنوب قرية « ميت رهينة » ، بمحافظة الجيزة ، يشرف الدكتور جاب الله علي جاب الله ، عالم المصريات

أُسَر بارزة

يبدأ التاريخ الفرعوني لمصر كما تعارف عليه غالبية دارسيه ـ من الألف الرابع قبل الميلاد ، عندما كوَّن الملك (منا ـ نعرمر). الأسرة الأولى من الأسر الثلاثين التي تعاقبت على حكم مصر .

ولقد برزت خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة التي حكم فيها الفراعنة ـ من ٣٢٠٠ ق.م الى ٣٤١ ق.م عندما اكتمل الغزو الفارسي الثاني لمصر ـ أسر تركت بصمات واضحة بانجازاتها المبهرة في كل الميادين على الحضارة المصرية القديمة ، وهي الأسر (٣ ـ ٦) التي عرفت باسم الدولة القديمة (٢٧٨٠ ـ ٢٢٨٠ ق.م) والأسرتان (١١ ـ ١٢) الدولة الوسطى (٢١٣٤ ـ ١٧٧٨ ق.م) والأسر (١٨ ـ ٢٠) وهي المكونة للدولة الحديثة (١٥٧٠ ـ ١٠٨٠ ق.م) .



وأستادها في حامعة القاهرة ، على حمريـات في موقع أعرق عاصمة في العالم ، وهي « منف » ، عاصمة الفراعنة مند نشأة الدولة القديمة ، حتى حلت مكانها « طيبة » في الأقصر فيما بعد

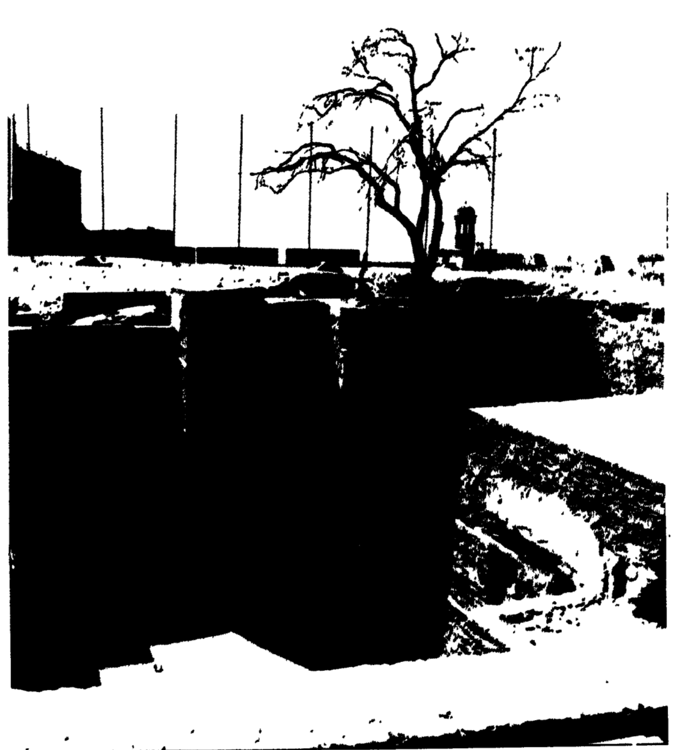
يقول الدكتور حاب الله « إدا كانت معظم البعثات تقوم بحفرياتها في مصر العليـا ، دات التربة الصحرية والرملة التي حفـظت الاتار ، فإن الكشف عن الحياة اليوميه للإنسان المصري القـديم يكون في الـدلتا التي كـان يعيش عـلى تربتها ، وكانت نافدته المشرعة على العالم المحيط انداك ، ولدلك فهي ترحر بالكثير من الشواهد والأدلة الأثرية ، ولكن تربتها طينية ، لاتغـرى بالتنقيب فيها ، لصعـوبات كثيـرة ، وهدا هـو التحدى الحقيقي أمام الاثاريين ، لأن مـوافعها بلا نقوش

ولقد عثرنا حلال موسمى حفر على سوب ، ومحارن ، وأفران صهر معادن ، و« حعارس » ، وأحتام وفحار ، والنتائج الأوليـة للكشف تشير الى أن هدا الموقع كان منطقه عماليه ، تخدم معبد الإله « بتاح »

وفي قطاع الاثار الإسـلاميه يقـول الدكتـور فهمي عبـد العليم ، المسئـول عنـه لقـد تم اكتشاف « القصر الأبلق » في القلعه ، وحرء من سور القاهرة القديم ، بالإضافـة الى حفريـات سيـنـاء - (مدينـة الفرمـا والقـلاع المختلفـه) - وحفـريات مـدينـة « الفسـطاط » ، العـاصمـه الإسلامية الأولى في مصر ، وكدلـك حفريـات مدينة البهسا ، في صعيد مصر

من هم بناة الأهـرام ؟

وكانت البداية ، منطقة أهرام الجيزه ، أشهر المواقع الأثرية في العالم ، بأهراماتها ومقابرها التى دفـن فيهـا ملوك الدولـه القـديمـه من العصـر الفـرعوني ، وكـبار مـوظفيهم عـلى الأقـدام صعدنا هضبة الأهرام باتجاهنا الى مكاتب هيئة الاثار بالمنطقة التي تقع في سفح هـرم خوفـو تجـاورنا بـوابات الـدخول المقـامة بعـد تـنظيم



● منظر عام لجدران قصر الأبلق بعد ترميمها ، تبدو عليها اثار الفسيفساء

المنطقة ، في خطوة أولى من مشروع متكامل ، يعيد لها احترامها .

مناخ شهر أيلول « سبتمبر » الخريفي على الهضبة صاف ورقيق ، يتداخل مع المهابة التي توقعها في النفس ضخامة الهرم ، وخلوده الممتد في الزمان ، فيثيران في النفوس متعة ممزوجة بدهشة إعجاب متواصلة ، لايمكن لإنسان أن يفلت من أسرها مهما تعددت زياراته للمكان .

ولا يخل من روعة المشهد البصري والشعوري ، سوى زحف غابة المباني الحديثة المحيطة بالمنطقة ، بعدما أزاحت خضرة الأرض الزراعية التي كانت تحيط بها ، منذ سنوات قلائل ، من ناحيتها الشمالية والشرقية ، مع أن قيمة المكان الحضارية تفرض وضع حدود ، يقف عندها هذا

الخلق والإبداع .

وعلى الرغم من الجميع تهومّ الأسئلة في فضاء المكان حول بناة الأهرام : من هم ؟ وكيف ؟ وكم من السنين استغرق بناؤ ها ؟ لقد أجابت دراسات عديدة ، وموثقة ـ قدر ما سمحت به الشواهد والأدلة الأثرية المكتشفة ـ عن بعض هذه التساؤ لات ، ولكنها لما تصل بعد الى درجة اليقين الكامل ، كما يقول الدكتور زاهي حواس ، مسئول آثار منطقة الجيزة وسقارة ، « فماتزال هناك احتمالات ، وادعاءات ، لا يدحضها إلا شواهد قاطعة بدلالاتها ، ولذلك سعت بعثة الآثار التي أشرف عليها الى الكشف عن « المدينة العمالية » ، أو قرية العمال الذين بنوا أهرام : خوفو ، وخفرع ، منكاورع (من ملوك الأسرة الرابعة من الدولة القديمة) .

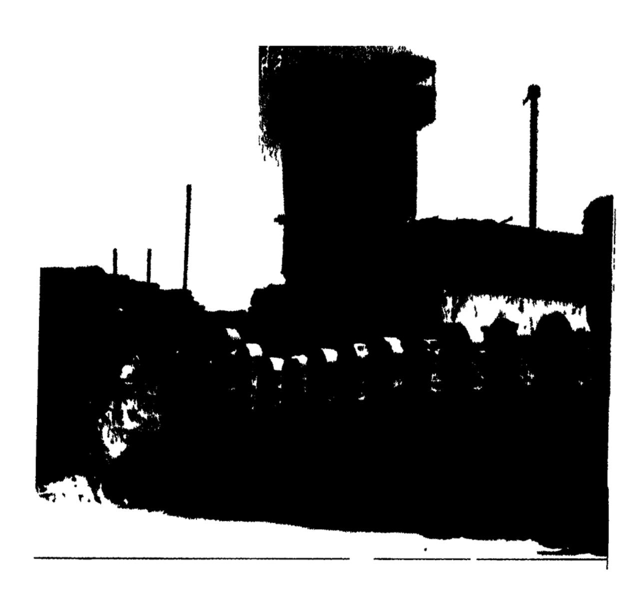
سألناه : ماذا اكتشفتم فيها حتى الآن ؟

فأجابنا : « لقد عملنا في حفريات هذه القرية شهرين فقط ، كشفنا خلالهما عن الجزء الخاص بإدارة القرية ، ومخازن الحبوب ، ومواقع صناعة الخبز ، وجزء من « الجبّانة » التي كان يدفن فيها العمال . ونسعى عند استمرار أعمال البعثة في مواسم الحفر القادمة ، أن نعرف ما يمكن أن تبوح به هذه القرية من معلومات عن حياة عامة المصريين القدماء ، لأننا نعرف كثيرا عن حياة الملوك الفراعنة ، لكننا نجهل أسرار حياة العامة . وقيمة اكتشافات هذه القرية أنها تؤكد بأن قدماء المصريين ـ وليس غيرهم كما يدعي بعضهم عن جهل أو سوء قصد ـ هم الذين بنوا الأهرام » .

إن المعلومات الأولية التي توافرت عن نظام الإدارة في القرية تؤكد أن العمل في بناء الأهرام لم يكن سخرة ، كما يشيع بعض دارسي الحضارة المصرية القديمة ، وإنما كان العمال يقبلون على العمل فيه ، إما نظير الإعفاء من دفع الضرائب ، أو للحصول على أجر (حبوب وقمح) .

الزحف الخرساني الجامح الذي يفسد جلال المنطقة وروعتها ، لتكون بمثابة حرم لها يمنع تجاوزه .

واصلنا الصعود مع مجموعات السياح المتنوعة جنسية ولغة ، والذين يدفعهم انبهارهم الشديد بالمكان الى الانطلاق للتعرف على معالمه ، متأملين بإعجاب قدرة الإنسان ، ومثابرته في



نعاين موقع المدينة العمالية حنوب شرق أبي الهول ، تبدو حدود الحفر فيها ، ولكن معالمها لا تبين بدقة ، فقد ردمت حماية لها حتى بداية موسم الحفائر القادم في شهر كانون الأول (ديسمبر) ، ثم نغادر الى منطقة سقارة

« الجبانة » الملكية تفيض بالأسرار

سقارة تبعد عن القاهرة ٢٥ كيلو مترا جنوبا ، وتقع على حدود الأراضي الزراعيه لوادي النيل باتجاه الغرب ، حيث الصحراء التي تضم صخورها ورمالها مقابر ملوك الدولة القديمة وأمرائها وكبار موظفيها وفيها بني أول هرم في العالم القديم ، هرم « زوسر المدرج » الذي بناه المهندس المصري النابغة « ايموحتب » عام ٢٧٨٠ قبل الميلاد ، ولعله أقدم أثر حجري كبير الحجم في العالم

ولأن سقارة كانت « الجبانة » الملكية للدولة القديمة ، فقد استمدت اسمها من إله « الجبانة » في مصر القديمة « سوكر » ، ولذلك فهي من أهم مناطق الجذب لبعثات الحفر والتنقيب ، ففيها تعمل عدة بعثات منذ سنوات مصرية ، وأمريكية ، وفرنسية ، وتشيكية ولقد نجحت هذه البعثات في الوصول الى اكتشافات أثرية مهمة ، في العامين المنصرمين ، منها اكتشاف البعثة المصرية التي يشرف عليها الدكتور سيد توفيق لعدد من المقابر ، ترجع الى الأسرة التاسعه عشرة من الدولة الحديثة ، وهذا الاكتشاف يثير عددا من الإشكاليات التاريخية ، حيث إن من المعروف أن سقارة واحدة من « جبانات » الدولة القديمة ، وطيبة « الأقصر » هي « جبانة » الدولة

● الجزء المعاد كشفه من سور القاهرة (شرقي باب النصر) ، يبدو برج من أبراج السور ، وآلات تكمل إزالة مقبرة باب النصر من ناحيته الشمالية

الحديثه فلماذا توجد مقابر من الدوله الحديثه هنا ؟

ولعل من اهم الشواهد الأثريه ، دات القيمه الفنية والتاريخية الى عترت عليها هده البعثة ـ كما يقول مفتشو اثار سقارة ـ تمثالاً نادرا للعجل « ابيس » ، رب التناسل ، ورمز الإخصاب عند الفراعنة الدين كانوا يعبدون العجل ، ويسمونه « روح الإله بتاح على الأرض » وكان لابد أن يكون العجل المعبود أسود اللون ، وفي جبهته بقعة بيضاء وكان يقال إن البقرة التي تلد مثل هـذا العجل لا تلد غيره ، ولذلـك فإن هـذا العجل المقدس ، حين يموت ، يحنط ويدفن في مقبرة العجول المقدسة والفريد في هدا التمثال أنـه ربط « أوزوريس » مع الإلـه « بتـاح » مع العجل « أبيس » ، وعلى جبهته « الأريوس » ، أي الثعبان ، وهو الرمز الملكي وهذا التمثال الذي يجمع بين أكثر من إلـه ورمز من فتـرات تـاريخية مختلفـة يثير مع المقابـر المكتشفة أسئلة عديدة ، ستجيب عنهـا دراسات البعثـة التي لما تنشر بعد

مقبرة للقطط

عند وصولنا سقارة كان هدفنا مقبرة الـوزير « عبريا » ، المكتشفـة حديثـا ، ولما يعلن عنهـا بعد ، لأننا أدركنا من حواراتنا مع علماء الاثار ، ومفتشيهـا ، أن الـدلالات المستخلصة من المعلومات التي أتاحها رئيس بعثة المعهد القومى الفرنسى مكتشفة المقبرة « آلن زيفي » حول اسم صاحبها ووظيفته ، والمرحلة التاريخيه التي ينتسب إليها ، ينتظر أن تثير جدلا ساخنا ، بين علماء المصريات في العالم حين الإعلان عنها

المقبـره تقع تحت ربـوه صخريـه في شمـال « سقـارة » ، مقام عليهـا ، منذ زمن طويل ، استراحه كبار زوار هيئه الاثار عندما وصلنا إليها كانت بعثـه تلفاز أمريكية قـد سبقتنا إلى هناك ، وأنهت تصوير مدخلها قبل إغلاقها بوقت قصير ، تمهيدا للإعلان عنها ولذلك توافدت على المقبرة ، بدعوة من مكتشفها ، وفود إعلامية فرنسيه وأمريكية

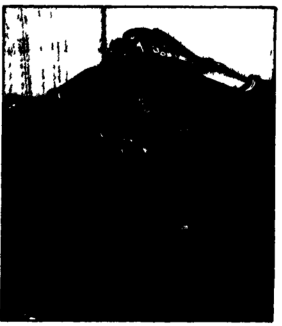
في عـام ١٩٨٠ بدأ العمـل في المقبـرة في البداية عثرت البعثة في الطبقة الأولى منهـا على آلاف من مومياءات القطط المحنطة ، ترجع إلى العصر الفرعوني المتأخر ، والعصر البطلمي ، حيث كانت تنتشر عبادة الإلهة ، « باستت » ، معبـودة منطقـة « الزقـازيق » ، الواقعـة شـرق الدلتا ، آنداك ولقد وُجدت بالمقبرة مقصورة لهده الإلهة ، ولذلك أطلق عليهـا مقبرة « أولاد القطط » كما يقول الدكتور زاهي حواس

لم نجد مكتشف المقبرة ، فصحبنا مساعـده المصـري مفتش الاثـار أحمـد عبـد العـال إلى موقعها من مدخلها أطللنا عليها ، ولم نتوغل

فيها لانعدام الرؤية . نقوشها الجدارية تآكلت ـ وإن لم تتلاش تماما ـ نتيجة تسرب مياه صرف الاستراحة فوقها . اكتشف فيها بئر عمقها اثنى عشر مترا ، كانت حالتها رديئة فتم ترميمها . وفي موسم بعد آخر تواصلت أعمال الحفائر حتى ظهر سلم تحته من الناحية الشمالية أكتشفت حجرة دفن محفورة في الصخر ، على عمق اثنين وعشرين مترا ، كانت مليئة بتوابيت خشبية ، عليها نقوش وكتابات جميلة ، منها أمكن تحديد أسماء أصحابها ، وأحدهم هو « بانحس » ، وزير الملكة « حتشبسوت » .

ومنذ أسبوع واحد قبل وصولنا ـ كما قال مرافقنا ـ اكتشفت غرفة ثانية بعد عدد من الدرجات ، تبين من نقوشها أن صاحبها هو الوزير « عبريا » الذي كان وزيرا للملك « امنحوتب الثالث » « والملك اخناتون » من الأسرة الثامنة عشرة « الدولة الحديثة » .

ولقد عثر في المقبرة على كثير من الشواهد والأدلة الأثرية الفريدة من الالبستر ، والذهب ، والخشب . منها ذراعان مصريان سليمان تماما ، وهي المرة الأولى التي يكتشف فيها ذراع مصري



● الدكتور عبد الرحمن عبد التواب خبير الآثار الإسلامية .

سليم ، وهو أداة القياس الطولي ، وطوله ٥٢ سم . ومنها أوان « كانوبية » من الالبستر ، وهي أوان توضع فيها أحشاء المتوفى بعد تحنيطه ، ويوضع عليها غطاء وهو عبارة عن رأس يحاول الفنان أن يجعلها تحمل ملامح صاحب المقبرة قبل وفاته ، وتوضع بجانب التابوت من ناحية الغرب ، حتى تكون قريبة منه حين بعثه للحياة مرة ثانية .

القصر الأبلق

نغادر سقارة ، ونتجه إلى قلعة الجبل في قلب القاهرة .

من الباب الجديد الذي مهده محمد علي ، بجوار بابها المدرج القديم صعدنا ، ومع إيقاع خطواتنا على أحجار أرضياتها طفت على سطح الذاكرة بعض فصول تاريخها كثيرة الاضطراب ، فنشهد الفصل الأخير من حياة الملكة « شجر الدر » ، وهي محاصرة في حمام قصرها بالقلعة ، تتلقى ضرب الجواري لها بالقباقيب حتى تموت ، فترمى جثتها خلف أسوار القلعة لتتلقفها الغربان . ومع اجتيازنا لأبوابها ونحن متجهون إلى ساحة العلم ضمنا موكب المماليك الذين دعاهم « محمد علي باشا » لوليمة ، ثم أغلق دونهم الأبواب ، وأمر جنوده أن يُعملوا فيهم سيوفهم حتى يقضي عليهم ، إلا مملوكاً واحداً ، انطلقنا في ركابه وهو يهرب ، ثم يقفز بحصانه من فوق سطح القصر الأبلق المدفون ، إلى منطقة « باب العزب » في القسم السفلي من القلعة ، ونشاهده وهو ينجو بنفسه ، ثم نعرف أنه لاذ بالفرار إلى الصعيد . ومن البقعة نفسها التي قفز منها « أمين بك » شاهدنا بعض جدران قصر منتصبة في قلب حفائر حديثة ، عليها بقايا تكسيات رخامية ، ورسوم فسيفسائية . سألنا عنها مدير منطقة القلعة ، عبد السلام العوادلي الذي صحبنا إليها قائلا : إنها جدران الإيوان الرئيس « للقصر الأبلق » الذي أنشأه السلطان



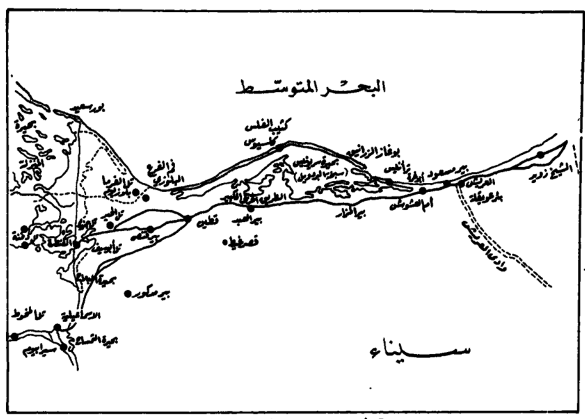
● توابيت حجرية اكتُشِفت في القنطرة شرق ، تعود إلى العصر اليوناني (حفريات سيناء) .

الناصر محمد بن قلاوون عام ١٣١٣ م ، واتخذه قصرا للحكم . اكتشفناه في أثناء إنشاء متحف الشرطة القومي في ساحة العلم ، منذ عامين ، وهو القصر الذي ذكره المقريزي في خططه « بأنه يقع في الناحية الغربية من القلعة ، وكانت العادة أن يجلس فيه ابن قلاوون كل يوم للخدمة ، ماعدا يومي الاثنين والخميس ، فإنه يجلس للخدمة بدار العدل ، ويمشي من باب القصر في دهاليز مفروشة بالرخام ، وقد فرشت فوقه أنواع البسط إلى قصر عظيم البناء ، شاهق في الهواء ، بإيوانين أعظمها الشمالي ، وبجوار هذا القصر ثلاثة قصور ، وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الأسود ، والحجر الأصفر [لذا سمي بالقصر الأبلق] وموزرة من داخلها بالرخام ، والنصوص المذهبة المسجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات ، وسقوفها كلها مذهبة ، وقد موهت باللازورد ، وزينت جدرانها بالزجاج القبرصي الملون كقطع الجوهر المؤلفة في العقود » .

يقول الدكتور فهمي عبد العليم ، رئيس قطاع الآثار الإسلامية بهيئة الآثار : لقد وجدنا بقايا أجزاء من إيوان هذا القصر ، ومكان الفسقية ، وبقايا رخام ملون ، وعلى جدران الإيوان زخارف نباتية وأشجار ، وصور مختلفة منفذة من الفسيفساء المذهبة والملونة ، صورناها لأنها تحكي قصصا قديمة ، ككليلة ودمنة ، وعملنا الآن هو محاولة تجميع هذه الفسيفساء ، كي تكتمل قصصها ، ولقد أعددنا القصر المكتشف كما رأيتموه .

ويقول الاستاذ عبد الرحمن عبد التواب مسئول قطاع الآثار الإسلامية السابق ، وأحد خبراء الآثار الإسلامية في الوطن العربي ، عن تجربته مع آثار القلعة :

« لقد اتفقنا مع وزارة الأوقاف المصرية ، منذ سنوات ، على رفع ميضأة مسجد محمد علي ، على أعمدة خرسانية ، أكدت دراسات هندسية إمكان عملها ، حتى نكشف عن بقية « القصر الأبلق » وباقي القصور المملوكية المدفونة تحتها ،



● طريق « حورس » الحربي في سيناء .

فوافقت الوزارة ، ولكن قصور الميزانيات حال دون تنفيذها ، وإنني أرى أن إقامة متحف الشرطة سنة ١٩٨٥ في الموقع الذي يعلو هذا القصر عمل يجب التخلص من آثاره ، مهما كانت التكلفة ، لأن أثراً تاريخياً مثل هذا القصر ، أو غيره ، له قيمة ويجب حمايته مهما كانت التكلفة » .

أسوار القاهرة

ننزل من القلعة ، ندور حول أسوارها الشاهقة ، فتذكرنا بسور القاهرة الذي بناه صلاح الدين ، ليحيط به عواصم مصر الإسلامية السابقة عليه (الفسطاط ، العسكر ، القطائع ، القاهرة المعزية) ، وجعل سور القلعة جزءا منه

يعرض علينا مرافقنا أن نرى عمليات الكشف عن الجزء الشمالي الشرقي من السور التي لما تكتمل بعد . نتوجه إلى حي الجمالية ، قلب قاهرة الفاطميين ، لنخرج من بوابة النصر . تحيط بنا أحداث التاريخ التي تفصح عنها جدران القصور والمساجد التي تغص بها شوارعه ، وحواريه ، وتتداعى صور الأحداث والشخصيات ، ثم نتوقف عند ما رواه المقريزي في خططه عن السور .

« إن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات ، السور الأول كان من لبن وضعه جوهر الصقلي القائد (عام ٩٦٩ م) على مناخه الذي نزل به هو وعساكره ، حيث القاهرة الآن ، [اندثر جميعه] . السور الثاني بناه أمير الجيوش ، بدر الجمالي ، في سنة ٤٨٠ هـ ١٠٨٩ م ، وجعل السور من لبن ، وأقام الأبواب من حجارة [باق منه الآن بابا النصر والفتوح في الضلع الشمالي ، وباب زويله - المتولي - بالضلع الجنوبي] أما السور الثالث فقد بدأ عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في سنة (٥٦١ هـ - ١١٧٠ م) ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله ، فلما استولى

على المملكة انتدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي ، فبناه بالحجارة ، [التي جلبها من الأهرام الصغيرة بالجيزة] وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورا واحدا ، فزاد في سور القاهرة القطعة من باب القنطرة إلى باب الشعرية ، ومن باب الشعرية إلى باب البحر ، وبنى قلعة المقس [موضعها جامع أولاد عنان بميدان رمسيس الآن] ، وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلي باب القصر ، ممتدة إلى باب البرقية وإلى درب بلوط ، وإلى خارج باب الوزير ، ليتصل بسور قلعة الجبل » .

نقترب من بوابة النصر ، أبراجها ، وبقايا السور فيها تلفت الأنظار بفنون عمارتها المتناسقة مع مهامها الدفاعية ، نتوقف عندها برهة ، ثم نخرج منها ، نتجه شرقا ، فنرى الجرافات والآلات الضخمة تواصل إزالة « جبانة » باب النصر في جانب السور الشمالي . يظهر السور على ارتفاع مقداره متر ، ومتران في بعض



● الأثري محمد عبد السميع مشرف حفائر أثرية بسيناء .



● صهريج للمياه في « تل الطينة » غرب الفرما

الأماكن بأبراجه المتعددة أجزاء منه سليمة ، وأخرى قد أصابها البلى ملتقي بالمشرف على أعمال كشف السور ، أسامه طلعت ، له دراسات على اسوار صلاح الدين يحدثنا عن السور ، فيعود بنا إلى بدايات الكشف عنه على يد الأثري المصري علي بهجت ، والمهندس الفرنسي البيرجابرييلي اللذين اكتشفا ٣٥٧ مترا من السور عام ١٩١٧ ، عند كشفهما عن مدينة « الفسطاط » ، عاصمة عمرو بن العاص ثم أضاف الأثري الانجليزي « كرزويل » عام ١٩٤٨ الباب المحروق الذي حرقه « أتباع فارس الدين اقطاي » الذي قتله عز الدين أيبك ، بعد رواجه من « شجر الدر » ، عند فرارهم من القاهرة ليلا من باب الخراطين فوجدوه مغلقا ، فعمدوا إلى حرقه ، وسمي منذ ذلك اليوم « الباب المحروق » وأضاف الأثري عباس بدر اكتشاف باب القرافة في الستينيات

ثم يضيف « إن الجزء الحالي الذي تم كشفه



● حمام روماني ملحق به طريقة للصرف الصحي تشبه طريقة الصرف المعطى الحديثة (اكتشافات الفرما)



● كنيسة تحت الكشف من طراز البازليكا ، ترجع إلى العصر البيزنطي في « تل المحرن » شرق بيلزيوم

يمتد من باب النصر باتجاه برج الظفر ، والجزء المتبقي من الضلع الشمالي ، وهو الذي يلي باب الفتوح ، ما زال موجودا ، ويمكن رؤيته من أعلى سطوح البيوت الملاصقة له من الناحيتين ، ما عدا أجزاء الشوارع التي اقتضت توسعات مدينة القاهرة فتحها ، وهو ينتهي بميدان رمسيس .

والجزء الذي نعمل فيه منذ مايو ١٩٨٩ يحتاج إلى حفريات بعمق خمسة أمتار ، وبعرض ستة أمتار من الناحيتين ، حتى نصل إلى قواعد السور الذي كان ارتفاعه ستة أمتار . وهذا قرار جريء يحتاج إلى تمويل لإقامة مساكن بديلة للقاطنين الملاصقين للسور من الناحية القبلية ، حتى نحافظ على هذا الأثر التاريخي » . ونحن نغادر الأسوار نحلم بأن تتوافر الإمكانات اللازمة لتحويل حي « الجمالية » كله ، إلى متحف ، حتى يبرز كل أثر من آثاره الكثيرة ، ويمكن المحافظة على طابعه القديم عمارة ، وفنونا ، وأنشطة .

حفائر البهنسا تجربة عربية رائدة

إلى الجنوب من مدينة القاهرة ، على بعد مائتي كيلومتر ، وعلى الشاطىء الغربي لبحر يوسف ، على مسيرة ١٥ كيلومترا ، غربي مدينة بني مزار ، بمحافظة المنيا ، تقع مدينة « البهنسا » . كان اسمها في العصر الروماني « اوكسيربينكوس » وكانت مركزا إداريا مهما . وتؤكد روايات تاريخية قبطية أن السيدة مريم وابنها عيسى عليهما السلام أقاما فيها سبع سنوات ، عند قدومهما إلى مصر ، ثم انتقلا منها إلى القدس . ولذلك تحولت بعد ظهور المسيحية إلى مركز كثرت فيه الكنائس والأديرة التي امتلأت بالرهبان والراهبات ، كما تقول بعض الروايات التاريخية ، ولذلك اكتسبت مكانة مميزة في نفوس المصريين مسلمين ومسيحيين .

كما استحوذت على مكانة في الوجدان الشعبي ، عبر عنها القاص الشعبي عندما حكى عن فتوحات البهنسا التي يوجد فيها أكثر من



محطوط ، أقدم واحد منها يعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي ، كما يقول الدكتور أحمد عبد الرازق ، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة عين شمس وكانت مركزا صناعيا لإنتاج النسيج والأخشاب والخزف منذ فجر الإسلام ، وبذلك تناظرت مع مدينة « المسطاط » في هذا المحال ، كما أظهرت كتب المؤرخين والرحالة ، والدراسات الحديثة للأثريين .

وإلى هذه المدينة جاءت بعثات أجنبية ، للتنقيب ، منذ بداية القرن العشرين ، مهتدية بكتابات المؤرخين والجغرافيين الإسلاميين عنها ، كابن حوقل ، والمقريزي ، والإدريسي ، والواقدي . فعثروا على أكبر مجموعة من البرديات ، عثروا عليها بمصر ، وهي تنتسب إلى العصر ليوناني والعصر الروماني . ثم تواصلت أعمال احمر والتنقيب فيها إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، فتوقفت ، إلى أن جاءت بعثة دار الآثار الإسلامية بالكويت ، لتعمل في المدينة أربعة مواسم حفرية ، اكتشفت خلالها آثاراً لها أهمية تاريخية كبيرة .

وتجربة البعثة الكويتية هي التجربة العربية الأولى في مجال البحث عن الآثار في مصر . تقول الشيخة حصة الصباح ، مديرة دار الآثار

الإسلامية بالكويت ، والمشرفة على أعمال البعثة : لقد برزت فكرة عمل حفائر في منطقة البهنسا عام ١٩٨٣ ، عند افتتاح دار الآثار . وفي عام ١٩٨٥ بدأت البعثة أعمالها بمساهمة علمية من جامعة لندن ، ممثلة في جهود الدكتور جيزا فهرفاري وبعض الباحثين الآثاريين ، وبتمويل من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .

وكان هدف البعثة الإحاطة أولاً بالدور الذي اضطلعت به البهنسا في إنتاج صناعة الخزف ، ذي البريق المعدني الذي كانت تشتهر به مدينة الفسطاط ، ثم ظهر أن البهنسا كانت تنتجه ، كما أشارت بعض الفخاريات التي تنسب إليها . وثانيا رصد النمو الذي شهدته مدينة البهنسا ، منذ بدء العصر الإسلامي حتى الفترة العثمانية . وقد ضمَّنَا تقرير البعثة نتيجة أعمالها .

ولقد نجحت البعثة خلال مواسم حفر أربعة ، في عدد من المناطق باكتشاف كميات كبيرة من القطع الفخارية ، والخزفية ، المتنوعة الأساليب الصناعية والزخرفية . وعدد من قطع النسيج التي تقدم دلالة أكيدة بتميز البهنسا في صناعة الكتان والحرير ، والقطن أيضا . واكتشاف ثلاثة أفران من التي كانت تشوى فيها الفخاريات . وتم التعرف على موقع أربعين فرنا أخرى ، باستخدام القياس المغناطيسي . وكذلك اكتشفت مائتي قطعة من العملة الذهبية ، تحمل اسم الخليفة العزيز بالله ، وابنه الحاكم بأمر الله ، داخل جرة مدفونة في أحد مواقع الحفر .

كما أن البعثة جعلت لدراسة القباب الأثرية التي اكتشفت « بجبانة » المدينة أهمية كبيرة ، لأن القباب لم تنل العناية الواجبة بدراستها معماريا ، على الرغم من استخدامها في العمارة الإسلامية ، كما في جامع السلطان حسن بالقاهرة

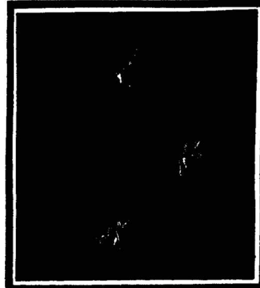
وتضيف الشيخة حصة الصباح قائلة : إن الشواهد والأدلة الأثرية التي عثرنا عليها في حفريات البهنسا ، من فخاريات وأنسجة وأوراق ، ستمكننا من تحصيل المزيد من المعلومات حول النشاط الصناعي للبهنسا منذ العصور القديمة حتى العصر المملوكي ، وستساعدنا في معرفة الحياة اليومية فيها خلال هذه الفترة ، عند استكمال أعمال الحفر في مواسم قادمة . ثم تؤكد أن البعثة ستقوم بترميم بعض الآثار الإسلامية الباقية بالمدينة ، كمأذنة مسجد زين العابدين ، مع بعض المساجد الأخرى ، حتى تكتمل فائدة التجربة العربية الأولى للبحث عن الآثار في مصر .

نخرج من تجربة البهنسا ، وحلم يداعبنا في أن تتكثف الجهود العربية في العمل على اكتشاف ما تحويه أرض الوطن العربي كله من آثار كانت نتاج إبداعاته الحضارية التي زخرت بها جنباته . فهل يتحقق هذا الحلم ؟ □

العربي - العدد ٣٧٥ - فبراير ١٩٩٠ م



٢



١

أجمل الأزهار وأعجبها!

بقلم: الدكتور شكرى ابراهيم سعد *

كثير من الفصائل النباتية نجني منها الثمار، ونستمتع بجمال أزهارها، وأريجها، دون أن نعرف طريقة نموها، وتكاثرها، على الرغم من انتشارها الواسع. من هذه الفصائل أزهار الأراشد التي أعطاها الاغريق اسمها، فماذا نعرف عن الأراشد؟ وأين تنمو؟ وما فائدتها؟

* أستاذ النبات بكلية العلوم - جامعة الاسكندرية

لعل أحب الأزهار وأجملها وأعجبها هى أزهار الأراشد ، وهي تنتمى إلى الفصيلة الأراشيدية ، أكبر الفصائل النباتية ، إذ أن عدد أنواعها من ٢٠٠٠٠ ـ ٣٥٠٠٠ نوع ، وتوجد الأراشد في معظم مناطق العالم ، وبخاصة المناطق الاستوائية .

وتختلف نباتات هذه الفصيلة عن النباتات الأخرى ، ليس من حيث الشكل فقط ولكن في طريقة معيشتها ، فبعضها يعيش على الأرض وبعضها الآخر يعيش في الماء في المناطق المعتدلة ، وبعض آخر منها يعيش معلقا ومتدليا من أغصان الأشجار فى الغابات الاستوائية ، حيث يهطل المطر بغزارة .

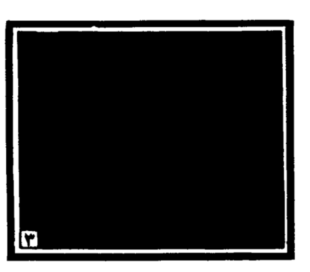
وهناك القليل الذى ينمو ويعيش مدفونا تحت سطح الأرض لايرى النور منه مطلقا إلا الفرع الزهري .

نبات مثير للحيرة

بذور الأراشد من أصغر البذور حجما ، لايتعدى طول البذرة ٠,٣ « مليمتر » ، ولذا تحتوي ثمرة الأراشد على مئات الألوف من هذه البذور ، فتحتوي ثمرة نبات « سميديوم » على ما يقرب من ٨٥٠٠٠٠ بذرة ، ويصل العدد فى بعض الأنواع إلى مليون ونصف مليون بذرة فى الثمرة الواحدة ، كما فى ثمرة « ماكسيلدريا » ، و« كاتليا » . وإذا افترضنا أن ١٠٪ فقط من هذه البذور يكتب له النجاح فى الإنبات ، فإن الأراشد سوف تغطي سطح الكرة الأرضية ، ولكن جنين بذرة الأراشد صغير جدا ، ولا تحتوي البذرة على مواد غذائية مدخرة ، لا في الفلقتين ، ولا فى نسيج « الأندوسبرم » ، كما الحال في البذور العادية ، ولذلك من الصعب إنباتها ، والكثير منها يهلك بعد انتشاره . والإغريق هم أول من عرف الأراشد ، وعالم النبات الاغريقي « ثيوفراستس » هو الذى أطلق على هذه النباتات اسم « الأراشد » ، حيث إن البذرة عند إنباتها تكون كتلة خلوية تحاط بشعيرات ماصة ، تمتص الماء من التربة ، وتتكور مكونة جذرا درنيا ، ثم يتكون لها جذر درني آخر ، هو الذي يُكوِّن النبات بعد سنة من تكونه . هذانِ الجذرانِ الدرنيان ويسمونهما « بروتوكورم » يشبهان أحد أجزاء الجهاز الذكري للإنسان (كيس الرجل) ، وكان يعتقد أن تناول هذه الجذور يزيد القوة الجنسية للإنسان .

واختلاف الأشكال والأحجام والألوان بين نباتات « الأراشد » وأزهارها يحير الإنسان ، فمن حيث الحجم تختلف النباتات من صغيرة جدا ، لا يتعدى طولها اصبع اليد ، إلى كرمة يبلغ طولها عشرات الأقدام . أما من حيث اللون فجميع ألوان الطيف موجودة وممثلة بين أزهار الأراشد ، ويقل بينها اللون الأزرق ، وبعضها يقرب لونه من السواد . أما من حيث الشكل فمن الأزهار ما يشبه النحلة الصغيرة ، أو الذبابة ، ومنها ما يشبه البطة أو الاوزة ومنها ما يشبه الضفدعة أو السحلية .

إن الأراشد تنمو في معظم مناطق العالم ،



[١] بعض أزهار « الأراشد » المختلفة الأشكال

[٢] أزهار أخرى من « الأراشد » تحاكي بشكلها السحالي وبعض الحيوانات الأخرى .

[٣] نبات من « الأراشد » يعيش معلقا على الشجرة

إلا أن أجملها ما ينمو في المناطق الاستوائية ، وبخاصة الغابات المطيرة في أمريكا الوسطى ، وكولمبيا ، وفنزويلا ، والبرازيل ، حيث تعيش النباتات معلقة ومدلاة من أغصان الأشجار ، تحصل على غذائها من الذرات العضوية الدقيقة التي يحملها المطر ، وكذلك على الفتات الذي تصل إليه بجذورها ، وتحاط هذه النباتات بغلاف هيجرسكوبي ، يمتص الماء من الجو ، يسمى « فيلامين » ، فنباتات الأراشد لا تستخدم الأشجار إلا كدعامات فقط .

طريقة جديدة للإكثار

وعلى الرغم من الرحلات العديدة إلى هذه المناطق التى تنمو فيها الأراشد ، وجلب الأطنان منها لاستزراعها ، فقد باءت كل المحاولات بالفشل ، سواء كان ذلك في الخلاء ، أو في الصوب . وأخيرا بعد مضي مئات السنين اكتشف السر الذي احتفظت به الأراشد ، ألا وهو صغر حجم البذور ، وعدم احتوائها على غذاء مختزن ، فهي في حاجة الى من يمدها بالغذاء أثناء إنباتها ، ولقد وجدت هذه النباتات ضالتها في الفطريات ، واكتشف هذا السر العالم النباتي « نويل برنارد » ، فقد اكتشف فطرا عالقا بالبذرة الصغيرة ، يساعدها على الإنبات والنمو ، فالفطر يمد البذرة بالمواد المعدنية اللازمة لنموها ، كما يعطي الأوركيد الفطر المكان الآمن لمعيشته ، وقد يعطيه المواد الكربوهيدراتية إذا احتوى على الكلوروفيل ، وهي المعيشة التكافلية التى تشبه المعيشة والمشاركة بين الفطر والطحلب في نبات الأشن .

واليوم مع استمرار البحوث والتجارب العلمية اكتشفت طريقة جديدة سهلة سريعة للإكثار ، وهي استخدام القمم المرستيمية النامية ـ نسيج جنيني مؤلف من خلايا قادرة على الانقسام غير المحدود ـ وتنميتها في محاليل غـذائية ، وهى الـطريقة التى استنبـطها



واستخدمها العالم النباتي « جورج نويل » للحصول على نباتات بطاطس خالية من الفيروسات التي كانت تضر بمحصول البطاطس فى فرنسا .

وفى عام ١٩٥٦ طبقت هذه الطريقة في الحصول على العديد من الأراشد ، فراجت تجارتها فى العالم لشدة الطلب عليها ، والمعروف أن هذه الطريقة في التكاثر هي إحدى طرق التكاثر الخضري المعروفة التي يلجأ اليها الزراع للاحتفاظ بالصنف ، ولإكثار بعض النباتات التى يصعب تكاثرها عن طريق البذور .

الأزهار تغري

ولكن الإنسان يتطلع دائما إلى الأحسن والأجمل والجديد ، ولا يتأتى ذلك للنباتات إلا عن طريق التلقيح ، وهو نوعان : التلقيح الذاتي والخلطي . ومن الحقائق المعروفة أن التلقيح الخلطي ينتج عددا أكبر من البذور مما ينتجه التلقيح الذاتي ، ليس هذا فقط ، بل إن النباتات الناتجة عن طريق التلقيح الخلطي تكون أقوى وأصح وأجمل من النباتات الناتجة عن طريق التلقيح الذاتي ، وعلى الرغم من وجود الأعضاء الذكرية والأنثوية متجاورة في الزهرة الخنثى، إلا أن التلقيح الذاتي لايحدث ، بل يحدث التلقيح الخلطي ، نتيجة تحورات عديدة تحدث في الأزهار . وكما تختلف الأراشد عن معظم النباتات الأخرى في شكلها ، وطريقة معيشتها ، فهي تختلف أيضا في طريقة تلقيحها ، وذلك نتيجة تحورات في تركيب أزهارها . ففي كثير من أزهار الأراشد تتحور إحدى البتلات إلى شفة ، كما يتحور أسفلها إلى مهماز يتجمع فيه الرحيق ، ويتكون الطلع في

أزهار الأراشد من سداة واحدة أو سداتين فقط ، تلتحم مع القلم في جسم واحد يسمى العمود ، كما تتجمع حبوب اللقاح في متك السداة ، وتلتحم لتكون جسماً واحداً أو جسمين يتميزان بملمسهما الشمعي ، ويسميان « البولينا » ، وعندما تزور الحشرة الزهرة بحثا عن الرحيق تقف على الشفة ، وتمد خرطومها في المهماز ، فيلامس رأسها « البولينا » فتلتصق بها ، وعند زيارة الحشرة لزهرة أخرى تلامس « البولينا » مبسم الزهرة ، وتلتصق به ، وبذلك يتم التلقيح الخلطي .

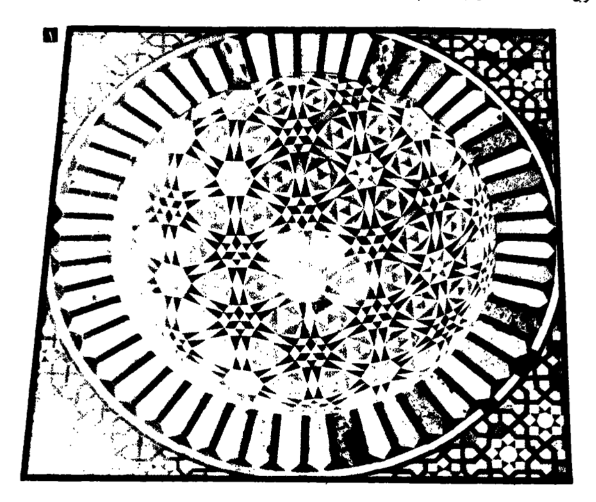
ولكي تجذب الأزهار الحشرات لتلقيحها ، فانها تفرز رحيقاً ، وتتشكل بأشكال مختلفة ، منها ما يشبه أنثى هذه الحشرات ، فتنجذب الحشرات الذكور إلى الأزهار لتتزاوج ، وأثناء ذلك تلتصق كتل حبوب اللقاح (البولينا) بجسمها ، وتنقلها إلى أزهار أخرى . ومن الأزهار ما يتشكل بشكل حشرات معادية ، فتقوم الحشرات بالهجوم عليها ، لكي تفترسها ، وأثناء ذلك يتم التلقيح .

ومن الأشياء التي تجذب بها الأزهار الحشرات لتلقيحها الروائح الذكية التي تصدرها من غدد خاصة بها ، وبعض هذه الروائح يشبه شبها كبيرا الروائح التي تصدرها إناث هذه الحشرات ، ولحلاوة هذه الروائح الذكية حاول تجار العطور البحث عن مكوناتها لتقليدها معمليا ، واستطاعوا التعرف على تركيب ٣٢ منها ، وهي الآن تملأ أسواق العطور في العالم .

فوائد تجنى من الأراشد

ومن بعض الأراشد يُحصل على مادة الفانيليا ، هذه المادة العطرة التي تستعمل لإعطاء المأكولات والمثلجات والحلوى والفطائر والمشروبات الطعم والرائحة الذكية الجميلة ، وتؤخذ الفانيليا من الثمار الناضجة التامة لبعض أزهار الأراشد ، مثل نبات « فانيليا بلانفوليا » ، وهو أرشيد متسلق ، يتوطن الغابات الاستوائية الرطبة . ذو جذور عرضية درنية ، وأوراق كبيرة عصيرية ، وأزهار صفراء مخضرة ، وثماره طويلة رقيقة علبية تشبه القرون ، وتعرف بقرون الفانيلا . والقرون الخضراء لا تحتوي على مادة الفانيليا إلا بعد تسويتها ، ولذلك تجمع القرون عند اكتمال نموها قبل نضجها ، ثم تجرى لها عملية التسوية والتجفيف ، وذلك بتعريضها للشمس في أثناء الصباح ، ثم تغطى بالبطاطين بقية النهار ، وتوضع في المساء في صناديق محكمة ، وفي هذه العملية يتحلل أحد الجلوكو سيدات إلى جلوكوز ومادة الفانيليا ، بينما يتحلل الجلوكوسيد الثانى إلى جلوكوز وكحول الفانيليك الذي يتحلل بالتالي إلى مادة الفانيلين ذات الرائحة المميزة ، والنكهة الخاصة ، فتجف القرون ويسهل ثنيها ، وتصبح ذات رائحة عطرة ، ويتحول لونها إلى بني قاتم ، وتظهر بلورات الفانلين غالبا على سطحها .

وفي بعض البلدان التي تنمو فيها « الأراشد بريًّا » يشرب الأهالي مستحلب الساق المكتنزة والجذور الدرنية ، لاعتقادهم بفائدتها الجنسية ويسمونها السحلب ، وتباع في الأسواق إما على هيئة جذور جافة ، أو على هيئة مسحوق أبيض اللون ، بعد طحنها ، معبأة في أكياس تحفظها من الرطوبة ، وقبل طحنها تغسل الجذور جيدا وتجفف في أفران على درجة حرارة متوسطة . ولا يستعمل السحلب في الأغراض الطبية ، بقدر ما يستعمل كمشروب معد ، ويضاف اليه عادة السكر والحليب والمكسرات ، بالاضافة الى استخدامه لمعالجة كثير من الأمراض كالإسهال ، وبخاصة عند الأطفال ، كما يشرب لوقف النزيف الداخلي ، ولعلاج قرحة المعدة والأمعاء ، وكذلك لعلاج البواسير البولي ونزيف الرحم . وتعد ايران مركز تصدير السحلب ، والسحلب الإيراني أجود الأنواع في العالم . □





بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

يتميز الفن التشكيلي الإسلامي بسمات تكسبه تفردا عن الفنون التشكيلية العالمية من حيث منطلقاته ، وأساليبه ، ومفرداته ، ويكاد الرقش العربي «الأرابسك» أن يكون أكثر نتاجات هذا الفن تعبيرا عنه ، وتجسيدا لفلسفته . فما الرقش العربي ؟ وكيف أفرغ المبدع العربي فيه رؤاه الفنية ؟

تجلت عبقرية الصانع المبدع في الفن الإسلامي المجرد في تزيين أغنى به القطع الاستعمالية المصنوعة من الخزف ، أو الخشب ، أو الزجاج ، أو السجاد .

ولقد بدأ هذا التزيين الذي تجمعت فيه حصائل لاحد لها في متاحف العالم والمقتنيات الخاصة ، بأشكال وطرق تختلف باختلاف المادة التي صنع منها .

ولقد ميزت اللغة العربية بين طرق التزيين ، فكانت التسميات الدقيقة التي تفيد المعنى ، وكما هو شأن اللغة العربية ، ذات التركيب العضوي ، فإن فروق الألفاظ البسيطة تتماشى مع فروق المعاني ، ويبدو ذلك واضحا عندما نميز بين الأسماء ، الرسم والوسم والرشم والوشم والوشي ، وبين الأفعال - رقش - برقش - رقن - نقش - ونمنم ونمق هذه الممارسات الفنية التي برع بها العرب والمسلمون ، ممتدة بين الزخرفة العفوية إلى الرقش الإبداعي .

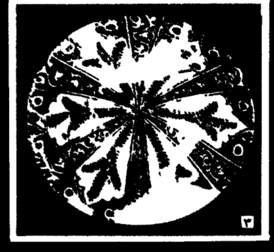
فلسفة الفن العربي الإسلامي :

عند دراسة الفن العربي الإسلامي ، لابد أن ندرك أولا أن هذا الفن قام على أسس فلسفية جمالية مختلفة عن غيرها من الفنون ، وبخاصة الفن العربي الذي قام على الشبه والقياس الشكلي الإنساني .

فالصورة في الفن العربي الإسلامي تبقى مستقلة عن الواقع ، وهي نزوع مستمر للتحرر من الدلالة المحددة ، وسعي نحو التعبير المجرد والمطلق .

ذلك أن هذا الفن يخضع لقوانين روحية ، يحكمها مفهوم الوجود الأزلي (الله) ، ومفهوم فناء الأشياء الحية والجامدة بالوجود الأزلي ، هذا المفهوم الذي نسميه «الوحدانية» ، فالإنسان إذا كان محور القيم والفن في الفكر الكلاسيكي ، فهو في الفكر الإسلامي جزء





١ بركة داخلية من الفسيفساء الحجري افندسي - دمشق .

٢ رقش ملون على خشب بتشكيلات نباتية وحيوانية واقعية .

٣ صحن خزفي عليه رقش نباتي ومجرد بمتحف دمشق الوطني .

مغفل في رحاب الوجود الأزلي ، ولكنه يحمل صورة المطلق .

والفنان في نظرته إلى الأشياء يختلط لديه الجزئي مع الكلي ، لأنه ينظر إليها من خلال (حدسه) وليس من خلال عقله فقط أو حسه فقط . وهكذا فإن الرؤية الفنية هذه ، والخلفية الفكرية الروحية تلك ، حددتا شكل الفن الذي تميز عن غيره من الفنون ، وحمل خصائص ثابتة ، عبر تاريخ العرب والمسلمين ، وفي جميع أرجاء عالمهم .

الأصالة والحرية في الفن :

ولابد من التأكيد على أن هذا الشكل الفني المتميز ليس نتيجة لعجز عن محاكاة الواقع ، فإن كثيرا من الآثار العربية الإسلامية تدل على مقدرة عالية في تصوير الواقع ، ولكن المصور يخشى أن يضاهي الله في مقدرته على التكوين والتصوير ، وقد يكون هذا تنفيذا لإلزام خارجي فرضه الحديث الشريف ، ولكنه أيضا التزام داخلي اتبعه الفنان عبر العصور ، وهو يسير ضمن إطار مفهومه الفني الذي لم يخرج عنه إلا في عصور الانحطاط ، حيث استكان إلى مستوردات الفن والثقافة .

ولقد مارس الفنان المسلم عمله بحرية مطلقة كما يقول «غرابار» ، هذه الحرية المطلقة التي جعلت أي عنصر قابلا للتطور في أي اتجاه .

«وهكذا كانت للفن العربي في بداية الإسلام إمكانية نمو لاحد لها ، وإمكانية تطور كبيرة ، تشهد عليها واجهة قصر المشتى بوضوح ، مما يعطي فكرة عن خاصية مميزة للفن الإسلامي في عهد تكونه ، وهي (الحرية) . فليس هناك بداية وليس هناك نهاية ، وليست هناك حدود أخرى سوى إرادة الفنان» .

والرقش العربي يعبر عن ترابط إنساني اجتماعي ، وكما يقول جاك بيرك . «إن الرقش العربي هو تركيب وتلاق ، ففيه يتلاقى هدف الفنان مع الإدراك الحسي ومع المادة . وهكذا يبدو الرقش العربي مرتبطا بالمجتمع ، معبرا عن ذلك بكنيته العربية» .

لقد كان للأئمة المحدثين موقف واضح من طغيان التأثيرات الفنية الهلينية . فأكدوا على التحريم في نقل الصور الواقعية ، وألحوا على العودة إلى الصفاء والتجريد في التصوير .

الرقش العربي والزخرفة

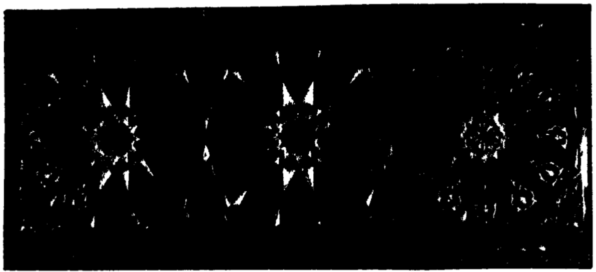
الفن العربي الإسلامي فن مجرد ، يعبر عن المطلق ، ويتجلى بصورة خاصة (بالرقش) الذى يبدو هندسيا ، يعتمد على (الخيط) ، أو نباتيا ويسمى (الرمي) .

وليس الرقش العربي زخرفة كما كان يسمى أحيانا عندما اختلطت الرؤية ولما تتضح الجمالية العربية الإسلامية بعد ، بل هو فن حي إبداعي .

يقول غرابار : «ليس الرقش العربي مجرد زخرفة ، بل كانت له دائما وظيفة رمزية ، ففي جميع أشكال الرقش ، سواء أكان هندسيا أم نباتيا ، فإن هذا الفن يبدو وقد أخضع كليا لمبادىء تجريدية هي في قمة جميع مراتب التعبير الجمالي الإسلامي ، وهذا يعني أننا نقف أمام بنية متحركة وليست ساكنة ، وأمام قالب يولد جملة تكوينات متآلفة» .

ويعتبر الرقش قمة الفن العربي ، ولقد اكتمل بعد أن انتقل عن الزخرفة ، أو تولد من تحوير الكائنات ، أو النبات ، أو من تركيب أشكال هندسية ، ثم وصل إلى التكوين المتآلف مضمونا وتشكيلا وتلوينا .

وتختلف الزخرفة عن الرقش ، فقد بدت أولا محاولة عفوية لتزيين الأشياء الاستعمالية وتزويقها ، فكانت أمام المزين أو المزوق فرص لاحد لها لاستلهام الجمال ، أو لتطوير الأشكال المجردة . وقد بدت الزخرفة مبسطة وبدائية



● زخارف هندسية (خيط) على الخشب الملون ـ دمشق

والزخرفة لاتنتمي إلى أي جمالية محددة ، ولا تعبر عن شخصية فنية متميزة ، فقد تكون مجرد استيحاء من أشكال غير محددة ، أي إنما جاءت عفو الخاطر والخيال ، أو قد تكون نقلا عن زخرفة غريبة .

وتبدو الزخرفة أحيانا زينة للخط العربي ، وهو فن إبداعي متميز وأصيل . وبذلك تستعير هذه الزخرفة من أصالته وتتكئ بشخصيته ، ولكنها لاتبدو إبداعا مستقلا ، نرى ذاك واضحا في كثير من الأعمال الفنية التي حليت بالخط العربي الجميل ، ومثالها زخرفة قسم من مصحف مخطوط ، حيث زخرفت آيات القرآن المكتوبة بالخط الثلث بزخارف توريقية ، وهي أقرب إلى الرقش ، أما خلفية كتابة المصحف فإنها تبقى زخرفة وإن استفادت من أشكال الأوراق فحورتها وبسطتها . وخلفية ألواح القاشاني الإزنيكي (نسبة إلى مدينة أزنيك في تركيا) فهي نباتية واقعية تقريبا .

والخط العربي قد يخرج أحيانا عن أصوله وقواعده ، لكي يصبح زخرفة بحد ذاته ، وهي تحوير طوعي للخط ، حيث تبدو الكتابة المقروءة ، وقد أصبحت رقشا ، وقد نرى الخط وقد أصبح صيغة جديدة ، دون أن تكون الكتابة هي المقصودة بذاتها ونرى ذلك في أمثلة كثيرة ، تبدو على القطع الأثرية المحفوظة في دور الآثار الإسلامية .

الوحدة في الرقش العربي :

الرقش هو الفن العربي الإبداعي الذي يعتمد على خلفية فلسفية وعقائدية ، مما يجعل هذا الفن من خصائص العرب والمسلمين . ولايمكن أن يختلط الرقش العربي مع غيره من صيغ الفن في العالم ، ويكفي أن نلقي نظرة مقارنة على مجموعة من الأعمال الفنية العالمية ، لكي نميز الرقش العربي من بينها ، حاملا صيغة ثابتة ، وموحدة في جميع أشكال الفن غير المشبه مما أنتج في مختلف العصور الإسلامية .

وهو إما أن يكون هندسيا أو نباتيا ، فهو هندسي عندما تبدو الصورة على شكل أشعة ، تصدر عن مركز محدد ، على شكل وميض متناوب . ويسمى هذا الرقش (الخيط) أو تكون مستوحاة من الأزهار والأوراق على شكل صيغ متناسخة مكرورة بصورة أفقية ، ويسمى هذا الرقش (الرمي) أو (النباتي) .

ولهذا الرقش في شكله خلفية روحية ، تقوم على الوجد والمتعالي ، ففي الصورة الهندسية الإشعاعية نرى صورة الكون في نسيج متشابك ، يعطي معنى وحدة الوجود في ذروته

المتمثلة بالخالق (هو الأول والآخر) ، فالخيوط تجري بحركة جابذة ونابذة ، تنطلق من أشكال نجمية أولية ، ذات معان روحانية وفلسفية .

وفي الصورة النباتية تجري الصيغة مكرورة أو متطورة لانهاية لها ولابداية ، فهي تسعى إلى الله في تسبيح مستمر أو في ذكر دائم لاسم الله .

ولهذا فإن الرقش عمل رصين . وعلى الرقاش أن يتجه بكيانه إلى الله .

ويقوم الرقش الهندسي على فكرة سرمدية النسيج الوميضي ، وأن الله سيد الكون هو مصدر هذه السرمدية ، ويتمثل برمز صوفي في شكل نجمة . وقد تكون هذه النجمة سداسية أو ثمانية أو خماسية ، أو من مضاعفات هذه الأشكال .

والنجمة السداسية مؤلفة من مثلثين متساويي الأضلاع ، أحدهما رأسه إلى أعلى والثاني رأسه إلى أسفل ، الأول منهما يرمز إلى الأرض ، والثاني يرمز إلى السماء . وتطابقهما يرمز إلى الكون .

وكثيرا مانشاهد هذه النجمة في الزخرفة العربية الإسلامية، ويعتقد بعضهم أنها يهودية لأنها تسمى نجمة داوود ، وهي شعار «إسرائيل» الحالي ، ولكن الواقع أن هذه النجمة إذا استغلت من قبل«اسرائيل» فهي تعني عند الصهاينة معنى عنصريا ، فالمثلث المتجه إلى أعلى هو الصهيونية، والمثلث الثاني هو الآخرون (غوييم) والسيطرة للمثلث الأول على العالم .

أما النجمة الثمانية فهي مؤلفة من مربعين ، أحدهما يمثل الجهات الجغرافية الأربع، والثاني يمثل العناصر الأساسية الأربعة (الماء والتراب والنار والهواء) ، والنجمة الثمانية من المربعين ترمز أيضا إلى الكون .

أما النجمة الخماسية فهي اندماج المثلثين في النجمة السداسية وتحمل نفس المعنى .

والشكل النجمي يبدأ بتقسيم الدائرة إلى أقسام متساوية ٢٤ ، أو ٤٨ ، أو ٦٤ ، أو ٩٦ قسما ، والنجمة (الخمسيني) ذات ٤٨ رأسا ، تم ابتكارها في فاس (ضريح مولاي إدريس) وفي صناعة الزليج الأندلسية المغربية الرائعة .

ويبدو من هذه الأمثلة ، أن التجريد الأصيل في الفن العربي الإسلامي مختلف عن التجريد المعاصر في شكله كما في مضمونه .

فالتجريد في الرقش هو تعبير عما هو روحاني أو إلهي كما يقول «بريون» . ولكن التجريدية الحديثة إنما ترتبط باللاشيء وليس بالمتعالي الروحاني ولم ينكر الرقش فكرة المطلق ولكنها عنده هي المثل الأعلى (الله) . ولذلك سعى عن طريق الفن إلى إدراك الحق ، شأنه شأن الصوفي الذي كان يسعى عن طريق الاجتهاد إلى الاندماج بالله . □

روح العبادة



قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :
جعل الايمان تطهيرا لكم من الشرك .
وجعلت الصلاة تنزيها لكم عن الكبر .
وجعلت الزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق .
وجعل الصيام تثبيتا للاخلاص .
وجعل الحج تشييدا للدِّين .
وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحة العامة .



تدريب القـرود .. وتربيـة الأطفال !

تدريب القرود وتربية الأطفال !

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

لا يهدف هذا المقال إلى عقد مقارنة بين تدريب القرود وتربية الأطفال ، بل يرمي إلى إرساء منهج إنساني خاص لتربية الأطفال ، يقوم على فهم حقيقة تبدو بديهية ، هي أن الإنسان أرقى شأنا من أن يعامل كما تعامل القرود .

قرأت في إحدى المجلات العربية ، قبل سنوات ، تحقيقا طريفا ، عن رجل يقوم بتدريب القرود ، بطرق فيها من الذكاء ، كما فيها من وحشية البشر ، الشيء الكثير . ولست أدرى إن كانت طرق هذا الرجل خاصة به أو أنها عامة لكل من يدرب قردا ، كما أنني لست أدرى إن كانت ماتزال تطبق حتى الآن أو أنها تغيرت .

كان هذا الرجل يشترى كل مرة قردا وكلبا ، وثمن القرد ، حسب ما ذكره في المجلة ، يعادل أربعة أو خمسة أمثال ثمن الكلب ، فكان يأخذ هذين الحيوانين إلى غرفة ، ويربط كلا منهما في طرف منها ، ويبدأ هو نفسه بالقيام بالأعمال التي يريد أن يعلمها للقرد ، فمثلا يقوم بتقليد مشية الكسلان ، ثم يلتفت نحو الكلب ويشير إليه أن يقلده ، وبما أنه لا توجد لدى الكلب غريزة التقليد ، كما هو معلوم ، فإنه يعجز عن القيام بذلك ، فينهال عليه الرجل ضربا مبرحا بالعصا . ثم يتابع تمثيل الحركات المختلفة التي يريد أن يعلمها للقرد ، ويشير إلى الكلب أن يقلدها . وفي كل مرة يعجز الكلب عن ذلك ، يناله الضرب السخي . وتستمر الحفلة ـ إن جاز هذا التعبير ـ حتى يموت الكلب من شدة الضرب المبرح ، فيحمل جثته ويلقيها خارجا .

عند ذلك يلتفت الرجل إلى القرد الذي كان يشاهد ما يجري منذ البداية ، ويأخذ بالقيام بالحركات المطلوبة ، ثم يشير إلى القرد أن يقوم بها ، ولدى القرد ، بطبيعة الحال ، غريزة قوية للتقليد ، وقد رأى من ضرب الكلب ما رأى ، وما جعله طوع بنان المدرب . فيقوم بالحركات المرادة أحسن قيام ، وبهذه الصورة يتعلم القرد كل ما أراد له مدربه أن يتعلمه ، ودون أن يتلقى ضربة واحدة .

لئن كانت طريقة التعليم هذه تحوي من وحشية البشر ما تحوي ، فإنها ذات فاعلية كبيرة في الوقت نفسه ، لكن ما يؤسف له أنها لا تقتصر على تدريب القرود ، بل تشمل تدريب البشر أنفسهم ، وكلنا يذكر قول عنترة بن شداد كيف أنه إذا أراد أن يرهب جماعة من

الناس ويظهر قوته أمامهم ضرب أضعف رجل فيهم ضربة يهلع لها قلب أشجع الشجعان .

على أننا عندما نتعامل مع الناس عامة ، ومع الأطفال خاصة ، ينبغي أن نبعد عن تفكيرنا عقلية مدرب القرود وعنترة (مع الفرق الكبير بين الاثنين) . وأن نلجأ إلى مبادىء أخلاقية بناءة ، نصل بالاعتماد عليها إلى نتائج تفوق بكثيرما حصل عليه السابقان . فهما إن نجحا فَلَنْ يفوزا بأكثر من قرد يجيد التقليد ، أو أشخاص مذعورين خائفين لا يرجى منهم رأي صحيح أو عمل صالح .

وهنا سوف أذكر بعض الأسس التي ترتكز عليها التربية السليمة للأطفال ، والتي تصلح في الوقت نفسه كمبادىء للمعاملة الحسنة بين البشر ، وهي ليست إلا معالم على طريق التربية القويمة .

الحب :

ليس ثمة عاطفة تفوق الحب في تأثيرها على البشر ، والحب بمعناه الواسع ألوان وأشكال .

فعندما يتلقى الولد من والده نصائح لايسر بها ، أو توصيات صعبة ، أو يعامل معاملة قاسية ، لا يحس بمرارة ذلك ، لأنه يعلم أن تلك الأمور ، مهما قست ، محفوفة بالحب الوالدي الكبير .

والتلميذ عندما يحب معلمه ومعلمته فإن تجاوبه معهما يزداد كثيرا ، بل إنه يتقبل العقاب منهما بصدر رحب ، مما يجعل له جدوى أعظم وفاعلية أكبر .

ويعض النساء ربما ينلن من أزواجهن ضربا شديدا ، ومع ذلك نراهن لا يشكين ، بل لو حاول أحد مساعدتهن والدفاع عنهن لفوجيء بهن يستنكرن ذلك ويقفن إلى جانب أزواجهن . والقول الشائع معروف : « ضرب الحبيب مثل



أكل الزبيب » ، وما ذلك إلا لأن الزوجة تدرك أن ثمة عاطفة قوية ، هي عاطفة الحب ، تجمع بينها وبين زوجها ، مما يجعلها تحتمل في سبيلها كثيرا من الضيم !

أما عندما يطلق الزوج زوجته نراها لا تتقبل منه وقتها أي كلمة صغيرة أو إهانة يسيرة ، لأنها تعلم عند ذلك أن الحب قد ذهب .

من الأمثلة الآنفة نستطيع أن ندرك دور عاطفة الحب في التعامل مع الناس ، وفي تربية الأطفال وتعليمهم ، فبدون هذه العاطفة (بمعناها الواسع) لا يمكن أن تستقيم التربية على أصول صحيحة أبدا .

الاحترام :

كما أن للحب دوره الكبير في التأثير على الناس عامة ، وعلى الأطفال خاصة ، فإن للاحترام دوره أيضا . فكلما قابلنا سوانا من الناس ـ صغيرا أو كبيرا ـ بالاحترام قابلنا بمثله . ومن جهة أخرى فإن الناس يصبرون على أشياء كثيرة في تعامل بعضهم مع بعض ، وما لا يحتمل هو عدم الاحترام .

ذلك أن هذا الأمر يسيء إلى العلاقات البشرية كلها . علما بأن الإحساس بأهمية الاحترام يقصر على الكبار من ذوي الجاه والمال والسلطان ، بل إن الناس الذين يبدون أقل أهمية من غيرهم هم الذين يشعرون بنقص الاحترام أكثر من سواهم ، وتراهم بالتالي أقل تحملا لذلك .

وينبغي أن يشمل احترامنا للناس الأطفال أيضا ، بل إن احترامنا للطفل ، ولذكائه وطاقاته ومشاعره ، يجعله واثقا من نفسه ، ويفجر طاقاته ، ويفتح أمامه مجالات غير محدودة للإبداع ، كما أن احترام ذكائه يوقد ذلك الذكاء أو حسن استخدامه والاستفادة منه على الأقل . ولكم يدهش المهتمون بتربية الطفل وتعليمه ، وهم يراقبون إبداعه وقيامه بأعمال ما كانوا يحسبون أنه قادر على القيام بها . وما كان ليقدر على القيام بها لولا إتاحة المجال واسعا أمامه ، ولولا احترام ذاته وإمكاناته ومشاعره .

الحزم :

والحزم صفة مهمة جدا ، وأساس مكين في التعامل بين البشر من جهة ، وفي تربية الأطفال من جهة أخرى . خاصة عندما يمتزج مع الحب



والاحترام . وما من أحد منا يتعامل مع شخص ما ، ويعلم أنه حازم ، إلا ويشعر بالثقة به والاعتماد عليه ، ويفضل مثل هذا التعامل ـ ولو كان صعبا ـ على التعامل السهل مع شخص زئبقي له مائة وجه ووجه .

ويبدو هذا الأمر أكثر أهمية عند الأطفال الذين يبحثون ـ عادة ـ عن مثل أعلى ، وعن ركن شديد يلجأون إليه ويلتمسون القوة منه .

ومن الحزم أن ينفذ المرء وعده ووعيده ، وكل ما لم ينفذ من ذلك فهو من لغو الكلام ، وما أرخص لغو الكلام ومن يلغو .

الصدق :

والصدق لا يكون في شيء إلا زانه ، وليس الصدق في الكلام حسب ، بل يجب أن يشمل المشاعر الداخلية ، وما تكنه النفس ، وما تظهره الجوارح ، ذلك أن لكل جارحة في الجسم لغتها ، والناس والأطفال خاصة قادرون على أن يفهموا حقيقة المشاعر ، ولغة الجسم ، من حركات الشخص وتصرفاته وتعابير وجهه ، أكثر مما يتأثرون بكلامه ، بل إن الكذب ليرتسم على وجه الكاذب وكأنه يعترف أنه لايقول الصدق .

إن الصدق في تربية الطفل أمر أساس . ومن العبث أن نوجه الطفل وجهة لا نؤمن في صميمنا بها ، لأن ذلك سوف يؤدي إلى ارتباكه واختلاط الأمر عليه . ومن الخطأ أن نكذب أمام الطفل ، حتى لو كانت كذبة بيضاء ، لأن الطفل في هذه الحالة سَيَعُدُّنا كاذبين في كل ما نقول ، لأن الصدق كل لا يتجزأ .

التفهم :

إن تفهم مشاعر الآخرين ووجهة نظرهم تقوي تأثيرنا عليهم ، وتجعلهم أكثر تعاونا معنا . ولا شك أن لكل قول أو عمل يقوم به الإنسان أسبابا ، لا يمكن لنا أن نقدرها حق قدرها إلا بمعرفتنا بها . إننا عندما نتفهم سوانا نظهر مقدرتنا على الفهم ، وعلى حسن التعامل مع الناس الكبار منهم والأطفال .

المدح :

وهنا لا بد من أن نذكر أنه لا يوجد إنسان لديه مناعة ضد المدح . إلا من عصم ربك وحتى عندما يعلم بعض علم اليقين أن المدح كاذب يسر به ويتقبله ويثيب عليه ، ويشعر بالمودة تجاه قائله .

وفي أدبنا العربي ترى كثيراً من المدح ، شعرا ونثرا ، لممدوحين يعرفون حق المعرفة أن المدح كاذب ومبالغ فيه ، وغير حقيقي ، ومع ذلك تراهم يحتفلون به كل احتفال ، ويجازون عليه أكبر الجزاء .

على أن المدح الذي أقصده ليكون وسيلة فعالة في تربية الأطفال والمعاملة بين الناس ، يجب أن يتصف بصفات خاصة ، إذ ينبغي أن يكون واقعيا ، ويقدم في الوقت المناسب ، بعد أن يكون الطفل قد قام بعمل يستحق المدح ، ونريد أن نثبته عليه . أما المدح الدائم لكل حركة يقوم بها الطفل ، ولكل عمل يعمله ، فيؤدى إلى عكس النتائج المتوخاة منه ، بل ويثبت الصفات السيئة التي لا نريدها ، ويعيق تعلم الطفل بصورة سوية جيدة .

فالمدح سلاح ذو حدين ، ينبغي أن نتعلم كيف نجيد استعماله .

إن ماسبق أن ذكرته يلقي شيئا من الضوء على بعض الأسس التي ينبغي أن تتبع في تربية الأطفال . وهي كما رأيتم بعيدة كل البعد عن طرق مدرب القرود . فنحن أولا وأخيرا نتعامل مع البشر ، ويجب أن يكون تعاملنا معهم على هذا الأساس . □



بقلم : الدكتورة هدى طحلاوي

يعد الصداع من أكثر الأمراض انتشارا بين الناس ، فهل هو من الناحية العلمية مرض قائم بذاته ، أو هو عرض لمرض أو عدة أمراض ، يدل عليها وينبيء بقدومها ؟

بعض الحكماء يقولون : إن الألم نعمة وهبت للإنسان ، وأن له فائدتين : أولاهما أنه يطهر النفس ، وأخراهما أنه يشير للمرض ، ويدل عليه . بينما يقول الفلاسفة عكس ذلك تماما ، أي أنه لا يوجد في الدنيا ما يسيء إلى النفس والروح مثل الألم ، ولذا كان الواجب الأول على الطبيب هو تسكين الألم .

عرض مشترك

وكلمة الصداع تعني كل ألم في الرأس ، وهو طبيّاً عرض مشترك لأجهزة مختلفة . والأنسجة المؤلمة في الرأس محددة ، يمكن تعدادها كالتالي :

١ ـ جدار الأوعية الدموية ، وبخاصة الكبيرة منها .

٢ ـ سحايا القاعدة .

٣ ـ الأعصاب الناقلة للألم تكون مؤلمة بحد ذاتها أحيانا ، كعصب مثلث التوائم ، والعصب البلعومي ، واللساني ، والأعصاب الرقبية العلوية .

أما إذا أردنا أن نحصر أسباب الصداع الكثيرة فيمكن إيجازها وترتيبها على النحو التالي :

١ ـ الصداع النفسي

المنشأ : يشكل أكثر أنواع الصداع في العالم . وغالبا ما يكون فيه ألم الرأس في جهة القفا ، وفي الصباح أكثر منه في المساء ، وقد يصاحبه أرق ليلي ، وميل للكآبة ، وتذمر من العمل ، وقد يكون السبب النفسي واضحا للشخص ، كأن يبدأ الصداع إثر حادث أليم ، أو تعرض لمشكلة عارضة ، أو يكون غير واضح تماما ، وهذا يحتاج إلى استقصاءات عديدة لنفيه أو ثبوته .

٢ ـ الصداع السني المنشأ ، ويحدث بوجود ألم في الأسنان النخرة أو المنطبقة انطباقاً سيئاً .

٣ ـ الصداع العيني : يحدث بعد جهد عيني ، أو بسبب أمراض العين ، مثل مشكلات الانكسار التي تحدث اضطراباً في الرؤية للبعد أو للقرب وعلاجها بالنظارات المصححة .

وهناك الصداع الذي يحدث في مرض الزرق ، وهو ناجم عن ازدياد توتر العين ، ومن العلامات التي تشير إلى هذا المرض احمرار العين ، واتساع الحدقة ، وهو يتطلب علاجا فعالا وسريعا لحماية البصر .

٤ ـ الصداع العضلي : ويسمى صداع الشدة أو التعب، وينشأ عن تشنج العضلات الرأسية أو عضلات الرقبة ، وتشنج العضلات الرأسية يحدث عند الشخص النظامي غالبا الذي يشغل نفسه كثيرا بترتيب أموره إلى أبعد حد ، وينزعج لحدوث أي خلل في نظامه ، ولا يسامح فيه أبدا .

أما عضلات الرقبة فتتشنج لوجود آفات في عظام العمود الرقبي ومفاصله .

٥ ـ الصداع الأذني المنشأ : ويحدثه وجود دمل في الأذن الخارجية أو التهاب في الأذن الوسطى أو الخشاء .

٦ ـ الصداع الوعائي : يحدث في جميع الأمراض التي تؤدي إلى ارتفاع الحرارة ، لأن ارتفاع حرارة الجسم توسع شعب الشريان السباتي الباطن وجدار الأوعية من الأنسجة المؤلمة في الرأس كما ذكرنا .

الشقيقة

ويحدث هذا الصداع أيضا بوجود أمهات دم في الدماغ .



وهنـاك الصـداع الـوعـائي بـالخـاصـة ، والمـعـروف بالشقيقة ، وهذا من صفاته أنه نابض مزدوج أو شقي ، يأتي بنـوبات ، ويترافق غالبـا مع أعراض وعائية أخرى .

٧ ـ الصداع العصبي : وهو أخطر أنواع الصـداع ، وسببه إما وجود كتلة في الدماغ ، أو حدوث التهاب في السحـايا أو الدماغ ، وهذا النوع يترافق مع أعراض أخرى عصبية منبهة ، كـالـقـيء ، واضـطرابـات الـرؤيـة ، والـشـلول واضطرابات التوازن وخدر في الحس .

وهو حتما يتطلب الإسراع بمـراجعـة الـطبيب للبـدء في المعالجة المبكرة التي تعطي نتيجة أفضل قدر المستطاع . وهناك ألم عصب مثلث التـوائم في الوجه الـذي يعبر عنه المرض أحيانا بأنه صداع ، ولكن من صفـات هـذا الألم أنـه بـرقي لامع ، يصفه المريض بأنـه ألم يلمع كالبرق أو الكهرباء .

٨ ـ الصداع التالي للرض على الرأس إما لتشكل شبـذ عـظمي مكـان الـرض ، أو لوجود كسب مادي من ورائه ، يدعيه الشخص للتعـويض له عن الحادث في العمل وغيره .

٩ ـ الصداع الغدي المنشأ : يحدث بوجـود اضطرابـات في الغـدة الـدرقيـة أو الغـدة النخامية . ومن الجدير بالذكر أن الأطفال نادرا مـا يصابـون بالصداع المزمن ، وإذا أصيبوا به فغالبا ما يكون ذلك إحدى الحالتين التاليتين :

أ ـ شقيقة ، وتكون وراثية غالبا .

ب ـ مـرض عـصـبـي ، كحدوث التهاب سحـايا ، أو تشكل ورم دماغي .

مراجعة الطبيب

وأخيـرا فإنـه على كـل من يصاب بالصداع أن يكون على



علم بهذه الأسباب ، فإذا كان السببُ واضحاً لديه ، كأن يبدأ الصداع بعد الإصابة بمرض معين ، عليه مراجعة طبيبه المختص بهذا المرض .

أما إذا احتار بمعرفة السبب ، فما عليه إلا مراجعة طبيب العائلة الخاص الذي يكشف سبب صداعه ويعالجه ، أو يحيله إلى الاختصاصي المناسب ، علما بأن هناك بعض الحالات التي تتطلب استشارة عدة اختصاصيين، إما لوجود أكثر من سبب ، أو لعدم وجود سبب واضح معلل ، وهنا إذا نفيت الأسباب العضوية كلها يكون السبب بالتأكيد نفسيا ، وهذا السبب قد يكون كامنا لا يعيره الشخص اهتماما

وبما أن نسبة وجود العامل النفسي في الصداع كبيرة جدا أتقدم بالنصح إلى هؤلاء الأشخاص بأن يروضوا أنفسهم على الابتعاد عن الضجيج وزحمة الحياة المدنية المعاصرة ، شاغلين أنفسهم بهوايات جميلة ، وبأعمال مفيدة ، ولا يدعون الظروف والأحداث تتحكم بحياتهم ، بل عليهم أن يكونوا أسرع تكيفاً مع حوادث الحياة ، وأكثر إرضاء لأنفسهم بمنحها الرضا والقناعة من جهة ، والانفتاح والوثوب إلى كل ما هو جميل بالحياة من جهة أخرى ، وما عليهم إلا تأدية واجباتهم على قدر استطاعتهم ، وهنا لا بد أن ينالوا الراحة والطمأنينة النفسية الكافية . □

هو .. هي

مَن يحبُّهم أكثر ؟

لا أدري كيف جاءتني فكرة أن الأب هو في العادة أكثر حبا لأبنائه من الأم . وعندما حاولت مناقشتها مع نفسي قلت : إن السبب في ذلك قد يعود إلى أن بعد الرجل عن أبنائه ، بسبب ظروف العمل ، وبالمقابل التصاق الأم بأبنائها ، هو الذي يغذي حب الأب البعيد عن أبنائه ، بينما يجعل الأم القريبة منهم ، الملتصقة بهم ، أقل حبا لهم .

ولا أعرف إن كانت هذه الفكرة صحيحة أو خاطئة ، إلا أنها راودتني بشدة مؤخرا ، عندما تقدم لخطبة ابنتنا شاب ، لانعرف عنه سوى أنه شقيق إحدى زميلاتها في العمل . وقد سارعت زوجتي بالموافقة كما فعلت مع الخاطبين الأربعة الذين سبق أن تقدموا لخطبتها . وكانت وجهة نظرها تتخلص في أن ابنتنا قد أكملت الدراسة الجامعية ، وأنها وجدت العمل المناسب ، وأنه لم يبق أمامها سوى الزواج . وحين قلت لها : إن الزواج ضروري ، لكنه يجب ألا يكون بأي ثمن ، أجابت : بأن الوقت يمر ، وأعربت عن خشيتها من أن يأتي يوم تجد ابنتنا نفسها فيه عانسا . وحين قلت : إن ابنتنا قد سلمت أمرها لنا ، وأن من حقها علينا أن نجد لها الزوج المناسب ، حتى لا تقضي بقية حياتها الزوجية تعاني من قرار متسرع اتخذناه نحن نيابة عنها ، وليست هي ، أجابت بأن الحياة الزوجية لاتخلو من المشاكل ، وأن المشاكل جزء من الحياة ، لابد أن نتعامل معه .

عند هذا الحد انتهى النقاش بالطبع . وقد أنهيته أنا ، لأنني لم أتصور أبداً أن تعيش ابنتي الصغيرة التي كانت محط رعايتي وحبي حياة تعسة ، مع زوج لا تعرفه .

وبعد ذلك قالت لي زوجتي : إن حبي لابنتي قد يصبح في فترة ما ، عقبة في سبيل سعادتها ، واستشهدت بالقول المأثور : « ومن الحب ما قتل » .

لم أجب ، بل ازددت اقتناعا بفكرتي التي مفادها أن الآباء يحبون أبناءهم أكثر .



.. هو

ومن الحب ما قتل

■ كثيرا ما سمعت أصدقاء ومعارف لي يستخدمون التعبير الشائع « ومن الحب ما قتل » ، لكنني لم أحاول أن أتصور كيف يكون الحب شديدا إلى درجة القتل ، وبالطبع فإنني لا أقصد القتل بمعناه الحرفي ، بل بمعناه المجازي . ولكي أدخل إلى قلب الموضوع فإنني أريد أن أقول : إنني في خريف العمر ، وهي كلمة لاتخيفني على أي حال ، وان لي أكثر من ابن وابنة ، وان حب الأبناء هو ما أعنيه هنا ، فحب الأبناء هو الذي يقتل حقيقة ، إلا أن من أخشى عليه أن يقتلهم حبا هو زوجي ، والدهم ، وليس أنا . فأعتقد أنني أكثر معرفة بأبنائي من والدهم ، لأنني أكثر قربا منهم ، وأكثر انغماسا بمشاكلهم ومعرفة بهمومهم .

ومؤخرا تقدم لخطبة ابنتنا الكبرى شاب ، هو شقيق إحدى زميلاتها في العمل . وكانت تلك هي المرة الخامسة التي يتقدم فيها شاب لخطبتها .

ولأن ابنتنا لم تتعرف على الشاب شخصيا ، ولأنها ترغب في الزواج الآن ، بعد أن أنهت دراستها الجامعية ، ودخلت معترك الحياة من خلال العمل ، فقد أحالت الأمر إلينا قائلة : إنها تقبل بما نقرره .

وكان رأيي أن الشاب مناسب ، فهو موظف ، بسيط ، وعلى درجة من الثقافة ليست كبيرة ، إلا أنها كافية باعتقادي . وصحيح أننا لانعرف عنه الكثير إلا من خلال شقيقته ، إلا أنه بدا لي زوجا مقبولا بالنسبة لابنتنا .

لكن المفاجأة كانت في أن زوجي رفض بشدة ، وقال : إن ابنتنا تستحق شخصا أفضل منه ، وأنه لايمكنه أن يزوج ابنته التي يحبها من شخص لايعرفه هو جيدا ، وغير متأكد من طباعه .

وعندما قلت له : إن هذا خامس خاطب يتقدم لابنتنا ، وإنني أخشى أن تجد ابنتنا نفسها عانسا ، قال : إن هذا أفضل من حياة زوجية مع زوج سيء .

وعندما قلت له : إن أحداً لايعرف إن كان الشاب سيئا . أجاب : وأن أحداً لايعرف أنه جيد . وعندما قلت له : إن هذا مستقبل ابنتنا ، وأنها وضعت الأمر بين أيدينا ، قال : إنه لهذا على الأخص لايريد أن يزوجها لأي كان ، فهي أمانة في عنقه ، وأن حبه لها وحرصه عليها هما اللذان يجعلانه متشددا إلى هذا الحد . ألستم معي في أن مثل هذا الحب هو المقصود بالتعبير الشهير؟ □



هي..



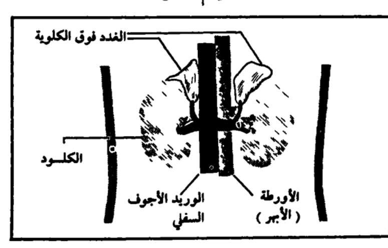
الرياضة وحكاية العقاقير

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

تتواتر القصص والحكايات في كل دورة من دورات الرياضة ، عن أبطال عمدوا إلى عقاقير ، تعينهم على فوز لاحق لهم فيه ، بعد أن أطاحوا بمبدأ تكافؤ الفرص الذي تقوم عليه الأخلاق الرياضية . وقد يضيق المقام عن سرد هذه القصص التي تواترت في دورتي ميونيخ وسيئول الأولمبية ، وأشهرها قصة العَدَّاء الكندي بن جونسون ، بطل سباق الجري الذي سحب منه اللقب ، بعد اكتشاف تعاطيه عقاقير منشطة ، ومنعه من المشاركة الدولية .

ولكن قصة الصبي السباح ، ريك دي مونت الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره تستحق الذكر ، فقد اشترك هذا الصبي في دورة ميونيخ الأولمبية منذ سنين ، وفاز بالميدالية الذهبية برياضة السباحة ، غير أنهم في اللحظات الأخيرة سحبوا منه الجائزة التي فاز بها ، لأن تهمة تعاطي عقاقير منشطة قد ألصقت بهذا الصبي المسكين . لكن الأمر المثير المحزن في القضية ، لمن عرف الحقيقة ، هو أن الصبي كان يعاني من مرض الربو ، ولم يكن العقار الذي تناوله سوى عقار لعلاج الربو الذي داهمته نوبته في أثناء الألعاب الأولمبية .

من هنا ثار الجدل حول ما يسمح به من عقاقير وما يمنع ، ولعل هذا الجدل ما زال قائما



● الغدد فوق الكلوية تفرز قشرتها هرمون الكورتيزون مما يستعمله البعض لأنه يكبح الجوع والتعب والارهاق .

بين الأوساط الطبية حتى يومنا هذا ، غير أن هناك شبه اتفاق على ثلاثة أشكال من هذه العقاقير ، لا مهرب لأحد يستعملها من اتهام وشبهة .

هذه العقاقير هي :

أولا : العقاقير المنشطة .

ثانيا : العقاقير المسكنة .

ثالثا : العقاقير البناءة .

العقاقير المنشطة :

هي عقاقير إذا ما تعاطاها الإنسان بددت عنه شعوره بالتعب ، وأطالت لديه مدة الجلد ، وشحنته باليقظة والانتباه ، لكن ذلك في فترة محدودة ، وهذه العقاقير تصنف على الوجه التالي :

أ ـ المنشطات : وهي عقاقير يتركز تأثيرها على المخ ، وبقية الجهاز العصبي . ولعل أهم أشكالها ما يعرف في الطب باسم « الامفيتامينات » ، وهذه أنواع عديدة ، قد يبلغ عددها خمسين ، أشهرها تلك الأقراص التي يتعمد بعضهم استعمالها لإنقاص الوزن ، بكبح الشهية ، غير أنه قد ثبت لأهل الشأن في الطب والأقرباذين (علم العقاقير) أنها مواد ذات خطورة ، من خلال إدمان صاحبها عليها ، شأنها في هذا شأن المخدرات . لهذا لا غرابة إذا اتجهت الأوساط الطبية إلى حظر استعمالها .



● الرياضة تعتمد على العضلات والمفاصل والدورة الدموية ، وأساس الفوز في المباريات الرياضية هو ـ القوة ـ الجلد ـ سرعة الاستجابة العصبية

ب ـ المنعشات : عقاقير قد وجد الأطباء فيها تأثيرا على نشاط القلب والرئتين ، لهذا استعملوها ردحا من الزمان في علاج الهبوط والصدمات العصبية ووهن القلب أو انحطاط عملية التنفس ، وإذا كان لنا أن نذكر بعض أسمائها فلن نجد أشهر من الكورامين والافدرين ، كما لا ننسى الكافيين الذي تتميز به القهوة والشاي والمشروبات الغازية والشيكولاتة .

العقاقير المسكنة :

من المألوف أن تتوتر أعصاب المتسابقين والمتنافسين في عالم الرياضة ، غير أن هذا التوتر الذي يصاحب مشاعر القلق التي تجتاحهم في أثناء المباريات قد لا تتوافق وطبيعة بعض أشكال الرياضة التي

تتطلب الهدوء والاسترخاء ، كما هو الحال مع مسابقات الرماية وإصابة الهدف مثلا ، فصاحب السهم والقوس ، الذي يطلق الرصاصة من مسدس أو بندقية ، بحاجة إلى هدوء واتزان يودي بهما القلق والتوتر ، لهذا يعمد بعضهم إلى المسكنات والمهدئات ، مما عرفت في الطب « بالديازيبام » ، واسمه التجاري « الفاليوم » لا بل ربما ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا ، إذ يعمدون إلى تعاطي المخدرات كالأفيون والهيروين والحشيش وأقراص الهلوسة ، وهذا أمر لا يحتاج منا إلى جدل عن خطورته .

العقاقير البناءة :

تتولى جسم الإنسان عمليتان رئيستان متناقضتان ، هما عملية الهدم وعملية البناء ويعرف ذلك في لغة الطب باسم « الأيض » .

ولا شك أن تضخم العضلات يعود إلى غلبة البناء على الهدم ، ومن هنا قد يلجأ بعضهم إلى عقاقير تعين على الإخلال بميزان الهدم والبناء ، لصالح البناء ، وهذا ما توهموا أن العقاقير تؤدي إليه . وأهمها الستيرويدات والكورتيزونات التي تزرع عند صاحبها شعوراً بالنشوة والاعتداد الوهمي بالذات .



والستيرويدات هذه هي عقاقير قريبة الشبه بالكوليسترول ، تدخل أساسا في تركيب الهرمونات الجنسية ، كما تنتمي إليها مجموعة الكورتيزون الذي هو هرمون من إفراز قشرة الغدة فوق الكلوية المعروفة باسم الكظر . لكن أخطار هذه العقاقير واثارها الجانبية دفعت بجمهور الأطباء إلى حظر استعمالها إلا بمشورة طبية معتمدة ، تؤكد حاجة المريض وضرورتها له ، حيث إن احتباس الأملاح في الجسم وهبوط القلب والإصابة بالاستسقاء والتورم ، وربما الإصابة بمرض السكر ووهن العضلات ، ما هي إلا مضاعفات تتربص بكل من يسيء استعمال هذه العقاقير ، دون رقابة طبية دقيقة .

لن يفوتنا أن نشير إلى لجوء بعضهم إلى عمليات نقل الدم الذاتي ، بمعنى أن يؤخذ دم الرياضي ليحقن به هو نفسه بعد حين ، بحجة دعم عمليات التنفس الداخلي من خلال زيادة رصيده من كرات الدم الحمراء .

ولن يفوتنا أيضا ذكر تعاطي الأقراص المضادة للحساسية ، توهما من بعضهم أنها فاتحة للشهيه ، منشطة لنمو العضلات ، وهو وهم لا يعتمد على أساس علمي صحيح ، بل ربما أدى إلى عكس ما يطلب صاحبه ويتطلع إليه . □

تعويض

جلست الفتاة تعزف على البيانو لكي تشنف أسماع الضيف ببعض الألحان بينما التفتت الأم إليه قائلة في زهو واعتزاز :

لقد تكبدنا النفقات الطائلة في سبيل تعليم ابنتنا الموسيقا ! فالتفت إليها الضيف وقال متصنعاً الدهشة :

نفقات طائلة ؟ ! ولكن لماذا ؟ هل رفع عليكم الجيران قضايا تعويض ؟ !



رحيل

لم تتمالك السيدة العجوز نفسها ، فاستسلمت لبكاء صامت ، زاد مشهد الوداع حزناً .

كان ولدها الأصغر هو الذي يغادرها هذه المرة ، وعلى الرغم من أنه لم يتركها وحيدة تماما ، إذ كانت تعيش عند أحد أولادها العديدين ، فقد خرجت عن تماسكها الذي عرف عنها ، وفارقتها رباطة جأشها التي لم تتخل عنها يوما ، وأسلمت نفسها للبكاء الذي تخلله بعض النشيج .

ومع أنني لست ماهرا في قراءة الوجوه ، إلا أنني أدركت مدى الحزن ومبلغ الألم اللذين أصابا السيدة العجوز . فقبل وداع الابن الأصغر كانت قد ودعت عددا من أولادها الذين ضاقت بهم الأرض ، فاندفعوا يسعون إلى رزقهم في أرض الله الكبيرة . بعضهم ذهب وعاد ليستقر بالقرب منها . وبعضهم مضى وعاد ليمضي من جديد في رحلات عبثية تشي بفشل في الغربة لايوازيه غير فشل في البقاء . وبعضهم مضى ولم يعد . ذهب ولم يرجع لرؤية من تركهم ، فبقوا ينتظرون دون جدوى . وداوم الأبناء على الرحيل والعودة ثم الرحيل ، وبقيت هي كجذع زيتونة لايبارح .

وقبل هذا الوداع كان عليها أن تودع زوجها الوداع الأخير ، بعد رحيل ، ثم عودة ، ثم رحيل ، حتى كان الرحيل الأخير والوداع الأخير .

وخلال ذلك كله كانت الأم متماسكة لا تريم . تودع وتستقبل لتودع من جديد ، وهي ثابتة متماسكة مستسلمة لقانون الحياة الذي لايتوقف ليستمع إلى بكاء المحزونين .

واليوم يأتي رحيل الابن الأصغر ، الابن الذي ظل والجميع يذهبون ويعودون . بقي جزءا منها وجزءا منهم ، يذكرها بهم ، ويرمز لبقائهم ، ويعزيها عن وجودهم في البلاد البعيدة .

هو المغادر الآن . فمن يبقى ؟ ومع أنني لست ماهرا في قراءة الأفكار . فلا بد أن تلك الأم العظيمة قد استعرضت في ذاكرتها المملوءة أسى ولوعة كل حالات الرحيل والفراق والبعد ، وكل حالات الاستقبال التي يعقبها رحيل ، والرحيل الذي ليس بعده عودة ، وهذه المرة فقط لم يكن أمامها غير الاستسلام لبكاء صامت تخلله بعض النشيج .□

صلاح حزين

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

□ صفحة لغة

«بَعْضُ» وَبَعضُ أخوَاتها

لم تمر كلمة « بعض » مروراً هيناً سهلاً في معاجم اللغة وكتب النحو ، فقد تعددت دلالتها ، واختلف القوم في استعمالاتها . ورد في لسان العرب من معانيها : بعض الشيء : طائفة منه والجمع أبعاض . قال ابن سيده : حكاه ابن جني فلا أدري أهو تَسمُّحٌ أم هو شيء رواه . وقد اختلفوا في دخول الألف واللام عليها . قال الزجاجي : إننا نستعمل الكل والبعض استعمالاً مجازياً ، وهو في الحقيقة غير جائز ، فأنت إذا أضفت إليها الألف واللام فقد قطعتها عن الإضافة ، وهو ما لا يجوز ، لأن هذا الاسم لا ينفصل من الإضافة . وقال أبو حاتم : قلت للأصمعي : رأيت في كتاب ابن المقفع : العلم كثيرٌ ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل ، فأنكره أشد الإنكار ، وقال : الألف واللام لا يدخلان في بعض وكل ، لأنهما معرفة بغير ألف ولام . على أن الأزهري يقف موقفاً يخالف فيه الأصمعي حيث يقول : النحويون أجازوا الألف واللام في بعض وكل ، وان أباه الأصمعي

ومن المحدثين من يقر دخول الألف واللام في « بعض » ، ويأتي لذلك بتعليل جائز . يقول الدكتور مصطفى جواد : إن (أل) الداخلة على (بعض) إنما هي للعوض ، أي العوض عن المضاف إليه . تقول : أصل الكتاب ، ثم تقول : (الأصل) . وتقول مذهب أبي حنيفة ، ثم (المذهب) ، و (كتاب الله) ، ثم (الكتاب) . وقوة هذه القاعدة تحملت تعويضا غريبا ، فقد قالوا (الفخر) لفخر الدين الرازي . و (السيف) لسيف الدين الآمدي . فالألف واللام في (البعض) عوض عن الضمير في الغالب ، وقد جاء في كلام الجاحظ قوله : « ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الأسماء » .

وجاء في كلام الثعالبي : « وهذا معنى قد اخترعه المتنبي وكرره في تفضيل البعض على الكل فأحسن غاية الإحسان ».ويضيف الدكتور مصطفى جواد : إن الباحث لايظفر ببعض معرَّفة بالألف واللام في كلام قديم جدا . ويعزز مذهبه في جواز دخول الألف واللام بقول الجوهري في الصحاح : « وكل وبعض معرفتان ولم يجيء عن العرب بالألف واللام وهو جائز ، لأن فيهما معنى الإضافة أضفت أو لم تضف » . وهذا القول يتفق نصاً مع ما صرح به أبو علي الفارسي من أن كلا وبعضاً معرفتان لأنهما في نية الإضافة .

ويأتي خلاف آخر حول دلالتها على العدد ، فمن قائل بأن بعضا تعني الكل ، إلى قائل بأن بعضاً تعني ما دون النصف . فالذي يذهب المذهب الأول يعزز حجته بقول لبيد : « أو يَعتَلِقْ بعَضَ النُّفوسِ حِمامُها » .

فقد فسر بعض في قول لبيد بأنه الكل . واعترض على ذلك المعترضون ، منهم ابن سيده الذي قال : « ليس هذا عندي على ما ذهب إليه أهل اللغة ، من أن البعض في معنى الكل ، هذا نقض ، ولا دليل في هذا البيت ، لأنه إنما عنى ببعض النفوس نفسه » . ومنهم أبو العباس أحمد بن يحيى الذي قال : « أجمع أهل النحو على أن البعض شيء من أشياء أو شيء من شيء إلا هشاما ، فادعى وأخطأ أن البعض ههنا (في قول لبيد) جمع ، ولم يكن هذا من عمله ، وإنما أراد لبيد ببعض النفوس نفسه » .

فالثابت إذن أن « بعض » تعني جزءاً من كل . يقول الدكتور مصطفى جواد : إن الذي ثبت عندي من معنى « بعض » المضافة إلى المعرفة ، غير المكررة ، أن المراد بها واحد أو واحدة ، من جماعة المضاف إليه وعلى حسابه في التذكير والتأنيث ، وأن إرادة أكثر من ذلك بها خارجة عن حيز الفصاحة مخالفة لاستعمال فصحاء العرب فضلا عن القرآن الكريم .

ويعزز الدكتور مصطفى جواد مذهبه بعدد من الأمثلة ، منها : قول الله عز وجل : « وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم ما كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ » ، فقوله تعالى : « فقرآه » دل على أن المراد ببعضهم واحد منهم ، ولذلك أعاد الضمير إليه مفردا مذكرا ، ولم يقل « فقرآه » ولا « فقرؤوه » . وقوله تعالى : « وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِين » . أراد يلتقطه رجال القافلة ، وقد أيد ذلك قوله تعالى : « وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ » ، فالذي عثر عليه واحد ، وهو الذي التقطه بعد العثور عليه .

ومن أمثلة الشعر قول بشار بن براد :

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقةٌ
والأذن تعشق قبل العين أحيانا

أراد ببعض الحي إحدى نسائه ، والمبدأ وراء كل ذلك أن بعضاً إذا لم تكرر دلت على واحده أو واحده في الكلام الفصيح ، أما البعض المضافة المكررة فهي تعني الجماعة وقد استفادتها من التكرار والاسم أو الفعل لها ، على أن السماع هو الأصل في ذلك . قال تعالى : « طَوَّافُونَ عليكم بعضكم على بعض » ، و « ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ » ، و « رَبَّنَا استمتع بعضنا ببعض » ، و « فَأَقْبَلَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ » .

و « البعض » في هذه الجماعات وإن كان أصل وضعه للواحد والواحدة فهو يعني كل فرد من أفرادها ، فإبهامه بالتعيين هيأ له الشمول بالمعنى لا باللفظ .

وبعض مذكر في كل الوجوه ، وقد يصل بها بعص العرب كما قال الليث . وهم حينئذ يشبهونها بما ، من ذلك قول الله تعالى : « وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الذِي يَعِدُكُمْ » يريد يصبكم الذي يعدكم .

وقد تأتي « بَعَّض » فعلا بمعنى فرّق ، فتقول بَعَّض الشيء كله تبعيضا فتَبَعَّض أي فرقه فتَفَرَّق ، وينبغي التفريق بين « البعض » وهي مصدر الفعل بَعَّض ، وبين بعض التي أضيف إليها الألف واللام . □

بخيل

وقف سائل بباب بخيل يطلب احسانا ، فقال له البخيل : السيدات لسن في المنزل . . يرزقك الله .

فردَّ السائل : إنني أسألك رغيفا لا عروسا !!!



جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الأدباء

بشار بن برد يمدح ويفتخر

هو بشار بن برد بن بهمن أو ابن يرجوخ ، يضرب نسبه بعيدا في فارس ، وفي شجرة ذلك النسب عدد من ملوك الفرس الذين يكثر في شعره مدحهم والفخر بهم . كان أبوه برد بن بهمن أو ابن يرجوخ هو أول من أسلم من أفراد أسرته ، وكان بشار من الموالي بلا خلاف . وقد نقل أبو الفرج الأصبهاني عن حميد بن سعيد قوله : كان بشار من شَعب أدريرس بن يستاسب الملك بن يهراسب الملك ، وهو من خراسان ، وكثيرا ما ذكر ذلك في شعره .

« من خراسان وبيتي في الذرى
ولدى المسعاة فرعي قد سبق »

كان بشار مولى لبني عقيل بن كعب من بني عامر . وقع أبوه برد في الفيء في سبي المهلب من أعجام ما وراء النهر في حدود سنة ٨٠ للهجرة ، وأصله من طخرستان ، فصار عبداً لخَيْرَة القشيرية ، زوج المهلب بن أبي صفرة ، ثم وهبته مولاته خَيْرَة لامرأة من بني عقيل ، وقد وُلد له بشار ، وهو عند العقيلية ، فلما مات الأب أعتقت العقيلية بشارا . يقول في بني عقيل :

إنني من بني عقيل بن كعب
موضع السيف من طلى الأعناق

وربما انتسب بشار إلى قيس عيلان ، وقد افتخر بهم وبمواقعهم ، وأدخل نفسه فيهم في القصيدة التي اخترنا مقتطفات من أبياتها . كان بشار يُكنى أبا معاذ ، وكانت أمه رومية . ويبدو أنه ولد أعمى ، ثم أصيب بالجدري ، فجمع من قبح الصورة ما جعل منه مضربا للمثال ، أضف إلى ذلك من صفاته الشخصية سوء الخلق ، وبذاءة اللسان وسرعة الغضب ، والجهر بالمعاصي ، وغير ذلك من صفات لا تحمد . على أنه كان شاعرا من كبار الشعراء ، وهذا هو الذي أبقى على ذكره . ومما يذكر له فضلا عن شاعريته الفذة : سرعة البديهة والذكاء . كان يجلس يوما عند الخليفة المهدي ومعه أبو دلامة ، فافتخر بشار بحب النساء له ، فرده أبو دلامة قائلا : لَوَجْهُكَ أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك ، فقال بشار : كلا ! والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منك !

ومن مُلَحِه أنه مدح المهدي بقصيدة ، فلم يجزه ، فقيل له : حرمك أمير المؤمنين ، فقال : والله لقد مدحته بشعر لو مُدِح به الدهر ما خشي صرفه على أحد ، ولكنني كذبت في العمل ، فكُذِبْتُ في الأمل !

ولا يذكر بشار إلا وتذكر الزندقة ، فقد انتشرت في زمانه ، وعظم خطرها ، وقد قتل على الزندقة خلق كثير في خلافة المهدي . أما بشار

فقد كثر اتهامه بالشعوبية وبالزندقة ، وقد ساعد على التصاق هاتين التهمتين به كثرة أعدائه وبذاءة لسانه ، فأمر به المهدي فقُتِلَ ضربا ، وكان ذلك في عام ١٦٦هـ . وقد عُدَّ بشار أول المولدين، وآخر المتقدمين من الإسلاميين ، ولقبه العُبّاب بأبي المحدثين .

جَفَا وِدُّهُ فَازْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ ... وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لاَ يَزَالَ يُعَاتِبُهْ
خَلِيلَيَّ لاَ تَسْتَنْكِرَا لَوْعَةَ الْهَوَى ... وَلاَ سَلْوَةَ الْمَحْزُونِ شَطَّتْ حَبَائِبُهْ
شَفَى النَّفْسَ مَا تَلْقَى بِعَبْدَةَ عَيْنُهُ ... وَمَا كَانَ يَلْقَى قَلْبُهُ وطَبَائِبُهْ(١)
فَأَقْصَرَ عِرْزَامُ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... يَمِيلُ بِهِ مَسُّ الهَوَى فَيُطَالِبُهْ(٢)
إِذَا كَانَ ذَوَّاقاً أَخُوكَ مِنَ الهَوَى ... مُوَجَّهَةً في كُلِّ أَوْبٍ رَكَائِبُهْ
فَخَلِّ لَهُ وَجْهَ الْفِرَاقِ ولاَ تَكُنْ ... مَطِيَّةَ رَحَّالٍ كَثِيرٍ مَذَاهِبُهْ
أَخُوكَ الذِي إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا ... أَرَبْتُ وإِنْ عَاتَبْتَهُ لاَنَ جَانِبُهْ(٣)
إِذَا كُنْتَ في كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِباً ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الذِي لاَ تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِداً أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَذَى ... ظَمِئْتَ ، وأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ ؟

* * * *

لَعَلَّكَ تَسْتَدْنِي بِسَيْرِكَ في الدُّجَى ... أَخَا ثِقَةٍ تُجْدِي عَلَيْكَ مَنَاقِبُهْ
مِنَ الحَيِّ قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلاَنَ إِنَّهُمْ ... عُيُونُ النَّدَى مِنْهُمْ تُرَوَّى سَحَائِبُهْ
وَسَامٍ لِمَرْوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا ... وَهَوْلٌ كَلُجِّ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ(٤)
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا ... بِأَسْيَافِنَا ، إِنَّا رَدَى مَنْ نُحَارِبُهْ(٥)
وَمَازَالَ مِنَّا مُمْسِكٌ بِمَدِينَةٍ ... يُرَاقِبُ أَوْ ثَغْرٍ تُخَافُ مَرَازِبُهْ(٦)
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهْ(٧)
وكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُخْطِنَا ... وَرَاقَبَنَا في ظَاهِرٍ لاَ نُرَاقِبُهْ(٨)
رَكِبْنَا لَهُ جَهْراً بِكُلِّ مُثَقَّفٍ ... وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدِّمَاءَ مَضَارِبُهْ
وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَرْجُفُ بِالْحَصَى ... وَبِالشَّوْلِ وَالْخَطِّيِّ حُمْرٌ ثَعَالِبُهْ(٩)
غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ في خِدْرِ أُمِّهَا ... تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ
بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ ... وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهْ
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ(١٠)

---

(١) عبدة : اسم محبوبته ، طبائبه : جمع طبية ، وهي الحبيبة المواسية المواصلة . (٢) عرزام : القوي الشديد من كل شيء . مس الهوى : جنون العشق (٣) رِبْتَهُ : شككته . (٤) السامي : القاصد بعداوة ، الشجا : ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه ، الغوارب : أعالي الموج . (٥) جعل للمنايا أما وبنات وقال : إننا الموت لمن نحاربه . (٦) المرازب جمع مرزبان وهو الرئيس . (٧) صعر خده : أشاح بوجهه كبرا . (٨) دب : مشى على هينة واستخفاء ، راقبنا : حاذرنا . (٩) يرجف : يدوي صوته ، الحصى : العدد الكثير . الخَطّي : الرمح . الثعالب : جمع ثعلب ، وهو طرف الرمح الداخل في حديد السنان . (١٠) النقع : غبار الحرب .



الأسود

قصة : للكاتب البرازيلي موليز سلكيار
ترجمة : الدكتور زكي الجابر

لم تشكل الأسود تهديدا في أيامنا هذه . ولكن الأمر كان كذلك في سنين قد خلت ، حين شرعت آلاف ، بل ملايين منها ، تجوب افريقيا بزئير يرتجف له الغاب ، وشاع الخوف من احتمال غزوها لأوربا وأمريكا . وقد حذر من هذا الخطر المرتقب كل من رايت وفريرمان وماسون ، وآخرون . وعليه تقرر القضاء على هذه الوحوش الماكرة . وجاءت عملية الابادة على النحو التالي :

في يوم قائظ ، ألقت طائرة قاذفة قنبلة ذرية ، ذات قوة انفجارية متوسطة ، على الحشد الكبير المتجمع عند بحيرة تشاد ، ودمرته تماما . وقد أبانت ذلك التمزق الكلي ، الصور الفوتوغرافية التي التقطت إثر انقشاع الغمامة التي كان شكلها كنبات الفطر ، ويطوقها الآن حزام بعرض كيلومترين ، تناثرت فوقه قطع مدماة من اللحم ، وأجزاء عظام ، وأرواح متسربلة بلون الدماء . وتمتد هالكة حول هذا المحيط جثث الأسود

وصفت الجهات المكلفة بتنفيذ العملية بأنها « مُرْضية » وكما يحدث عند تنفيذ أي عملية بهذا الاتساع ، بقيت مشاكل تنهض مصدرا للقلق . وعلى سبيل المثال ، كانت هناك مسألة الأسود التي نجت من الانفجار العنيف ، وأخذت تجوب الغابات محملة بالإشعاع الراديوي . حقا إن قبائل الزولو أجهزت على ٢٠٪ منها خلال فترة أسبوعين من تاريخ الانفجار ، إلا أن إصابات المواطنين (اثنين لكل أسد) أمر يشيع الاحباط حتى في نفوس أكثر الخبراء تفاؤلا .

صار ضرورة ، إذن ، الالتجاء الى أساليب أخرى أكثر تقدما . وتحقيقا لذلك ، تم انشاء مختبر لتدريب الغزلان ، يستهدف بالدرجة الأولى اقتلاع النوازع الطبيعية في هذه الحيوانات ، وقد يكون متعبا شرح التفاصيل ، ونكتفي بالقول بأن إحكام الدقة جاء مصادفة ،



وأنه ضرب من تقنية غسيل الدماغ ، اهتدى اليه « والش » ومساعدوه ، وتم تكييفه ليصبح ملائما للحيوان

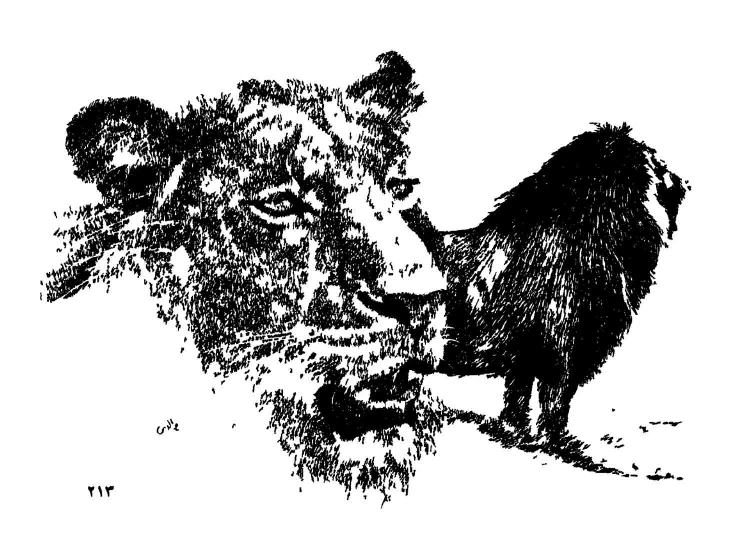
حقنت مجموعة من هذه الغزلان المدربة بسم نافذ ، يظهر مفعوله بعد مضي فترة من الوقت وهرعت الغزلان تبحث عن الأسود ، ورمت بأنفسها أمامها أضحيات

وبعد أن قامت تلك الأسود بالتهام اللحوم المسمومة هلكت في غضون أيام قليلة ، ومن غير ألم

وهكذا يتجلى الحل فريدا فى نوعه ، ومع ذلك كله ، فثمة سلالة من تلك الأسود تتمتع بمقاومة لهذا الضرب من السم وللسموم الناقعة الأخرى ولحسن الحظ ، فإن عدد هذه الأسود ليس كثيرا وتتكلف بمهمة إبادتها صيادون مزودون بأسلحة تتسم بالتعقيد والسرية غير الاعتيادية وفي هذه المرة لم يفلت من الموت غير نموذج واحد ولم يكن هذا النموذج غير أنثى قبض عليها واحتجزت قرب « برازفيل » وفي داخل رحمها عثر على جنين حي خال من الإشعاع الراديوي وفي داخل محضنة ترعرع هذا الحيوان الصغير جدا وبهذه الطريقة ، كان الأمل أن يحافظ على جيل فريد من الحيوان كي لا ينقرض

نقل الشبل ، بعد ذلك ، الى حديقة حيوان لندن ، وعلى الرغم من الحراسة المشددة فقد فتك به أحد المتعصبين ، وأخذت أعداد غفيرة من الجمهور تهلل لمصرع هذا الوحش الصغير . وطفق أحد الجنود يصرخ وهو سكران « من الآن فصاعدا ، سنغنم السعادة كل فرد ، لقد هلكت الأسود »

وفى اليوم التالى اندلعت الحرب الكورية □




صدر العدد الجديد من:
فبراير
١٩٩٠
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.
في هذا العدد:
استطلاع "حديقتي كم أحبك!"
من أيام الطفولة - ليلى العثمان
همام.. الفكرة من أصيلة
دعوة لزيارة مدينة الكويت
الزير سالم الحلقة الثانية
المسلسل التاريخي: ماري كوري
اضافة إلى الأبواب الثابتة:
إسلاميات.
كمبيوتر.
٨ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة.
دائرة معارف العربي الصغير.
نتيجة مسابقة العدد ٤٧

وزارة الإعـــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه ☐ شيكا ☐ حوالة مصرفية بمبلغ ....

☐ مجلة « العربي »　☐ مجلة « الكويت »　☐ سلسلة « من المسرح العالمي »
☐ مجلة « العربي الصغير »　☐ مجلة « عالم الفكر »　☐ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
☐ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :

— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith □ cheque □ Draft for ....
□ Al-Arabi Magazine □ Al-Arabi Book □ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □ Al-Kuwait Magazine □ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr Magazine □ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١		■								■
٢				■				■		
٣		■							■	
٤							■			
٥				■		■				
٦	■		■							■
٧				■		■				
٨								■		
٩		■							■	
١٠				■		■				

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

كلمات أفقية :

١ . من كبار الموسيقيين الألمان وصاحب السيمفونيات التسع الخالدة .
٢ ـ كرّر مبعثرة ، رداء يرفع على الأكتاف ، سطر .
٣ ـ سلسلة جبلية تقع في أمريكا الشمالية .
٤ . أضرمي فيه النار ، تجدها في أول « وفود » .
٥ ـ طائر يقال إنه يجلب الشؤم ، خيوط غليظة .
٦ ـ موسيقي نمساوي مؤلف « عرس فيغارو » .
٧ ـ موسيقي ألماني اشتهر بمؤلفاته الدينية ، متصّل بالآلات الوترية .
٨ ـ موسيقي ألماني وواضع أساس معهد ليبزغ ، ضمير لجماعة الذكور .
٩ ـ جماعة المغنين أو المرددين .
١٠ ـ منعطف الطريق ، صوت الحمام .

كلمات عمودية :

١ ـ موسيقي أندلسي فذ أخذ الغناء عن اسحق الموصلي ، ملفوف مقلوبة .
٢ ـ مؤلف موسيقي بولندي جدّد موسيقا البيانو .
٣ ـ برعم في صيغة الجمع ، مكر .
٤ ـ الاسم الثاني لمخترع الهاتف ، حرف مكرر .
٥ ـ موسيقي روسي كبير وصاحب كسارة البندق .
٦ ـ دارة القمر ، حرفان متشابهان .
٧ ـ أول متفرقة ، « حاورنه » مبعثرة .
٨ ـ موسيقي نمساوي اشتهر بألحانه الكثيبة ، حاجز .
٩ ـ طأطأ رأسه ، خفت حرارتها وحماستها .
١٠ ـ آلة موسيقية ايقاعية في صيغة الجمع ، ينحني .

● حل مسابقة العدد الماضي يناير ١٩٩٠م

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	هـ	ن	د	ب	ن	ت	ع	ت	ب	هـ
٢	■	ا	ي	ز	ى	س	■	ب	ن	د
٣	ح	س	■	ت	ا	ت	ش	ر	■	ى
٤	ب	■	ح	ن	■	ع	ج	■	ر	■
٥	ا	ى	ف	ا	ب	ي	ر	و	ن	■
٦	ب	ح	ص	■	د	ر	ه	■	و	و
٧	هـ	ر	ة	■	ل	■	ا	ل	ب	ل
٨	■	م	■	ر	■	ق	ل	ب	ي	ا
٩	ل	■	ف	ض	■	ب	د	ن	ا	د
١٠	م	ا	ر	ى	ك	و	ر	ى	■	ة



العدد ٣٧٥
فبراير ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الصفاة . الرمز البريدي 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٥ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ مارس ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين ، ورقم الهاتف إن وجد .

ارفق الحل مع هـذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـدد ٣٧٥

١ اسم « الكويت » ، هل هو عربي أو برتغالي أو هندي ؟

٢ الخدمات الطبية في الكويت مجانية كما يعلم الجميع . ترى كم تبلغ تكاليف هذه الخدمات نسبيا ؟ أو بعبارة أخرى : كم يبلغ نصيب الفرد الواحد من سكان الكويت من تلك التكاليف نسبيا ؟

× حوالي ٢٥ ديناراً .
× حوالي ٥٠ ديناراً .
× حوالي ١٠٠ دينار .

٣ يذكر التاريخ العربي اليوم الذي انتصر فيه المنذر بن ماء السماء على الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ملك كندة على الحيرة ، وقد عُدَّ ملكاً دخيلاً على المناذرة . وانتهت المعركة بانتصار المنذر بن ماء السماء ، فانتزع الملك من الحارث ، وارتدت فلول جيشه ، من بكر وتغلب ، إلى البادية ، فأين وقعت هذه المعركة التى تعرف باسم (يوم وارة) ؟

× وقعت عند جبل وارة في الكويت
× وقعت في الأهوار ، وسميت يوم وارة بدلاً من يوم الأهوار للاختصار .

٤ يذكر التاريخ الإسلامي معركة فاصلة من معاركه ، هي معركة ذات السلاسل ، فقد أحرزت الجيوش الاسلامية ، بقيادة خالد بن الوليد ، نصرا ساحقا على جيوش الفرس بقيادة هرمز ، والمعروف أن معركة ذات السلاسل هذه قد وقعت سنة ١٢ هجرية ، ولكن على أي أرض وقعت ؟

× في ايران ، وفي بلدة عبدان على الأخص .
× في العراق وعلى مشارف بغداد .
× وقعت معركة ذات السلاسل على أرض الكويت ، عند منطقة كاظمة .

٥ يبلغ عدد جزر الكويت حاليا تسع جزر ، وقد بلغ عددها عشر جزر بالأمس القريب ، ترى ماذا حل بجزيرة (العكاز) التي وُجدت ثم اختفت ؟
× أصبحت جزءا من الشاطيء بفعل المد والجزر .
× غاصت في البحر بسبب زلـزال ضرب المنطقة في مطلع الستينيات .
× اختفت الجزيرة لأنها اندمجت بميناء الشويخ الكبير ، وأصبحت جزءا من أرضه .

٦ معهد العالم العربي في باريس مركز حضاري مهم ، ساهمت الكويت مع غيرها من أقطار ودول في إنشائه ، وجرى افتتاحه في باريس سنة ١٩٨٧م . ترى كم بلغت تكاليف إنشاء المبنى الذي يشغله هذا المعهد ؟ (والمقصود هنا قيمة البناء فحسب دون قيمة الأرض) .
× نصف مليون دولار أمريكي .
× مليونين ونصف مليون دولار .
× خمسة ملايين دولار .

٧ اشتهرت الولايات المتحدة بكثرة مستشفياتها ، وكثرة الأسرة في هذه المستشفيات ، حتى بلغ مايخص كل ١٠٠,٠٠٠ من مجموع السكان فيها ٥٨٥ سريراً ، ترى ما عدد الأسرة التي تخص كل ١٠٠,٠٠٠ من السكان في دولة الكويت ؟
× ٤٢٠ سريراً .
× ٣٢٠ سريراً .
× ٢٢٠ سريراً .

٨ في بريطانيا (١١٠٠) محطة بنزين ، تحمل العلامة الخاصة المميزة (Q8) . ترى من يملك هذه المحطات التي تضخ البنزين في السيارات يوما بعد يوم ؟
× شركات بريطانية .
× ملكية هذه المحطات لشركات بريطانية وشركات كويتية في آن واحد ، أي أن الفئتين من الشركات تملك المحطات مناصفة .
× ملكية المحطات المذكورة لشركة كويتية .

٩ يصدر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كتبا شهرية ، تعرف باسم « سلسلة عالم المعرفة » ، وقد صدر الكتاب الأول منها في يناير عام ١٩٧٨ . المطلوب ذكر عناوين ثلاث قصص صدرت ضمن سلسلة عالم المعرفة .

١٠ يبلغ عدد سكان دولة الكويت نحو مليوني نسمة ، وبالتحديد (١,٩٥٨,٠٠٠) نسمة ، حسب آخر الاحصاءات المتاحة سنة ١٩٨٦ . ترى ما مجموع طلاب المدارس كلها ، في كل مراحلها ؟
× نحو ١٥٠,٠٠٠ طالب .
× نحو ٢٥٠,٠٠٠ طالب .
× نحو ٤٠٠,٠٠٠ طالب أو أكثر .

١١ أين توجد أحدث مصافي تكرير النفط الكويتية ؟
× في الأحمدي ، جنوب مدينة الكويت .
× في الشعيبة ، جنوب مدينة الكويت .
× في الدانمرك وهولندة .

١٢ أين تقع جزيرة أيكاروس ؟
× جزيرة فيلكا هي الجزيرة التي سماها الاسكندر الأكبر (أيكاروس) ، وذلك نسبة إلى جزيرة (أيكاروس) الأصلية الواقعة في بحر إيجة .
× ثمة جزيرة واحدة في العالم تعرف باسم (أيكاروس) ، وهي جزيرة يونانية ، وتقع في بحر إيجة .
× (أيكاروس) ليس اسم جزيرة ، وإنما هو اسم يطلق على أحد نجوم السماء . □



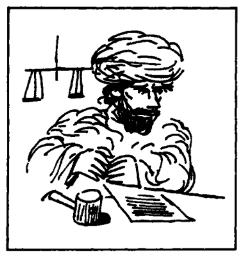
نوفمبر ١٩٨٩

١ سلّام الترجمان هو الرحال العربي الذي أوفده الخليفة العباسي الواثق بالله الى بلاد الصين ، على رأس بعثة قوامها خمسون رجلا ، وذلك في منتصف القرن التاسع . ومن أجل التحقيق في ما إذا كان سور الصين العظيم قد انهار حقا كما رأى الخليفة في منامه . وقد عاد الرحال بعد غياب ١٢ شهرا وبضعة أيام ، ليطمئن الخليفة بأن سور الصين العظيم مازال قائما وفي وضع سليم .

٢ الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد) هو مؤلف كتاب « المسالك والممالك » الذي تضمن وصفا شاملا دقيقا لشتى البلدان الإسلامية ، ويشمل معلومات زراعية وصناعية وسكانية ، وجغرافية . وللإصطخري كتاب آخر هو كتاب « الأقاليم » .

٣ التميمي (محيي الدين محمد عبد الواحد) هو الرحال الذي اختار العنوان الجذاب اللطيف : « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ، وقد اختاره عنوانا للكتاب الذي ألفه هو عن رحلاته . وقد أعجب ابن بطوطة بهذا العنوان ، فاختاره لمذكراته .

٤ شغل ابن بطوطة منصب القضاء طوال ٥ سنوات في الهند ، وشغله أيضا في جزر ذيبة المهل « مالديف » التي قضى بها نحو سنة ونصف سنة . وبلغ إعجاب ابن بطوطة بنساء تلك الجزر مبلغا جعله يتزوج بأربع منهن .


ابن بطوطة

٥ عنوان الكتاب الذى وضعه البيروني (أبو الريحان محمد) عن الهند ، هو كما يتراءى من السؤال نفسه « تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة من العقل أو مرذولة » .

٦ تبلغ المسافة التي قطعها ابن بطوطة في رحلاته ١٢٠,٠٠٠ ألف كيلومتر .

٧ ياقوت الحموي هو مؤلف الكتاب الشهير « معجم البلدان » . يقع الكتاب في ٣٨٩٤ صفحة ، ويعد في طليعة كتب السلف الصالح في الجغرافية والرحلات ، ومما يذكر أن ياقوت الحموي يوناني الأصل ، ولد سنة ١١٧٨م .

٨ أحمد بن فضلان هو العالم الجليل الذي كلفه الخليفة العباسي المقتدر بالله بالتوجه الى بلاد الصقالبة ، على رأس بعثة خاصة ، وذلك من أجل نشر تعاليم الدين الحنيف في تلك البلاد ، وبقصد تفقيه ملكها في الدين .

٩ المنجم (محمد بن موسى) هو الذي كلفه الخليفة العباسي (الواثق بالله) بالتوجه الى بلاد الروم ، والتحقيق في إشاعة انتشرت آنذاك تؤكد أن جثث أهل الكهف مازالت موجودة في أحد الكهوف على قمة أحد الجبال ، وماأسرع ماثبت للرحال كذب تلك الإشاعة ، فالجثث التي عثر عليها لم تكن سوى جثث محنطة لأموات عاديين معاصرين . وكان الحارس القائم على حراستها هو الذي ابتدع تلك الإشاعة ، وذلك بقصد ابتزاز المال .

١٠ الأمير النورماني روجر الثاني ، أمير صقلية في القرن الحادي عشر ، هو الذي كلف الإدريسي (أبا عبد الله محمد بن محمد) بوضع كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي يعرف باسم آخر هو كتاب روجر .

١١ ياقوت الحموي يوناني الأصل كما هو معروف ، ولكنه بيع في سوق النخاسة ، واتفق أن اشتراه تاجر حموي استوطن بغداد فنسب إليه .

١٢ شاهد ابن بطوطة صورته مرسومة على الجدران في شتى المناطق التي زارها في الصين ، فهم يفعلون ذلك مع الغرباء ، لابقصد تكريمهم أو الاحتفاء بهم ، وإنما من قبيل الاحتياط ، فقد يرتكب الزائر الغريب ذنبا يستوجب العقاب ، عندئذ تسهل صوره المنشورة هنا وهناك مهمة البحث والقبض عليه .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧٩ نوفمبر ١٩٨٩

الجائزة الأولى : المهندس/ عبدالسلام محمد السيف/ المملكة العربية السعودية .

الجائزة الثانية : عبدالرحمن أيوب/ الجمهورية العربية السورية .

الجائزة الثالثة : محسن محمد محسن الحامد/ الجمهورية العربية اليمنية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ بابا عمر رمضان مسعود/ الجزائر

٢ ـ عبدالوهاب بن الزهراوي/ تونس

٣ ـ اصغير محمد/ المغرب

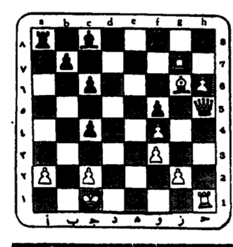
٤ ـ علي أحمد علي النجار/ مصر

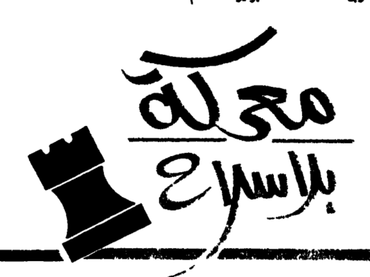
٥ ـ ماري تاكيدا/ اليابان

٦ ـ خالد محمد أحمد بامطرف/ جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

٧ ـ مصطفى عبداللطيف خطاب/ الجمهورية اللبنانية

٨ ـ عبدالرحمن نصر الهاشمي/ ليبيا



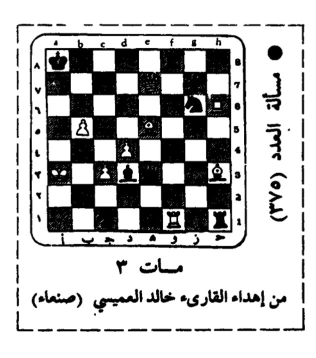


الجامعات البريطانية وبخاصة جامعتي اكسفورد وكيمبردج من أكثر جامعات العالم تشجيعاً ورعايةً للشطرنج ، وتعد هاتان الجامعتان المهد الذي يحتضن المواهب الشابة ، ولا عجب أن يكون لخمسة من اللاعبين البريطانيين السبعة الكبار خلفية جامعية ، أما السادس ، ونعني به « جون نن »، فإن له خلفية جامعية أيضاً ، فعلى الرغم من أنه لم يكمل دراسته الجامعية فقد منحته جامعة شيفلد شهادة فخرية ، تقديراً لمنجزاته في اللعبة ، أما السابع ، وهو نايجل شورت ، فقد اكتفى بالحصول على شهادة الثانوية العامة ، ليتمكن من الفوز بلقب أستاذ كبير قبل الوصول إلى سن العشرين ، ووجود هذه النخبة من الأساتذة الكبار ، من حملة المؤهلات العالية يعكس اهتمام الجامعات البريطانية البالغ بإعداد الصفوة الشطرنجية في هذه البلاد تعد السنوات من ١٦ إلى ٢١ سنوات حاسمة بالنسبة لكبار اللاعبين الذين يرغبون في الانتقال من مجرد لاعبين موهوبين صغار إلى لاعبين محترفين على المستوى الدولي، وما من مهنة تمكنهم من تحقيق حلمهم سوى احتراف الشطرنج أو الدراسة، إذ يستحيل الوصول الى المستوى الدولي دون الاشتراك في ثلاث أو أربع مباريات دولية سنوياً، وهو الحد الأدنى المطلوب للحصول على لقب أستاذ كبير .

وتبين سجلات الاتحاد البريطاني للشطرنج أن اللاعبين البريطانيين يحققون من ١٧٠ ـ ١٨٠ نقطة، في سلم التصنيف الدولي، قبل الوصول إلى سن الالتحاق بالجامعة، ثم ينخفض هذا المستوى عند شغلهم بالثانوية العامة وامتحانات القبول الجامعية، وغالبيتهم يحصلون على إجازة من الدراسة بعد ذلك، مدتها سنة، للحصول على لقب أستاذ دولي، قبل الانخراط في الدراسة الجامعية.

وفيما يلي واحد من الأدوار المثيرة التي تعقد سنوياً بين جامعتي اكسفورد وكيمبردج وكلا اللاعبين من حملة الألقاب الدولية :

● مسألة العدد (٣٧٥)



مـات ٣

من إهداء القارىء خالد العميسي (صنعاء)

□ نيل دكنسون (اكسفورد) ■ جاريث انتوني (كيمبردج)

١ .	د ٤	ح ـ و ٦
٢ .	ح ـ و٣	ز ٦
٣ .	ح ـ جـ ٣	د ٥
٤ .	ف ـ و ٤	ف ـ ز ٧
٥	هـ ٣	ت (قصير)
٦	ح ـ هـ٥	جـ ٦
٧	ف ـ د ٣	ح (١) ـ د ٧
٨	وزير ـ و٣	ح ـ هـ ١

ح ـ حـ ٥ أفضل

٩	حـ ٤	و ٦
١٠	ح× ز ٦	حـ× ح

اضطر الأبيض للتضحية خشية هـ ٥ !

١١	ف× ز ٦	و ٥
١٢	حـ ٥ ؟	هـ ٥

الأسود يهدد بفتح الوسط لصالح قطعته الزائدة

١٣	حـ ٦	ف ـ و ٦
١٤ .	ت ت (طويل)	هـ× و ٤
١٥ .	هـ× و٤	ح ـ ب ٦
١٦	و ـ حـ ٥	ح ـ د ٦

الأسود يبدأ بالتعبئة استعداداً للهجوم

١٧ .	ر ـ د٣	م ـ حـ ٨
١٨	و ٣	ح (الوزير) ـ جـ ٤
١٩	ب ٣	و ـ أ ٥
٢٠	ب× جـ ٤	د× جـ ٤

أخذ البيدق بالحصان أفضل

٢١	ر ـ هـ ٣	ف× د ٤
٢٢	ر ـ هـ ٧	و× جـ ٣
٢٣	ر ـ حـ ٧+	م ـ ز ٨
٢٤ .	ر ـ ز ٧+	م ـ حـ ٨

وينتهي الدور بالتعادل بسبب الكش المتواصل، فالأسود لايستطيع أخذ الرخ بالفيل خشية ف ـ حـ٧ ثم الكش بالكشف فمات (الشكل)

□□

[illegible] (٣٧٢) نوفمبر ١٩٨٩م

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ محمد البنْداري ـ بورسعيد/ ج.م.ع
٢ ـ اوديت عطار ـ حمص/ سوريا
٣ ـ الحاج بن محمد ـ نواكشوط/ موريتانيا
٤ ـ الحسن الطيب ـ حصاحيصا/ السودان
هشام المندريس ـ سامراء/ العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ توفيق الكيلاني ـ الرصيفة/ الأردن
٢ ـ حاتم بن سعيد ـ جربة/ تونس
٣ ـ عبدالرزاق عبدالغفار ـ المنامة/ البحرين
٤ ـ مقداد باقيان ـ طهران/ ايران
٥ ـ حكمت بامطرف ـ عدن/ اليمن الديمقراطي

حل مسألة العدد (٣٧٣) ديسمبر ١٩٨٩م

١ .	ف ـ د٢+	و× د٢
٢ .	ح ـ جـ٤+	ثم مات بالبيدق



العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

من آفاق الثقافة

● تلقت المجلة رسالة من الدكتور علي الدين هلال بمجرد صدور المجلة رقم ٣٧١ اكتوبر ١٩٨٩ ، يذكر فيها أن المقال المنشور بعنوان « الفكر الاجتماعي وقضية التنمية » بقلم الدكتور ناول عبد الهادي منقول نقلا حرفيا من مذكرات للدكتور علي الدين هلال نفسه في موضوع التنمية السياسية ، يقوم بتدريسها منذ أكثر من ١٠ سنوات ، وبعد دراستنا للوثائق المرسلة من قبل الدكتور علي الدين هلال ومقارنتها بالموضوع المنشور وجدنا أن الموضوع المذكور منقول حرفيا من المذكرات ، وهي ظاهرة مرضية ، أعربت المجلة في أكثر من عدد عن استهجانها لها واستنكارها لانتشارها .

إلا أن بعضهم ما زال يراهن ، على ما يبدو ، على محدودية الذاكرة ، وعلى عدم انتشار بعض الأعمال ، لينقل منها ، متصورا أنه بمأمن من الافتضاح وبدورنا فإننا نشكر للدكتور علي الدين هلال غيرته على المجلة وحسن اهتمامه ، وقد قمنا باخطار الدكتور ناول عبد الهادي بوقف التعاون معه في المستقبل ، كما كتبنا إلى بعض المجلات والدوريات العربية وأخطرناها بما حدث .

□□□

تعقيب حول النباتات الطبية

● حول مقالي المنشور في العدد ٣٦٥ (ابريل/ ٨٩) « النباتات الطبية في سوقطرة » أفاد الأستاذ إحسان جعفر في العدد ٣٧٠ (سبتمبر/ ٨٩) عدة تسميات لعصارة دم الأخوين في العربية ولغات أخرى ، وسأل عن السبب في كتابة اسم الجزيرة (سوقطرة) ولم يكتب (سقطرى) ، كما هو معروف ومتداول ولماذا أطلقت الاسم (شجرة دم الأخوين) ، في حين أن المقصود من عبارة دم الأخوين عصارة الشجرة أو صمغها . واسم الشجرة عند العرب القدماء « المندم » ؟

ولتوضيح ملاحظات الأستاذ إحسان والإجابة عن سؤاله ، أورد مايلي :-

(١) يسمي السكان في جزيرة سقطرى الشجرة التي تنتج مادة دم الأخوين باسم « شجرة دم الأخوين » . ويلاحظ أن كثيرا من أسماء النباتات في العربية تحمل اسم الصفة الرئيسية التي في النبات أو في الجزء المهم الذي ينتجه ويستفاد منه ، فنقول مثلا : شجرة البن ، لأنها تنتج البن ، وشجرة التمر ، ونقصد بها النخلة ، ونبات الصبر الذي هو الصبار . وبالمثل نقول شجرة دم الأخوين لأنها تنتج مادة أو عصارة دم الأخوين ، وهي المعروفة - أي الشجرة - في كتب التراث الطبية عند

العرب « بالعندم » . ولا أرى في التسمية إخلالا .

(٢) عرف دم الأخوين ـ قديما ـ على أنه عصارة النبات أو صمغه ، أما اليوم فيقصد به الإفراز أو السائل الراتنجي الأحمر الذي يفرز أو يحصل عليه من النبات ، وهو ـ لاشك ـ عصارة . وهذا واضح في المقال .

والراتنجات هي خليط معقد من أحماض ، وكحول ، وفينولات ، واسترات راتنجية ، ومواد خاملة ، تسمى الريزينيس ، وقد يرافق الراتنجات زيوت عطرية ، فتسمى راتنجات زيتية ، أو صموغ فتسمى راتنجات صمغية ، أو كلاهما فتسمى راتنجات زيتية صمغية .

(٣) إن الشجرة التي عناها شيخ العشابين داود الأنطاكي في كتابه « تذكرة أولي الألباب » عن دم الأخوين : « أو عصارة نبات حبر سقطرة » ، فإنه يقصد بنبات حبر سقطرة تلك الشجرة التي وردت صورتها في المقال ، واسمها النباتي Dracaena Cinnabari Balf.f. ، فهي الشجرة الوحيدة التي تعطي سائلا راتنجيا أحمر في جزيرة سقطرة ، كما أن الشجرة فريدة في نوعها ، إذ لا توجد في أي مكان آخر من العالم . ويوجد اليوم حوالي ٨٠ نوعا نباتيا من أشجار دم الأخوين تتبع جنس Dracaena ، وتشترك جميعها باحتواء عصارتها على راتنج أحمر « دم الأخوين » . كما توجد أنواع نباتية أخرى من أشجار دم الأخوين تتبع جنس Daemonorops .

علي سالم باذيب

□□□

تساؤلات حول حرق الهيدروجين

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ،

● في مقال بعنوان « طائرة ركاب بدون طيار وبلا وقود » ، للأستاذ سعد شعبان ، بالعدد رقم (٣٧١) اكتوبر ١٩٨٩ ، بصفحة ٣٧ خطأ علمي ، ربما لم يتنبه إليه الكاتب ، حيث جاء مانصه :

« بحث يهدف الى تسييل غاز الهيدروجين الموجود في الهواء ، وحرقه ، فيحقق هدفين : هما سهولة المصدر ، باعتباره أحد مكونات الهواء ، وسهولة الاحتراق ، لكونه غازا جيد الاحتراق ، لكنه يحتاج للأكسجين كمؤكسد ، وهو أيضا موجود في الهواء ، ويومها شطحت أحلام علماء الطيران ، لأن مثل هذا المصدر للطاقة لو تحقق لأمكن أن تطير الطائرة بلا توقف ، فهي تستمد الهيدروجين

حوار القراء

من الوسط الذي تطير فيه » .

وتعليقي هو أن غاز الهيدروجين لايوجد في الهواء ، ولكنه أحد العناصر المكونة للماء ، والخطأ ليس مطبعيا ، حيث يؤكد الكاتب ذلك في سطور أخرى حيث يقول : « وهو أيضا موجود في الهواء » ، ويذكر أيضا : « فهي تستمد الهيدروجين من الوسط الذي تطير فيه » .

مع خالص الشكر ، ، ،

د. مسعد الحاروني
وزارة الصناعة والأشغال - الدوحة - قطر

"العربي"

توضيح حول مسألة تطويل الأطراف

وقد تلقينا من المهندس سعد شعبان التعقيب التالي حول ما ورد في رسالة القارىء الدكتور سعد الحاروني .

إن نفي الدكتور سعد الحاروني لوجود غاز الهيدروجين في الهواء تماما ، لا يستند على أي أساس علمي ، للأسباب الآتية :

١ - غاب عنه أن بخار الماء يوجد في الهواء حتى ارتفاع ١٨ كيلومترا . ويتكون كل جزء من الماء من ذرتي هيدروجين وذرة اكسجين (يد٢أ) . وبخار الماء هو السبب في تكون السحب الموجودة في الغلاف الجوي للأرض .

٢ - بصرف النظر عن هذا المصدر للهيدروجين ، فإن الهواء الجاف الخالي من بخار الماء ، يحتوي على نسبة من هذا الغاز . وهذا ما تقرره كل المراجع العلمية الخاصة بالأرصاد الجوية بكل اللغات ، وكلها تشير إلى أن نسبة غاز الهيدروجين في الهواء من حيث الحجم تبلغ (٥ × ١٠$^{-٥}$) شأنه مثل غازات أخرى كالنيون والهيليوم والكريبتون والاكسنون .

وبالاطلاع على دائرة المعارف البريطانية ، طبعة عام ١٩٧٤ ، جزء ٩ صفحة ٩٣ ، تحت عنوان (الهيدروجين ومركباته) نجد ما ترجمته : « يشكل الهيدروجين نسبة ١٤, ٠٪ من القشرة الأرضية من حيث الوزن . وهو يوجد بكميات ضخمة في مياه المحيطات وأكوام الجليد والأنهار وفي الغلاف الجوي » .

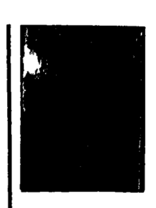
المهندس سعد شعبان

□□□

● نشكر الإخوة القراء على اهتمامهم ، سواء من وافى مجلتنا الحبيبة « العربي » أو وافاني شخصيا برسائل وغيرها حول مقال « تطويل الأطراف » ، المنشور في العدد رقم ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ .

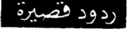
ونود الإفادة بأن عملية تطويل الأطراف تجري في كل دول أوربا الشرقية

والغربية ، ولابد أنها تجري في بعض الأقطار العربية ، وما عليهم إلا مراجعة أطباء العظام ونقابات الأطباء أو وزارات الصحة في بلادهم . أما عن التكاليف فهي ليست باهظة على كل حال ، وهذا يتفق بشأنه مع الأطباء ، أما عن المضاعفات بعدها ، فالعمليات الجراحية الناجحة ليس لها مضاعفات ، ومن جملتها هذه العمليات ، ولا ضرر منها . أما عن العمر فهو في سن الخمس سنوات فيا فوق ، وطبعا كلما كان المريض أكثر شبابا كان ذلك أفضل من أجل التئام العظم . والمريض يقضي بضعة أيام فقط في المستشفى ، ثم يمكنه الخروج والمشي على عكازين حتى نزع الجهاز ، حيث يطول العظم بمقدار مليمتر واحد يوميا .



د.وليد السباعي - حلب/سوريا

□□□





● القارىء عباس بن عبدالله الصعدي ، من الجمهورية العربية اليمنية ، يقول : إن المجلة لها الفضل الكبير بتوجهه إلى القراءة والاطلاع ، ويشكر كل من أسهم في بناء هذا الإبداع الثمين ، ويود أن ينوه بأنه قد ورد في حوار القراء في العدد رقم (٣٦٨) يوليو ١٩٨٩ في رسالة المهندس محمد مصطفى عن الخط ، فقد ذكر اسم الخطاط الشهير هاشم محمد الخطاط والصحيح أن اسمه محمد هاشم البغدادي .

● القارئة هويدا علي محمد ، من القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، تقول : إن لديها دراسة نقدية عن كتاب « الإعلان بالتوبيخ عن ذم التأريخ » للعلامة شمس الدين السخاوي ، وترغب في إرسالها للمجلة .

ونقول لها : إنه لا مانع لدينا من ذلك .

● القارىء ممدوح ميودة ، من محافظة الدقهلية ، جمهورية مصر العربية ، يبدي إعجابه بالعدد ٣٧٠ - سبتمبر ١٩٨٩ - وبخاصة حديث الشهر بقلم رئيس التحرير ، ومقالة الدكتور أسعد عبدالرحمن الذي تناول فيها القضية الفلسطينية ، واستطلاعات المجلة المفيدة الغنية بالمعلومات .

● القارىء نضال أبو ناصر ، من اربد ، الأردن ، يسأل عن كيفية الحصول على « كتاب العربي » الذي تصدره مجلة « العربي » . ونقول له : إنه باستطاعة جميع القراء الحصول عليه من الموزع المعتمد لتوزيع مجلة « العربي » ومطبوعاتها .

● القارىء شعبان فتحي بركات ، من الثانوية الصناعية ، محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية ، يقول : إنه من عشاق الكتابة والانتاج المسرحي والقصص القصيرة ، فهل تقبل المجلة نشر إنتاج الشباب ؟

نقول له : لقد سبق أن نوهنا أكثر من مرة بأن المجلة ترحب بكل ما يرسل إليها إذا كان يتناسب مع سياسة المجلة وقواعد النشر فيها .

حوار القراء

● القاريء صفوان أبو خديجة ، من بلودان ، دمشق ، ويعيش في سكرامنتو ، كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الامريكية ، يقول : إن المجلة تصله بانتظام ويقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن أهم الأماكن السياحية والآثار التاريخية الموجودة في سوريا ، مثل : تدمر ، وبصرى .

ونقول : لقد قامت المجلة باستطلاعات عديدة حول هذه الأماكن .

● القاريء عبدالباسط عمر ، الكفرة ، ليبيا ، أرسل يقول : إنه منذ أكثر من عشر سنوات وهو يتابع مجلة « العربي » ، ويحتفظ بجميع أعدادها ، فهي خير زاد ومنهل للثقافة والعلم ، ولكنه يفقدها منذ فترة ، فهي لم تصل إلى الجماهيرية ، ويطالب بأن تعمل الجهات المختصة على إيصالها للقاريء العربي أينما وجد ، ومهما كانت (الظروف) . ويقول : لن أستطيع أن أصف الفراغ الذي نعيشه ، فقد فقدت الشهور طعمها ، لأننا لم نعد نحصل على نسخة من مجلة « العربي » .



[illegible]
كلمة الأسلوب ، من حيث إنها لم تعد كلمة مقصورة على بحث اللغويين فحسب ، ولكنها صارت مجالاً لطوائف من العلماء ، منهم علماء البلاغة ، وكذلك علماء النقد ، وكل منهم له هويته وله طريقته وله منهجه .

وقد استشرف الباحث كلمة أسلوب من حيث معناها الدقيق ، فهي تطلق على العبارة اللغوية ، وهي في عرف الدارسين تنطلق إلى الجانب اللفظي ، ثم اقترب بنا من المعنى المحدد لهذه الكلمة ، من حيث مصطلح الأسلوب الذي عرّفه بأنه ينصب بداهة على العنصر

[illegible]
[illegible]
وعرض الخيال ، وعلو المعاني [illegible]
لأداء المعاني ، ثم استشرف معناه عند «جينانج» ، من حيث إنه يعني عنده طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير ، ثم عرّفه عند عبد القاهر الجرجاني من حيث إنه يعني عنده : الضرب من النظم والطريقة فيه ، وكذلك عند ابن قتيبة من حيث إنه يعني الامتنان في القول . ثم حدد الباحث موقف الخطابي من هذا المصطلح ، فهو يعني عنده نوعاً من الموازنة بين المعارضة

* كاتب وناقد من القطر المصري - جامعة أسيوط

والمقابلة ، حيث يُعنى الشاعر بالكلام ، ويصقله ، ويمتاز به عن نظيره من الشعراء ، بأن يكون مثلاً أشد من نظيره في هذا المجال تقصيا ، وأحسن منه تخلصاً إلى دقائق المعاني ، وأكثر إصابة فيها .

ثم ينتهي الباحث من هذا التنظير لمصطلح الأسلوب ، حيث يحدد لنا عناصر الأسلوب التي تتمثل في أربعة محاور : ١ ـ الكلمة ٢ ـ العبارة المفيدة ٣ ـ الجملة ٤ ـ النص بتمامه

والباحث يؤيد ما ذهب إليه المؤلف من تحديد لعناصر الأسلوب . حيث إن الكلمة هي البنية الأساسية للعبارة، وأن العبارة هي البنية الأساسية للجملة المفيدة ، والنص الأدبي يتكون من عدة جمل مفيدة تبلور تجربة المبدع نثراً أو شعراً

فالكلمة هي اللبنة الأولى في الأسلوب، والألفاظ تعني مجموعة الكلمات المفردة التي تتألف منها الجمل، والكلمة تشمل: الاسم والفعل والحرف، كما تتنوع الجملة بين اسمية وفعلية ـ طويلة وقصيرة ـ متراصة أو مركبة .

ولقد تناول الكتاب خصائص الدراسة الصوتية في أدب عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، من خلال عمله الروائي الخالد «الأيام»، حيث استطاع المؤلف رصد عدة ظواهر صوتية بارزة في أدب هذا المبدع.

وأول هذه الظواهر: سرعة استجابة الأذن للنغمة الصوتية العامة المنبعثة في أسلوبه، مع تنويع في التيار الصوتي، يحتفظ معه بمستوى موسيقي ، يتلاءم مع ما يريد التعبير عنه .

فالمتامل لرواية «الأيام» يجد أن مؤلفها غالبا ما يلجأ إلى ترديد نغمة بعينها ، مع تخليصها من الرتابة التي تدعو إلى الملل والسأم ، هذان العنصران اللذان يسمان حسور التلاقي بين المبدع وبين المتلقي ، فيقلب للعمل الإبداعي ظهر المجن ، ويبحث عن غيره .

ولنأخذ بعض الأمثلة التي تدل على تحقق هذه الظاهرة في أدب د. طه حسين:

الأيام:

قد دلل الباحث على أن عبارات من نوع « ينفق فيها الساعات حلوة مرة، يقول فيها ما يشاء، ويسمع ما يشاء الشيخ أن يقول، وما أكثر ما كان الشيخ يقول»، أو قوله: «وقد اختيرت لسفر البعثة سفينة فرنسية فقيرة حقيرة رخيصة، وكان اختيارها لوناً من الاقتصاد»، أو قوله «وإذ الحاجة تدعوه فيذهب إليه عجلاً وجلاً، ذات ضحى، وهناك يلقى علوي باشا رحمه الله، فيستقبله باسماً له رفيقاً به». عبارات تجد صداها لدى الأذن التي تستجيب بسرعة للنغمة العامة في الأسلوب، حيث إن اختيار العميد لكلمات بعينها، ورصفها بطريقة بعينها، أعطى الأثر الصوتي الذي أسهم فيه التنويع والبعد عن الاتجاه التقليدي. ثم تعرض الباحث لمدى استخدام العميد للترادف في نسيجه الأدبي، حيث إنه كثيرا ما يلجأ إلى توظيف الكلمات المترادفة المتتابعة بطريقة متنوعة تستجيب لها الأذن.

وساق الباحث لذلك العديد من الأمثلة التي تؤكد صحة ما ذهب إليه، وفيها قول العميد في عمله الخالد «الأيام».

«. . . . . . فكان حاضرا، كالغائب، ويقظا كالنائم، ولم ينتظر أن تصلي العصر»، أو قوله: «. . . وتنقلب الاية، ويصبح المغلوب غالباً والغالب مغلوباً».

ثم يرصد الباحث الظاهرة الصوتية الثانية في أسلوب طه حسين، وهي أن أسلوبه يتسم بصفات وخصائص صوتية، وعادات نطقية، فهو يعطي صفات وخصائص صوتية لأحرف،



● د. طه حسين

كما أنه يعطي صفات وعادات نطقيه لكلمات، بطريقة غير مطروقة، مما يجعل القارىء أو السامع لأسلوبه يشاركه النطق في بعض كلماته، أو على الأقل يُعْمل خياله اللغوي في تدبر، نحو قوله

« وكانت كلمات الجمال والجلال والبهاء والكمال والروعة والإشراق أكثر الكلمات جرياناً على لسانه منذ يبدأ الدرس إلى أن يتمه، وكان لا ينطق بكلمة منها إلاّ مدّ ألفها فأسرف في المدّ، وربما أخذه شيء من ذهول وهو يمدّ هذه الألف فيغرق الطلاب في ضحك، يخافت به بعضهم ويجهر به بعضهم الآخر»، وقوله «ويمدّ ياء النيل فيسرف في مدّها، ويأخذه ذهول يرد الطلاب إلى ضحك متصل» ثم انتقل الباحث

إلى ظاهرة صوتية قد خفيت على الكثير من الباحثين الأكاديميين في هذا المضمار، وهي استفادة طه حسين من الخصائص اللهجية أو اللغوية المخالفة لخصائص اللغة العربية من الناحية الصوتية، نحو قوله في هذه الرواية

«وكان الحاج فيروز رجلا أسود فاحماً، طويلاً، قليل الكلام، فإذا تكلم لم يكدْ يبين، وإنما كان يلتوي لسانه بالعربية التواء غريبا، ترك في نفس الصبي أثرا لا يمحى، فهو لا يقرأ في البيان والتبيين قصة زياد مع غلامه حين أراد أن يقول له

أهدي إلينا حمار وحشي فجعل الحاء هاءً في الكلمتين، وأنكر زياد عليه ذلك، فقال له ويلك، قل أهدي إلينا عير. فلما قال الغلام

ذلك جعل العين همزة، فارتاع زياد ورده إلى حمار وحشي».

فمن المعلوم في الدرس اللغوي أن أحرف الحلق توجد في اللغات السامية، أما اللغات «الهندوأوربية» وغيرها، مما هي على شاكلتها، فلا تُنطق فيها أحرف الحلق، وإنما تغلب على أبنائها عاداتهم النطقية الخاصة بلغاتهم ولهجاتهم، فمن تكلم بالعربية منهم غلبت عليه صفاته وعاداته اللهجية النطقية.

ولقد أفاد طه حسين من أساتذته الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة، مثل الايطاليين والألمان، وكانت إفادته من لهجاتهم عظيمة، أضافت إلى رصيده اللغوي الشيء الكثير. كما أفاد طه حسين من اللهجات المحلية، وخصوصا لهجة صعيد مصر، لا سيّما إقليمه (المنيا)، ولنتأمل قوله في رواية الأيام:

(... وكان إذا بلغ منه الجهد رفّه عن نفسه بهذه الجملة يوجهها إلى طلابه بين حين وحين، في لهجة «منياوية» عذبة مضحكة «فاهمين يا سيادي»).

الجانب التركيبي

ثم استشرف المؤلف في الفصل الثاني من مؤلفه دراسة الجانب التركيبي في أسلوب طه حسين، حيث أوضح في بداية هذا الفصل أن هندسة الجملة وبناء العبارة من عمل الدراسة التركيبية، أو دراسة علم النحو، وأن التراكيب لها درجات ومراحل، حيث تبدأ بمرحلة الصحة في العبارة وجريانها على قواعد النحو، وسلامتها من العيب، وتتدرج إلى أن تصل إلى أسلوب معجز في بنائه اللغوي، تتساوى عنده الأقدام في العجز، وهو أسلوب القرآن الكريم.

ولقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى النظم الفاسد بأنه يعني سقم الأسلوب في غالب



● غلاف الكتاب

الحالات وأعمها من سوء التأليف النحوي. وهكذا استطاع الباحث أن يجعل الجانب التركيبي في أسلوب طه حسين منقسما إلى عدة محاور رئيسة:

فالمحور الأول في هذا الجانب ينمّ عن اتسام الشيخ بالذكاء المتوقد، مما حدا بالباحث إلى وصف أول ظاهرة في الجانب التركيبي لهذا المبدع بالظاهرة التركيبية التي مبعثها الذاكرة الحافظة.

فلقد استطاع طه حسين أن يفيد من الموروث التراثي، وفي مقدمة هذا الموروث النظم القرآني، مما حدا بالأديب أن يصوغ تراكيبه على شاكلة هذا النظم، وأن ينسج على منواله المقدّس. ومن أمثلة ذلك ما ورد في روايته «الأيام»:

«ويتجنبها الفتى لأنه لم يكن يعرف لغة أجنبية»، «اقتباساً من القرآن الكريم» «ويتجنبها الأشقى».

وقوله « . . . . إذا أصبحت يابني فاستقل من الامتحان ولا تحضر من عامك هذا، فإن القوم يأتمرون بك ليسقطوك»، اقتباساً من قول الله جل شأنه «إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين»

وقوله أيضا : «ينأون بدروسهم وطلابهم عن الأزهر»هو مقتبس من القرآن الكريم «وهم ينهون عنه وينأون عنه»

وقوله أيضا: «وبُهِتَ الفتى حين سمع هذين الاسمين (رمسيس واخناتون)» إنما هو اقتباس من قول العزيز الحكيم «فبُهِتَ الذي كفر».

ثم تأتي ظاهرة أخرى في الجانب التركيبي لطه حسين، وهي تغلغل العامية في أسلوبه الأدبي، فلقد وشىَّ نسيجه الأدبي بهذه الحلية، إيمانا منه بأن العامية تتعانق مع الفصحى في النص الأدبي، فلا تكونُ مسوغاً لسقوط هذا النص ولا بإلحاق النتوءات به، ولا يُعدُّ هذا من جانب الأديب وهناً أو ضعفاً أو أفولاً لشمسه المشرقة في دنيا الأدب.

لذلك فإننا نجد أن عميد الأدب قد استخدم بعض الألفاظ العامية في روايته «الأيام».

«شيشة ـ قرقرة ـ كوبرى ـ قهوة»، (والجمع عنده قهوات)، نحو قوله:

«إنها قرقرة الشيشة يدخنها بعض تجار الحي ويهيئها صاحب القهوة، كان أهل السعة منهم يذهبون إلى قهوة كوبري قصر النيل القريبة».

«ويختلس المتعة القصيرة بين حين وحين إن أتيح أن يخرج من حياته المألوفة إلى رياضة في الضواحي، أو تنزه في الحدائق، أو جلسة في قهوة من القهوات».

الدخيل

كما تعرض الباحث للدخيل الذي وظفه شيخنا في نسيجه الأدبي، ومن الأمثلة على هذا الدخيل ما جاء في هذا العمل الروائي نحو:

(دولتلو ـ أفندم ـ ارسالية ـ الفنقلة)

ثم استشرف الباحث قوائم ببعض الدخيل المستعمل في أسلوب العميد نحو: (دهليز ـ تونة ـ سردين ـ خان).

كذلك يؤثر العميد استخدام المشتقات والمصادر في نسيجه الأدبي.

ثم يختم الباحث هذه السمات التي يتفرد بها أسلوب طه حسين في مجاله التركيبي، بأن العميد يؤثر استعمال الجمل المتراصة المترابطة بحرف يصل بينها، وقد يطول الأمر على هذا الحال، وتتوازى الجمل وتتراص، وترتبط كل واحدة بالأخرى بحرف هذا، وتظهر براعته اللغوية في استعماله حروف الحر وأدوات الربط المختلفة.

ما هو المال ؟

طرحت إحدى الجرائد الانجليزية على قرائها سؤالا . ما المال ؟ فوردتها أجوبة نقتطف منها مايأتي :

× المال صنم تعبده جميع الشعوب وإن لم يكن له هيكل
× جواب آخر : المال يحول التعب الى راحة
× أما الجواب الذي نال الجائزة فهو :
× المال جواز سفر عالمي يمكن لحامله أن يذهب الى كل البلاد ـ خلا السماء ـ وهو يجلب كل شيء خلا السعادة





اسم الكتاب : الصادرات الصناعية لدول الخليج العربية
اسم المؤلف : د . رمزي زكي
الناشر : دار الشباب ـ قبرص
عدد الصفحات : ١٢٧ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩

يتناول الكتاب مشكلة الصادرات الصناعية لأقطار الخليج العربي ، وقد تناول المؤلف الواقع الراهن للصناعات التحويلية في هذه الأقطار ، والخصائص التي اتسم بها النمو الصناعي في الخمس عشرة سنة الأخيرة ، وتحديد المشكلات التي تواجهها الصادرات الصناعية ، سواء في مجال التبادل التجاري بين مجموعة هذه الأقطار،أو في مجال الأسواق الخارجية . وقد تعرض لمشكلات التنافس الصناعي وضيق الأسواق المحلية ، والمشكلات التي يواجهها المصدرون ، والقيود الحمائية المفروضة على تلك الصادرات في الدول الرأسمالية الصناعية . ثم انتقل بعد ذلك لرسم الآفاق الممكنة لنمو هذه الصادرات ، وتحديد وسائل دعم الصادرات الصناعية وحفزها بإجراءات مثل سياسات الدعم والإعانات ، والسياسات الجمركية الملائمة ، والتغلب على مشكلات تمويل الصادرات وتأمينها . وتشكل هذه الدراسة مقدمة تحليلية لفهم الجوانب المختلفة لمشكلات التصنيع والتجارة الخارجية لمجموعة هذه الأقطار .



□□□

اسم الكتاب : مرآة المنفى ـ أسئلة في ثقافة النفط والحرب
اسم المؤلف : د . غالي شكري
الناشر : رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن
عدد الصفحات : ٢٣٤ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩



يمثل الكتاب مرحلة دقيقة من فكر مؤلفه وسلوكه ـ الكاتب العربي المعروف ـ في مواجهاته مع النفس والوطن والأمة ، وقد أخذت هذه المواجهات شكل محاورات أجراها مع غالي شكري كتاب وصحفيون عرب في بيروت والقاهرة ودمشق وبغداد وباريس وعواصم أخرى ، على امتداد سنين طويلة ، إلا أن الإطار الجامع لهذه المحاورات هو المواجهة ، فالذي يواجه ليس الأديب ولا الصحافي ، وإنما الفكرة الطاغية المطروحة في اللحظة التاريخية التي تثيرها أسئلة كثيرة .

اسم الكتاب : مجنون على السطح
اسم المؤلف : عزيز نسين ـ ترجمة : محمد الظاهر ومنية سمارة
الناشر : دار الكرمل للنشر والتوزيع ـ عمان
عدد الصفحات : ٩٠ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٨



عزيز نسين واحد من أهم الأدباء الأتراك المعاصرين ، ومن أكثرهم إنتاجاً ، فقد كتب في مختلف مجالات الإبداع الأدبي ، إلا أن قصصه الساخرة ذات البعد الاجتماعي والسياسي الذي يحيط بالواقع التركي ، ويتغلغل في تفاصيله وجزيئاته ، تعد من أهم الإبداعات العالمية في الأدب الساخر . ويضم الكتاب ثماني قصص قصيرة ، ومقدمة هي حديث لعزيز نسين عن نفسه ، أدلى به لإحدى الصحف اليوغسلافية . يقول نسين في الحديث : « لقد عجز سيميائيو العصور الوسطى عن تحويل الحجارة إلى ذهب ، وعجزوا عن العثور على حجر الفلاسفة ، أما أنا فقد نجحت في تحويل دموعي الحارة إلى ضحكات كبيرة ، تدوي في آفاق هذا العالم الواسع » .

□□□

اسم الكتاب : مواويل النيل المهاجر
اسم المؤلف : حسن فتح الباب
الناشر : دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة
عدد الصفحات : ١٢٧ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٧



ديوان شعر جديد لشاعر يقدم فيه أحدث نتاجه الشعري ، وهي قصائد يسكنها عشق الوطن ، فتحمل داخلها كل ما بداخل الشاعر من فرح وانكسار وغربة وشجن وغبن وغواية . وقصائده كتبها وهو بعيد عن وطنه ، حين توغل به المدائن ، وتضيق به المطارات والقطارات والمرافيء ، ويقفز في المدى الخالي ، فتجتاحه ذكرى الوطن ، فتجري الكلمات وتتفاعل في نفسه وشغاف قلبه كجري سيل الدمع في العيون .

□□□

اسم الكتاب : الفكر السياسي في فلسطين (١٩١٨ ـ ١٩٤٨)
اسم المؤلف : د . علي محافظة
الناشر : مركز الكتب الأردني
عدد الصفحات : ٣٨٧ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩



يتناول الكتاب الاتجاهات السياسية بين عرب فلسطين في عهدي الاحتلال والانتداب البريطانيين ، ويعالج الأفكار والمواقف السياسية المتصلة بالأحداث المحلية والعربية والإسلامية والعالمية ، ويحلل العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في هذه الأفكار والمواقف ، كما يبرز الدوافع الفردية والأسرية والدينية والإقليمية والقومية التي حركت الأفراد والجماعات، وجعلتهم يعبرون عن آرائهم ومصالحهم ومواقفهم بوضوح تارة ، وبغموض تارة أخرى ، وبصراحة أحيانا ، وبرياء والتواء أحيانا أخرى . □

السجائر ذات الأطراف المذهبة ، مرتفعة الثمن بحيث أنني لاأستطيع الحصول عليها إلا عندما تتراكم عليّ الديون .

« أوسكار وايلد »





كتاب العربي

الكتاب السادس والعشرون

الإنسان والبيئة

صراع أو توافق ؟!

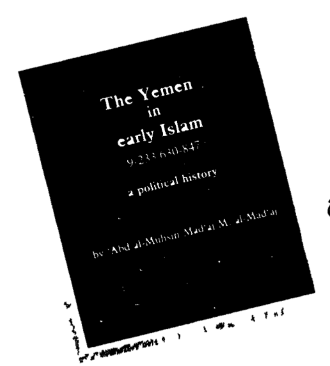
بقلم مجموعة من الكتاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي



كتابُ الشهر

اليمن في عصور الإسلام الأولى



تأليف :
الدكتور عبدالمحسن المدعج
عرض : خالد عباس

يشكل اليمنيون جزءا مهما من الأمة العربية حاضرا وماضيا وقد لعبوا في عصور ما قبل الإسلام دورا بارزا في إرساء أسس الحضارة العربية القديمة .

الكتاب الذي نعرض له في ما يلي يتناول تاريخ اليمن في العصور الأولى للإسلام وإسهامات اليمنيين فيها .

كتاب الشهر

لعل أهم ما يميز الدراسات الأكاديمية التعمق في عرض الموضوع المتناول، والإلمام بكل نقاطه، لكن بأسلوب موجز، لا استطراد فيه، ولا انتقاص من قيمة الفكرة المطروحة أو النتيجة المتوصل إليها. وهذا قول ينطبق على الكتاب الذي بين أيدينا، والذي هو - في أصله - دراسة أكاديمية جادة، مما حدا بجامعة « ديرهام » البريطانية لأن تنشره ضمن إصدارات مركزها للدراسات الإسلامية والشرق الأوسط (١٩٨٨)، لاسيما أن مؤلفه قد نال درجة الدكتوراة من الجامعة نفسها.

عن المؤلف تقول المؤسسة الناشرة: « د. عبدالمحسن المدعج كويتي، تخرج من جامعة الكويت، حصل على الدكتوراة من جامعة « ديرهام » في انجلترا، شغل منصب العميد المساعد للشئون الأكاديمية في كلية الآداب بجامعة الكويت، وهو الآن محاضر في التاريخ الإسلامي فيها، ورئيس لتحرير حولياتها، كما يعمل أيضا مستشارا لقسم التراث في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ».

جاء الكتاب في مائتين وخمس وستين صفحة من القطع المتوسط، وهو دراسة تاريخية سياسية، تتناول وضع اليمن في عصور الإسلام الأولى، معتمدة على عديد من المراجع: رسائل جامعية، وحوليّات وتاريخيات محلية، وجغرافيّات، وأدبيّات، وأدلة قبلية، وعلاوة على خرائط، وجداول، وتذييلات مسهبة في ختام كل فصل. وتقع الدراسة في ثلاثة أجزاء مقسمة إلى ثلاثة عشر فصلا، تغطي فترة زمنية من ٩ - ٢٣٣هـ، (٦٣٠ - ٨٤٧ م)، أي منذ بدء المراسلات الرسمية بين النبي، صلى الله عليه وسلم، وزعماء اليمن، يدعوهم بها للدخول في الإسلام، حتى العام الأول من خلافة المتوكل العباسي.

ثلاثة جوانب

وتهدف الدراسة إلى إبراز جوانب ثلاثة، أولها التركيز على العلاقات اليمنية مع الحكومة الإسلامية قبل هجرة القبائل اليمنية إلى مناطق الفتوحات، أي ما بين ٩ - ١٢ هـ، (٦٣٠ - ٦٣٤ م)، وثانيها، شرح وتحليل تلك العلاقات في أثناء فترة حكم الخلفاء الراشدين ١١ - ٤٠ هـ، (٦٣٢ - ٦٦١م)، وثالثها تغطية التاريخ السياسي لليمن، وسياسة الخلفاء الأمويين والعباسيين تجاهه في فترة ٤١ - ٢٣٣ هـ، (٦٦١ - ٨٤٧ م).

عبر مائتين وأربعة وعشرين عاما، هي الامتداد الزمني لهذا الكتاب، يركز المؤلف على التاريخ السياسي لليمن وعلاقاته مع الحكومات الإسلامية على اختلاف أنماطها. إن الموقف السياسي في اليمن قبل الإسلام يمكن تلخيصه بأنه بلد عانى الانشقاق السياسي، كنتيجة مباشرة لمقتل سيف بن ذي يزن الذي كاد ينجح في توحيد البلاد تحت رايته. انقسم اليمن بعد ذلك إلى أقاليم، يهيمن عليها زعماء محليون، كل يتمتع بتأثير سياسي قوي في الإقليم الذي يحكمه. هذا التمزق بين دويلات محلية دعا امبراطور فارس لإرسال قوات إلى اليمن تعزيزا لسلطته، فدخل جنوده صنعاء. من هنا، ندرك أن اليمن كان بلدا لا حكومة مركزية له تدير شئونه أجمع، وإنما هي جماعات قبلية متفرقة، لكنها قوية مؤثرة، ويحاسبها مجتمع فارسي، برز

كقوة فاعلة في عدد من مدائن اليمن . ومع ظهور القيادات المختلفة ، احتدم بينهم الصراع والتنافس ، بالغين ذروتيهما في الوقت الذي بدأ فيه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يؤسس دولة الإسلام وينشر رسالته السمحاء .

إبان عهد الرسول ، وفي العام الأول من حكم خليفته أبي بكر، رضي الله عنه، ٩-١١هـ، (٦٣٠ - ٦٣٢ م) ، تميزت المنطقة بنشاط سياسي على وجه الإجمال ، ولكنه كان لصالح حكومة المدينة ، على الأخص ، في نشرها للإسلام ، وإحكام قبضتها على أقاليم اليمن . وقد مارس الرسول أسلوبين في تعامله مع قبائل اليمن ، فهو أحياناً يلجأ إلى الضغط السياسي والعسكري أو التفاوض ، وحيناً يميل للدبلوماسية وإيفاد المبعوثين . ويقول المؤلف : إن مراسلات النبي مع قادة اليمن كانت شبيهة بتلك التي تبادلها مع حكام القوى العظمى آنذاك . ففي رسائله راعى الرسول الألقاب السياسية ، وسيادة الحكام - على تعددهم - على الأراضي التي يحكمونها ، كما اختار وفوده من بين أولئك الممثلين لمكانة مرموقة بين قبائلهم .

أولئك الموفدون يذكرهم المؤلف تفصيلا ، يعددهم بالاسم ، سواء في شئون الدين أو في شئون السياسة والجيش .

حروب الردة

بعد وفاة الرسول بدأت تظهر في اليمن حركات تمرد ضد الإسلام سبقتها حركة ذي الخمار أبهلة الشهيرة،وسيطرته على صنعاء قبيل وفاة الرسول ، ولكن الرسول أخضع تلك الحركة بإرسال الرسل إلى بعض الجماعات الواقع عليها ضرر من مثل تلك الحركات،وليس عن طريق التدخل العسكري المباشر . ومن هنا ، فإن المسلمين تدخلوا في اليمن خلال الحقبة الأخيرة من حياة النبي تدخلا لا مباشرة فيه ،



ولكنهم اضطروا إلى ذلك التدخل المباشر في أول فترة الخليفة الصديق . فبعد وفاة النبي وظهور حركات الردة ، انقسم اليمنيون ما بين مؤيد لسلطة الإسلام ، وما بين خصم لها ، وإن ظل بعض ثالث على حياد ، فلا هو مؤيد ولا هو معارض إزاء الصراع بين المسلمين والمرتدين .
على أنه بانتهاء العام الأول من خلافة أبي بكر ، كانت سلطة الإسلام قد بُسطت ، واستقرت في بعض بقاع اليمن . وفي العام الذي تلاه بدأت القبائل اليمنية هجراتها إلى المناطق التي فتحها المسلمون ، تشارك في الجهاد ، وتستقر في تلك الأراضي المفتوحة في سوريا والعراق والفسطاط ، إلى حد أنهم كونوا غالبية سكان تلك المناطق ، إذ كان المحاربون اليمنيون يصطحبون معهم أسرهم ومتعلقاتهم إلى جبهات القتال . كانت مساهماتهم في فتح البلاد كبيرة ، ودورهم العسكري في المعارك الفاصلة في بداية الغزوات مشهودا . فصار منهم القادة المميزون بين المسلمين ، وهم ذوو خبرة عسكرية عالية ، يشاركون في قيادة العسكر ، ويفاوضون على الجبهات البيزنطية والفارسية . كانت المدينة مركز الخلافة ، هي أساس انطلاق المتطوعين منهم في الجهاد . ومنها انطلقوا لخوض المعارك الكبرى على جبهات سوريا والعراق .
ويشير د . المدعج إلى إيثارهم الجبهة السورية على العراقية اعتزازا بحريتهم العسكرية . موقفا سيء شعنت القبائل اليمنية التي توطنت واستقر بها المقام في البقاع التي دخلها المسلمون فاتحين . وهكذا تناول المؤلف بالتفصيل الدور البارز لليمنيين .

لعب اليمنيون دورا مهما في قمع المعارضين لبسط سلطة الإسلام في اليمن ، مثلما ساعدوا في تقوية النظام الإسلامي فيه خلال الفترة الأولى من حكم أبي بكر . من جانب آخر ، أسهم المسلمون أنفسهم في وضع حد للنزاعات السياسية المحلية في بعض مناطق اليمن ، وفي الحفاظ على الاستقرار السياسي فيها ، غير أنه في بعض المناطق الأخرى لم يتسن للمسلمين أن يدعموا سيطرتهم السياسية فيها ، لأن تلك المناطق كانت واقعة تحت نفوذ القبائل المحلية .

عهد عثمان

ويتطرق المؤلف إلى دور قبائل اليمن وتأثيرها في الأزمة الداخلية الكبرى ، خلال الحقبة الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، أي فترة التمرد على عثمان والحرب الأهلية ، ويتناول تأثير المهاجرين اليمنيين على الموقف السياسي في وطنهم ، وتصعيد المقاومة المحلية لنظام الخلافة .
لقد لعب المهاجرون اليمنيون دورا أساسيا في الأحداث الداخلية في الدولة الاسلامية .

بعضهم كان القوة الدافعة وراء التمرد على الخليفة عثمان ، رضي الله عنه ، في الكوفة والفسطاط . وهكذا ، كونوا أول تحد مباشر لسلطات الخلافة هناك . تلك القوة الدافعة ثبتت قدرتها بشكل مميز في المراحل العديدة للتمرد . ولأن أولئك المهاجرين اليمنيين سبق أن برهنوا على قدرتهم السياسية والعسكرية النافذة ، فقد تمتع قادتهم باليد الطولى في صنع القرار الفاصل ، كما ظهر جليا في معركة صفين.
ويشير المؤلف إلى التعزيزات اليمنية على الجانب السوري من جبهات القتال ، خلال فترة الحرب الأهلية ، مبيناً أن « حِمْيَر » و« كِنْدَة » كانتا تمثلان أغلبية القبائل اليمنية في الجيش المتواجد في سوريا . ولقد جاءت التعزيزات التي أرسلت لمعاوية أساسا من المناطق التي تسكنها تلك القبائل في اليمن ، كما يقول شاعر يمني :

أتتك الرجال من إمدادنا
تجود إليك الفلا من عدن
ومن سرو جِير قد أقبلوا
ومن حضرموت ومن ذي يزن
فدبوا إليك دبيب الجراد
على صعبها والذلول المحن

بعد سقوط ابن الزبير

غير أن الركود السياسي قد ألقى ظلاله على اليمن بعد انضمام قبائله إلى البعثات الإسلامية في البقاع الأخرى ، على الرغم من أن اتصال اليمنيين بوطنهم الأم لم ينقطع . ويتطرق المؤلف إلى تناول الموقف السياسي لليمن ، خلال فترة الخلافة الأموية ، من حيث تعيين الحكام ، أو موقف الخلفاء تجاه اليمن ، وما صاحب تلك الحقبة من هدوء سياسي أو قلاقل ، ذاكرا أن هجرة القبائل اليمنية إلى مناطق الفتوحات ، واستمرار الغزوات في عهد الخلافة الأموية ، كان لهما تأثير كبير على العزلة السياسية لليمن ، وإهماله من قبل السلطة الإسلامية خلال تلك الفترة من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) . فبعد اغتيال الحسين ، كان تمرد ابن الزبير أهم حدث تال يقع في تلك الفترة ، لكنه لم يؤثر تأثيرا يذكر على اليمن . فعندما استولى ابن الزبير على مكة ، واستقر هناك ، لم يتلق منه اليمن أي اهتمام ، نتيجة ذلك ، وقع اليمن فريسة سهلة للغزاة ، وعانى فراغ القيادة السياسية . بعد سقوط ابن الزبير ، لم ير اليمن اهتماما يذكر في عهد عبدالملك بن مروان الذي لم يجد مايدعو لإرسال بعثة عسكرية إلى ذلك البلد تعزز سلطته فيه.

وأخيرا ، يتطرق المؤلف إلى عهد الخلافة في الدولة العباسية ، فيقول : إن العلاقة بين السلطة الإسلامية واليمن قد اتسمت بالبرود في العقد الأول من تلك الخلافة ، وإن أخذت في التحسن تدريجياً في العقد التالي ، كما وضح في عهد هارون الرشيد ، عندما حاولت الخلافة أن تحفظ تأثيرها هناك . لقد شهدت الإدارة العباسية المعارضة المحلية لسلطتها في اليمن . وكان أحد ملامح سياسات الخلافة آنذاك محاولة إيجاد إداريين أكفاء لتوجيه دفة الحكم في ذلك البلد ، باتباع تلك السياسة تمكن الخلفاء العباسيون الخمسة الأوائل من السيطرة على مراكز الإدارة في اليمن ، لكن العهد لم يدم طويلا ، فظهور القوى المحلية في مسيرة الأحداث في اليمن ، والاهتمام المتزايد للخلافة فيه ، وقع عندما كان العباسيون على شفا التدهور من حيث تأثيرهم على الإدارة . ثم بدأت القلاقل في تهامة في بداية القرن الثالث الهجري ، (التاسع الميلادي) ، فأجبرت الحكومة العباسية على إرسال ابن زياد لحكم المنطقة ، لعله يتمكن من حماية مصالحها هناك . وقد نجحت تلك السياسة في مناطق اليمن ، عدا منطقة المرتفعات التي خبرت توالي التمرد على سلطة الخلافة ، يقودها بعض الزعماء الطموحين والمؤثرين . نتيجة ذلك فقدت السلطة الإسلامية المركزية السيطرة السياسية على ذلك الإقليم .

ويختتم د. المدعج الجزء الأخير من كتابه بتعديده أسماء حكام اليمن في عهد الخلافة العباسية ١٣٢ ـ ١٩٤هـ ، (٧٥٠ ـ ٨٠٩ م) ، مستكملا إياها في فصل لاحق ، من عصر الأمين حتى العام الأول من خلافة المتوكل ، ١٩٣ ـ ٢٣٣ هـ ، (٨٠٩ ـ ٨٤٧ م) ، منهيا عمله بخاتمة وثبت مراجع . □

نشل

● نشل أحدهم محفظة من شخص نائم في حديقة عامة ، ولما فتحها وجدها خالية من النقود ، فعاد إلى ضحيته فأيقظه قائلا له : ليس لديك نقود واستطعت أن تنام !!

إلى أن نلتقي

ويسألني سائل

تسألني قارئة ما شروط الكتابة في العربي ؟ أو أن الكتابة في المجلة مخصصة فقط لحملة الدكتوراة ؟ ولم تكن هي الوحيدة في إثارة هذا السؤال ، أكاد أقول ـ دون كثير من المبالغة ـ إن هذا النوع من تساؤلات القراء يصل إلى مئات في العدد ، بشكل أو بآخر ، وكله يؤدي إلى الهدف نفسه

ما أتوقف عنده هو طبيعة السؤال المعبأ بكثير من المعاني الاجتماعية والنفسية ، حيث يبدو أن هذه (الدخيلة) الدكتوراة قد حلقت لدى كثيرين منا شيئاً يشبه الحاجز النفسي

وأبدأ القول بأني ـ على المستوى الشخصي ـ نتيجة لخبرتي لا أحفل كثيراً بهذا (التابو) الدكتوراة

لقد علمتني التجربة أن اللقب العلمي ليس هو كلمة السر في الإنجاز المتميز ، فالكتابة (صناعة) ، لها أدوات وأصول ، و (فن) له مستلزماته والاثنان ليس لهما علاقة مباشرة باللقب العلمي

أدوات هذه الصناعة هي اللغة والمعرفة والقراءة ومن مستلزمات الفن الموهبة والاثنان مجدولان معاً ، مظهران عند كل كاتب بمظهر مخالف ، لا يتطابق مع ما عند كاتب آخر أو يتماثل معه

القاعدة الأساس هي العمل ، فلا شيء في الحياة يأتي بلا عمل ، والعمل جهد ، والعمل إنكار للذات ، والعمل تواضع والكتابة علمٌ على رأسه القراءة ، والكتابة فن فيه من عناصر الفن كثير من التذوق والجمال وتسهل عليك الكتابة الناجحة إذا قرنت الفن بالاجتهاد ، بالموهبة ، في بوتقة عمل دائب

والكاتب الجيد كاتب متواضع ، عنده ثقة بالنفس لا تصل إلى حد الغرور ، فالأخير (الغرور) علامة حمراء لضعف الكاتب وهامشيته ، والتواضع مع الثقة بالنفس وسيلة الكاتب إلى الناس

حال الكاتب الجيد ـ وهو حال الممثل الجيد على خشبة المسرح ـ أنه يمرض قليلا كل ليلة قبل أن يواجه الجمهور وتنتابه حالة المرض حتى بعد سنين من عمره الفني ، فعندما يهيىء نفسه للظهور على خشبة المسرح فإن قلبه يدق كالطبل ، وفمه يصبح جافا كجفاف العاصفة الترابية ، ويده تصبح عرقا وهكذا هو الكاتب الجيد ، حيرة الفكرة ، وبعد عسر يبدأ الكتابة ، مع مطارحة دائمة مع النفس ، ومع الفكرة ، فكل مقال جديد هو ميلاد جديد

والكاتب ليس تعبيره من الناس فالآخرون هم أصدقاء وهم أعداء وكذلك الكاتب ، لكن الفرق أن أصدقاء الأول كثيرون لا يعرفهم ، ما عداوة فهم أكثر و شر ، ولا يعرفهم أيضا هو حامل رسالة ، وقد لا يفهم هذه الرسالة ، وقد لا ينسى وقد يساء ترجمتها ، لكنه في النهاية لا بد ان يقول تلك الرسالة ، وفي النهاية لا بد ان يخلق أولئك الأعداء عند المتطورين ، وفي النهاية عليه ان يتحمل كثيرا من النصيحة

، [illegible] وما نحب [illegible] [illegible] همة أيضا فكم من كتابات رائعة لم يلتفت لها الناس [illegible] [illegible] خطأ [illegible] [illegible] بل المهم ان نعبر عن قيم إنسانية ، هنا هامش مشترك مع آمال الناس

ولكل كاتب أسلوبه ، فلا تقلد أحدا ، أسلوبك هو بصمة إبهامك ، لكنك لا تستطيع أن تسعى عن القدوة ، وأن تجد أحدا يقول لك إنك تستطيع ما تستطيع لا أكثر من ذلك ولا أقل

وهكذا يا أصدقائي الذين يسألون ، فالقضية ليست بالألقاب ، وليست بالأمزجة ، إنما هي عمل ، عمل وموهبة وإلى اللقاء ، ، ، □

الدكتور محمد الرميحي

حوريّة من البحر

تأليف: هنريك ابسن
ترجمة: د. أحمد النادي
مراجعة: د. طه محمود طه
تقديم: د. عبدالله عبد الحافظ

العدد ٢٤٥ أول فبراير ١٩٩٠



«الخنصر» - للفنان الكويتي بدر جاسم القطامي